2007

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم الترجمة

لا يستعار

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الترجمة

نظريات الـــترجمة عـــــند العرب
- المشروع الحداثي نموذجا-

تقديم: الطالب
عبد الرحمن الزاوي

تحت إشراف
أ.د. نور الدين صبار

السنة الجامعية
2008-2007

إهـــــداء

12 فبراير 1972/ 23 ديسمبر 1999/ 11 أوت 2001/ 05 جويلية 1999.

تواريخ نقشت وشما على جسدي...

إلى أرواحكم كلكم :

أختي ربيعة- الوالدة الحاجة رابحة- الوالد الحاج السي بنعبدالله - إبني أديب...

مدان لكم أيها الراحلون ... أيها الأحبة...

بالعمر كله...

إلى أبنائي : سناء و ياسين و مي و فراس.

عبدالرحمان.

شكـــــر و عرفـــــان

تشكراتي الخالصة إلى أستاذي الدكتور صبار نورالدين الذي و رغم ارتباطاته لم يبخل علي بوقته، و استقبلني بصدر رحب يوم حوصرت من كل الجهات.
و إلى الأستاذ الدكتور بن شرقي بن مزيان على المساعدة و السند.
إلى أخي الدكتور أمين الزاوي و الدكتورة ربيعة جلطي، حبا صافيا و جميلا.
إلى زوجتي الأستاذة ليلى التي آزرتني.

عبدالرحمان الزاوي.

مقدمة عامة و طرح الإشكال

[ولابد للترجمان أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيهما سواء وغاية.][1] . لقد احتاجت جميع الحضارات القديمة والحديثة إلى الترجمة من بيت الحكمة في عهد المأمون إلى المدارس المعاصرة في أوربا، التي دأبت على تعليم الترجمة، مرورا ببيت الحكمة في القيروان ومدرسة طليطلة في الأندلس في القرن الثاني عشر الميلادي والباب العالي في القرن التاسع عشر، ومدرسة الجزائر في منتصف القرن العشرين، وغيرها من المحطات المضيئة للمنهج الترجمي الفني والعلمي.

إن نشاط الترجمان ومختلف ما يقوم به من عمليات و إواليات « Mécanismes » لم يحظ بما يستحقه من عناية واهتمام إلا منذ عهد غير بعيد ولم تفرد له دراسات نظرية منهجية إلا في النصف الثاني من القرن العشرين.[2]

إن الترجمة عملية تواصل من نوع خاص، لأن المترجم إنما يقصد ما يقصد إليه المفسر، إذ يشرح للسامع أو القارئ كلاما في لغة لا يفهمها، أي إلى الإبلاغ والبيان والإفهام. ولذلك فهي تخضع لما يخضع له التواصل اللغوي عامة من شروط وملابسات، وهي تتطلب مثله طرفين هما الترجمان والمترجم له، ونص البلاغ وهو الواسطة بينهما.

ثم السنن أو القوانين codes التي يشترك فيها الطرفان مبدئيا كي تتم عملية التواصل أو الإبلاغ ومن بينها القانون اللغوي[3].code linguistique ، انطلاقا من هذه الرؤى، ولأن إشكالية التواصل

---

[1] – أبو عثمان الجاحظ– كتاب الحيوان–

[2] –جورج مونان –المسائل النظرية في الترجمة 1963 -Les Problèmes théoriques de la traduction. Gallimard p:296.

هي نفسها في العملية الترجمية وفي العملية الإبداعية، سأحاول أن أخضع هذا البحث إلى دراسة المسائل التي تطرحها البنية النصية أو البنيات النصية وصولا إلى محاولة تلمس النظريات الترجمية التي تطرح إشكالية العلاقة بين لغات مختلفة و إشكالية العلاقة بين اللغة و الفكر و إشكالية العلاقة بين الفكر و العالم الخارج عن النص و إشكالية العلاقة بين اللغات و الواقع و التاريخ.

فإذا كانت البنية « La structure » هي تلك الحيلة العقلية و النشاط الذهني اللذان يحيلان أو يهدفان إلى تسطير ورسم الآليات والأشياء في أنظمة « Dans des systèmes linguistiques et/ou phonétiques » لغوية لسانية و/أو صوتية، أو إخراجها من واقع الكمون و السكون و الركود إلى واقع الواقع الملموس، بطريق قد يكون مفهوما ومعقولا وواضح التركيب، وقد يكون زئبقيا ينفلت المعنى ويندس وراء المسكوت عنه « Le non dit ».

هذا يعني أن البنية ترفض رفضا قاطعا النظر إلى الإنسان على أنه مقياس كل الأشياء، بما فيها النص الذي ينتجه ويتحكم فيه ، وتلغي كذلك مركزيته وإحاطته بالعالم، ولا تقر له إلا بامتيازه في وعي هذا العالم. أما دراسة هذه البنية، فتضرب صفحا عن المفاهيم القديمة، وتحاول أن تجدد نظرتها مع مرور الوقت واختلاف المكان.

فهي لا تقر بما درسه الفلاسفة وعلماء النفس وعلماء الاجتماع والأدب، وما وظفوه من مواضيع في نصوصهم، حيث اهتمت هذه المواضيع عادة بالقلق والحرية و الأنا و الهو والدولة والمجتمع والجريمة والحرب، الخ.

---

[3] -محمد عجينة -الترجمة ونظرياتها-مقال-نظريات الترجمة -ص:256.

وحيث تعوض دراسة البنية هذه المواضيع كلها بمصطلحات تعتبرها ذات قيمة مفهومية حداثية، مثل النموذج، الدال، المدلول، الاعتباط، البنية، البنائية، البنيوية، الخلفية، المرجع، الأيقونة، الفهرس، الجدول، الرمز / الشارة.

إذن واعتمادا على ما تقدم ترسخت لدينا فكرة العلاقة بين الإنسان والبنية المتمثلة في الصراع القائم بينهما، رغم أن الإنسان هو الذي يخلق هذه البنية، والتي تحاول جهدها من خلال المنهج أو المناهج التي تتبناها إقصاء الإنسان من طريقها وإلغائه، أو لنقل تعلن موته التام والنهائي، وذلك بإبعاده عن نتاجه الذي شغل فيه فكره وحواسه وعواطفه.

إن النتاج الفكري بالنسبة إلى درس البنية النصية، محدود في إطار ما يصل إلى المتلقي عبر نظام معقد، يعتمد أساسا على المؤسسات التي تحضر في مخيلة الباث، أو في خلفيته المرجعية، هذه المؤسسات التي تحضر بالفعل في النص الأدبي المقروء، ومن خلالها تتم عملية القراءة أولا ثم عملية الترجمة ثانيا.

إذن فعبر سلسلة معقدة، وفي إطار الحقول الدلالية للفظ الذي لا يتحدد معناه من شكله سواء في بنية النص الأصلي، أو بنية النص المترجم. إذا نظرنا إلى الترجمة على هذا النحو تغدو عملية مركبة، أو معقدة، إذ فيها ما هو لغوي، ولكن فيها أيضا ما قد يخرج عن حد اللغة ويتجاوزها إلى ما وراء الكلام.

هو الموقف الذي يندرج فيه الإبلاغ والسياق الثقافي والحضاري الذي يترجم فيه أو الذي يخرج فيه النص المترجم من حيز إلى آخر. وقد تلتقي بعض مكونات الخلفية المرجعية للباث والمتلقي

والمترجم، في مفهومها المجرد من المعنى، [4] والمخطط التالي يوضح هذه العلاقات، في توظيف المدارس المؤسسة والمكونة للخلفيات المرجعية للعناصر الثلاثة.

المؤسسة العائلية	علاقة	المؤسسة العائلية
المدرسة	علاقة	المدرسة
المؤسسة الدينية	علاقة	المؤسسة الدينية
المؤسسة الإعلامية	علاقة	المؤسسة الإعلامية
المؤسسة الاجتماعية	علاقة	المؤسسة الاجتماعية
(.....)	علاقة	(.....)
الباث / علاقة /	النص / علاقة	المتلقي / علاقة
		المترجم / علاقة
تكون		تكون
المؤسسة السيكولوجية الخاصة	علاقة	المؤسسة السيكولوجية الخاصة
المؤسسة الاجتماعية الخاصة	علاقة	المؤسسة الاجتماعية الخاصة

نسجل الملاحظات التالية :

إن الخلفية المرجعية بالنسبة للباث والتي تتمثل في (المؤسسة العائلية، المؤسسة الدينية، المؤسسة الإعلامية، المؤسسة السياسية أو (النظام السياسي)، المؤسسة الاجتماعية، المؤسسة التربوية

[4]-أنظر: الترجمة ونظريانما-محمد عجينة-مقال-م.س.-ص:256-257.

"المدرسة"...) هي نفسها عند المتلقي الذي قد يكون مترجما، يعمل في إطار النص أو الرسالة الموجهة.

لكن حين التمعن والتدقيق في العلاقات القائمة والتي تجمع الطرفين من خلال خلفيتهما المرجعية، والمتمثلة أساسا في العلاقة ع 2، وهي علاقة لا يمكن أن تكون انعكاسية (في لغة الرياضيات)، مثلا : المؤسسات المكونة للخلفية المرجعية للباث، رغم الصورة نفسها التي تأخذها – عند المتلقي (المترجم هنا)– إلا أنها تختلف في الدلالة والسمة وتصبح هذه العلاقة كالتالي :

المؤسسات(باث)	ع2	المؤسسات(متلقي– مترجم)

وهي غير محققة بالشكل التالي:

المؤسسات(باث)	ع2 (–1)	المؤسسات(متلقي– مترجم)

وإلا أصبحت الدلالة في المؤسسات(باث) تساوي تماما المؤسسات(متلقي– مترجم)، وبالتالي يكون الباث هو نفسه المتلقي، أي ينطبق عليه، وهذا ما لا يمكن تحقيقه، وإن تحقق فالظروف المحيطة أو الموعزات تغيره بنسبة عالية.

ولهذا نجد الذين اشتغلوا في ميدان ترجمة النصوص التي تتناول الترجمة كموضوع، إما تلك التي اختصت في النظرية الترجمية أو تلك التي تناولت إشكاليات الترجمة من جميع جوانبها اللغوية والموسوعية خاصة، فهذا الأستاذ لطيف زيتوني يقول عن تجربته عندما أقبل على

ترجمة المسائل النظرية في الترجمة لجورج مونان : [حين بدأت بترجمة كتاب –المسائل النظرية في الترجمة– هالني ما وجدت فيه من اصطلاحات. فقد عرض المؤلف لكل ما يتصل بالترجمة من مسائل ألسنية : ازدواجية اللغة، ونظريات الدلالة، والنظريات التي ترى في اللغات رؤى للعالم، واختلاف الحضارات، والوحدات الدلالية، والتضمين والتعيين، والاتصال، والكليات اللغوية، والعراقة (علم الأعراق، أو الإتنوغرافيا)، وفقه اللغة، وتركيب الجملة.][5]

و إذ نقف عند رأي ميشونيك حيث يقول [لكي نرسي قواعد نظرية لترجمة النصوص الأدبية وتطبيقاتها، يجب أن نتناول بالنقد المسلمات التي أعدها نيدا وكذلك تكنيكه، ولا يعني هذا العودة إلى الدفاع عن فن الترجمة... فالمقصود هو أن نبين أن التعارض الأساسي بين الشكل و الجواب عند نيدا غير عملي في الأدب وأن نيدا لم يتنبه إلى خواص الأدب وقضايا ترجمته، وإن نظريته ليست نظرية علمية، حيث أنها تستخدم أدوات حديثة للحديث عن أقدم الأيديولوجيات الخاصة بالترجمة.][6]

ولذلك –أعتقد– رفض ميشونيك اعتبار نظرية الترجمة نوعا من اللسانيات التطبيقية، لأنها مجال جديد في نظرية الأدب وممارسته، بما يحمل من فعاليات تأسيسية للنص، وهي تشترك دون شك في اعتباطية الدال والمدلول، الذي تتميز به الحياة من جهة والكتابة من جهة أخرى، كون هذه الأخيرة تعتبر ممارسة اجتماعية، في نقيض الممارسة البنيوية.

---

[5]- المسائل النظرية في الترجمة – جورج مونان – دار المنتخب العربي – ترجمة: لطيف زيتوني – ص: 16.

[6]- H.Méschonnic-Pour La poétique II-Gallimard-1973-P:329.

وإذن فثمة قضايا تتعلق بالمترجم وما ينبغي أن يتحلى به من دراية وأخرى تتعلق بالبلاغ المراد نقله أو ترجمته، وثالثة تتعلق بإشكالية نقله من لغة إلى أخرى وإلى أي حد تكون الترجمة ممكنة أو متعذرة أو بين هذا وذاك.

بما أن الذات هي التي تعبر عن ذواتها في النص، وبما أن الذات المترجمة هي التي تعبر عن الذوات المبدعة، وعن ذاتها، فقد تقنع عند الاقتضاء بمضمون قد يكون غير ذي شأن. فالذات تعبر عن الذاتية بما هي كذلك، عن مضمونها الخاص، عن النفس وكوامنها و خوالجها وأحاسيسها، عن موضوع خارج عنها، مبلغا ما بلغ بعده عنها.

إن هذه الفكرة تحيلنا إلى التعبير عن طريق الكتابة لإثبات الإشكالات المضمونية من جهة و الإشكالات اللغوية من جهة أخرى، و التي تفضي إلى المسألة الترجمية أو الظاهرة الترجمية بكل ما تحمله من دلالات إبستمولوجية لا يمكن أن تستنبط من النص بتلك السهولة المتصورة.

من هنا يمكن أن نقول بأن الدلالة اللفظية بما تحمله من شحنة، لا تستطيع أن تعكس كل معناها في اللغة الواحدة فما بالنا إذا انتقلت إلى لغة أخرى. وعليه فللفظ خلفية تندس وراءها حضارة ومؤسسات.

وباختصار فإن جميع أنواع العواطف في حركاتها اللحظية، حين تجيش بفعل أسباب شتى. فالأشياء والمواضيع والمضامين هي في النص عنصر عارض تماما، والمهم إنما هو التصميم والتعبير الفنيان اللذان يكمن سحرهما في نفح النفس المتضرع بالحب والحنو من جهة، والقبح من جهة أخرى، وجزئيا في نمط الحدس والتصور الذي يستدعي الانتباه بجدته و بلفتاته البارعة اللا متوقعة.

من خلال ما تقدم يمكن أن نسجل هنا تلك النقلة النوعية التي خطاها المنهج البنيوي في شكله الفلسفي، المحيط الداخلي والخارجي لوعي الإنسان، أو الوعي الممكن، أو الخلفية المرجعية للإنسان، المرتكزة على واقع موضوعي غيبي تتلاقى في جانبه الأول مع الفلسفة والمنهج الاجتماعي، وفي شقه الثاني مع المؤسسة الدينية، وذلك باختلاف الديانات.

إذن إن الأساسي في دراسة البنية قصد الفهم والتحليل والتفكيك وإعادة التفكيك ومن ثم الترجمة، سواء أكانت هذه البنية نصا، أو مجتمعا أو مجموعة عناصر تكون مجموعة نصوص، يتطلب العزل التام حتى عن مجالها الذي هو بالنسبة لها خارج.[7]

وهي أول خطوة تحدد البنية، وتجعلها نسقا مستقلا، ونظاما بعلاقات داخلية في شكل شبكات متقاطعة، على المشتغل عليها أن يعيها، دون أن يتدخل المؤثر الخارجي فيها. وهي لا تنحصر فقط في النص الأدبي الواحد، بل تتعداه إلى مجموعة نصوص لمجموعة كتاب في مدة زمنية معينة مثلا، أو إلى بنية اجتماعية لها خصائص ومميزات اجتماعية واقتصادية تقترب أو تتشابه فيما بينها، وهذا ما نجده في مفهوم البنية الاجتماعية الماركسية، حيث تتحدد بالطبقات انطلاقا من المصالح المشتركة للعناصر المكونة، مع مراعاة المكانية وإمكانية تحديد الفضاء الذي يمكن للبنية أن تتحرك في إطاره دون الانتقال إلى فضاء بنية أخرى.

إن هذا الانتقال يعتبر حركة للتاريخ وانصهارا فيه، وهذا يتناقض مع مفهوم البنية على الرغم من أنه لا ينفي عزل العنصر الذي هو خارج عنها، وهو الشيء الذي لم يستطع المنهج البنيوي نفيه أو إلغاءه.

---

[7] – أنظر: د. يمنى العيد– في معرفة النص– ص:38.

وليكن هذا العنصر- النص الأدبي- الذي ينتمي إلى البنية الاجتماعية مثلا، وهذه الفكرة تحـــدد بالتدقيق مدى تداخل عناصر البنية الواحدة في إطارها العام أو ما يسمى بالبنية العامة.

وعلى هذا الأساس و انطلاقا من المعطيات التاريخية و البنيوية بدأنا نفكر في موضوع بحثنا و كيف يمكننا أن نتعمق فيه. حيث حاولت أن أكون أمينا للفكرة و للثبت التاريخي و للموضوع، و تجنبت قدر المستطاع عامل الخيانة على الرغم من أن الموضوع الذي أتناوله يقر بهذا العامل.

حاولت أن أترجم النصوص لا أن أخونها، و اعتمدت في تحليلي للظاهرة علـــى جملـــة مـــن المفاهيم و النظريات التي كونت سندا قويا لي للتصدي للصعوبات التي فرضها الموضوع.

فلا ينبغي أن يستسلم المترجم لطغيان النص بكل معطياته الظاهرة و الخفية.

إن دارسي اللسانيات، قصد الترجمة، يستفيدون أيضا من منظري الترجمة في حل الصـــعوبات التي قد تعترضهم حين تعاملهم مع لسانية النص.

عندما يجري الحديث عن الترجمة الحرفية، أصبو إلى معرفة ما إذا كان المقصـــود هـــو نقـــل النص حرفا حرفا، أو كلمة كلمة، لأن "الحرف" بالفرنسية « Lettre » في حد ذاتـــه اســـتعارة، والحرفية في رأيي ليست مفهوما فعالا لأن موقعها النقطة التي يتعارض عندها الشكل والمعنى، الدال والمدلول، كما أنها لا تساعد الأدب على القيام بوظيفته.

بالإضافة إلى ذلك نقول إن كل لغة تفتح مجالا مختلفا أمام الحقيقة، وإن الحقيقة التي تكشف عنها لغة النص في نطاق اللغة التي كتب بها تختلف عن الحقيقة التي تكشف عنها لغة أخرى.

وإذا انطبق هذا على لغتين تنتميان إلى أسرة واحدة، كالفرنسية والإسبانية، فهو ينطبق بالأحرى على لغتين تنتميان إلى أسرتين مختلفتين كالعربية والفرنسية، فنحن لا نجد شيئا مشـــتركا بـــين هاتين اللغتين لكل منهما نظاما لغويا وجماليا خاصا بها.

ولكل منهما طريقة خاصة للربط بين الكلمة والشيء، الدال والمدلول، ولكل منهما بناها الصوتية والإيقاعية والموسيقية، ومن ثم، تنظر كل منها إلى "الجمال" بعين مختلفة.

بعد هذا التحليل والمقارنة بين اللغات وأشكالها وأصولها و جمالياتها، ألاحظ أن فكرة معنى الكلمة يجب أن يتحقق حسب موقعها السياقي، أي حسب البنية التي توضع في إطارها.

لنقل إذن إن الترجمة لا يمكن أن تكون تطابقا أبدا، والذين يصرون على إيجاد هذا التطابق لا ينتهون إلا إلى عملية تشويه، في رأيي، و أعتقد جازما أن كل اللغات قادرة على التعبير على الموضوع، لكن الاختلاف يكمن في الكيف، فلكل لغة طريقة في التعبير.

إن بحثي هذا يرتبط بسؤالين إثنين و هما كيف و لماذا، و يحاول قدر الاستطاعة الابتعاد عن الإجابة الكرونولوجية من و ماذا و متى. و ما كان له ان يرى النور و يكتمل بالصورة التي هو عليها لولا جهد هؤلاء الباحثين، و الذين أدين لهم في كل حرف و كلمة سطرت يمكن أن يتلمسها القارئ و يفيد منها و يستفيد.

أذكر أشخاصا كان لهم فضل كبير في إتمام و جمع هذه المادة، و لا أنسى أبدا حديثا جرى بيني و بين بن مزيان بن شرقي و نحن نحتسي معا كأس شاي، و كنت على التو أنهيت البحث، و يعود هذا إلى حوالي ست أو سبع سنوات، حيث عندما بلغته بأنني أشرفت على نهاية البحث في كوضوعي هذا، ابتهج كثيرا و قال ما أحوجنا في الجزائر على الأقل إلى مثل هذا الموضوع.

إذ ليس ثمة دراسة لنظريات الترجمة و ستكون هذه الدراسة تتمة للمسح البيوغرافي للترجمات.

إنني مدين لمجموعة كبيرة من المؤلفين الذين طرحوا اشكالات معرفية جعلتني أعيد النظر في بعض المفاهيم. و قد استفدت منهم الكثير حاولت أن أثبته بكل أمانة بين ثنايا هذا البحث.

لقد تعلمنا في المدارس أن الترجمة من اليونانية إلى العربية تمت في الفترة العباسية الأولى في عهد المأمون [218/197 هـ / 833/813 م]. إنها الرواية التي رسخت في أذهاننا و أسستها كتب التاريخ التي ألفت في العصر العباسي.

كل هذا لم يكن إلا جزء صغيرا مما تم حقيقة في أيام حكم المأمون.

لقد انصب حديثنا على حركة الترجمة من اليونانية القديمة الى العربية في عهد محمد علي، مؤسس النهضة المصرية الحديثة و رفاعة رافع الطهطاوي. و على ما آلت اليه حركة الترجمة في وقتنا الحاضر و الدور الذي تلعبه في تشكيل و تكوين الثقافة العربية الحديثة، أو على أقل تقدير، الثقافة التي تتخذ من الحداثة منهجا لها و نبراسا.

إذ حينما سنحت لنا الفرصة للاطلاع على الثبت الببليوغرافي القيم الذي أعدته كاميليا صبحي عن الكتب المترجمة من العربية الى الفرنسية منذ القرن السابع عشر و حتى وقتنا الحاضر[8]، وجدنا أنفسنا مضطرين لإقامة مقارنة تطبيقية بين ترجمتين تهم القارئ، ولإبراز الفرق الكبير بين النقل في العصر الحديث و النقل في القديم.

لقد جمعت الباحثة كاميليا صبحي حوالي ألف و ثلاثمائة و تسعة عشر [1319] عملا من الأعمال العربية المترجمة الى الفرنسية، و حيث غطت فترة لا يستهان بها امتدت من من القرن السابع عشر الميلادي الى عام 2003.[9]

لقد جمع هذا الثبت بين الرواية و التراجم و الشعر و المسرح و القصص و الحكايات و بعض الكتب النقدية و الكتابات الدينية و الفقهية و الصوفية و التاريخية و علوم العرب.

---

[8] - أنظر : كاميليا صبحي، الثبت الببليوجرافي للكتب المترجمة من العربية الى الفرنسية من أوائل الطباعة حتى عام 2003، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، 2003.

[9] - نفسه.

و لما كان عنوان بحثي يتقصى نظريات الترجمة عند العرب – المشروع الحداثي نموذجا – و لما كان المنهج المتبع يتطلب أرضية منهجية للإنطلاق في البحث، أعدت قراءة المنهج باختلاف أنواعها، و حاولت أن أتعرف على الخصوص على المنهج الإجتماعي و المنهج التاريخي و المنهج البنيوي التفكيكي لما لها من دور كبير في الدراسات النقدية من جهة و الدراسات التأريخية من جهة أخرى.

و اقتناعا مني من ان البنيويين و المهتمين بالمنهج البنيوي، يرسمون خططا ناجحة للولوج إلى النصوص و يسلحون القارئ بأدوات فاعلة في النص. فإن النقد البنيوي و منه النقد الترجمي يعتمد على جملة من المصطلحات منها الخارج و الداخل و الإسقاط و الخرق و الإنزياح و الاحتواء و التعدي. هذه الأدوات التي تجعل القارئ أمام نص لم يتعود عليه، فأداة الخرق مثلا هي نابعة من اختيار المنهج كما يشير إلى ذلك رومان جاكوبسون[10] و هي عملية مقصودة واعية في التعامل مع النص سواء فصد النقد أو الترجمة.

و منذ البداية و بعد اختياري الموضوع، اتصلت ببعض المهتمين من أساتذة و خبراء علميين، و كنت كلما اتصلت بأحدهم إلا و شجعني و حاول إقناعي بأن الموضوع جدير بالبحث، خاصة و المكتبة الجزائرية تفتقد لمثل هذه الدراسات.

لقد قسمت بحثي إلى :

ثلاثة أبواب و كل باب يضم فصلين.

الباب الأول و الذي حمل عنوان العرب و حركة الترجمة.

---

[10] - R. Jakobson – En sayes de linguistica général – Trad. Buenos Aires – 1975 – p : 46/51.

ففي فصله الأول، حاولت من خلاله أن أبرز و أن أقف عند البصمات الأولى للظاهرة الترجمية، عند التقاء العرب بالترجمة و فترة ما قبل العباسيين و الكتابة عند العرب ثم فترة الحكم الأموي و يأتي تأسيس الفكر الترجمي العربي و الأطوار التي مرت عبرها الظاهرة الترجمية في فتراتها الذهبية و أقصد فترة أبي جعفر المنصور [158/136 هـ - 775/754 م] و فترة هارون الرشيد [193/170 هـ - 809/786 م] و فترة عبدالله المأمون [218/198 هـ - 833/813 م] .

أما في الفصل الثاني من هذا الباب فبحثت فيه عن الترجمة كظاهرة علمية عند العرب عبر ست محطات تتمثل في لغة الترجمة عند العباسيين و أشهر المترجمين في العصر العباسي و بيت الحكمة و البويهيين في بغداد و الأندلسيين و الترجمة و أخيرا الترجمة في العصر الحديث.

الباب الثاني و هو تحت عنوان : التحليل الترجمي و المقاربات النصية.

ففي فصله الأول تناولت بالدرس الترجمة و طرائقها و أنواعها و مستوياتها و أساليبها وصولا إلى مفهوم النص و بنيته، عبر مقاربات ترجمية تطبيقية لرواية نجمة ترجمة ملكة أبيض العيسى من جهة و محمد قوبعة من جهة أخرى. و تناولت ترجمتين للكتاب المقدس و ختمت هذا الفصل بموقف سامي الدروبي من الترجمة.

أما الفصل الثاني فتناولت من خلاله بنية النص و الترجمة كإثبات لما توصلت إليه من خلال التطبيقات السابقة. و مقاربات النص الأدبي و الترجمة / الإسقاط/ التعليق / الشعرية. و أشكال النص و التعبير، وتقريب الصورة بين النص الأصل و ترجمته، و ختمت الفصل بالساكلات التي يخلقها النص الأدبي.

ثالثا : الباب الثالث و عنوانه : الإبداع و نظرية الترجمة.

تناولت في فصله الأول الفضاء الإبداعي و الترجمة، و عبر أربع نقاط وزعت اهتمامي على طرح إشكالية الابداعية في الترجمة في حدود النص الشعري و النثري معتمدا و مفصلا البحث في الخلفية المرجعية للباث و الرسالة و المتلقي. و طرحت و ناقشت ظاهرة ترجمة النص الشعري / البنية و المضمون. و ختمت هذا الفصل بإطلالة على الشكالية التي يطرحها النص المسرحي.

أما في الفصل الثاني فعالجت موضوع نظرية الترجمة و إشكالية المصطلح بين آلية النص الابداعي و البراغماتي. و الفضاء النصي بين الحركة الزمانية و المكانية. و ختمت بثبت لبعض المعاجم العربية الحديثة.

و ذيلت البحث بقائمة للمصادر و المراجع و الملاحق إضافة إلى ملخص باللغة الأجنبية.

و قدمت للبحث بهذه المقدمة التي حاولت من خلالها إلقاء الضوء على المسار الذي اتبعته من أجل إبراز موضوع نظريات الترجمة عند العرب مقتربا من المشروع الحداثي الذي حددت معالمه كنموذج.

و في تعاملي مع النصوص المرجعية و النصوص المصدرية، اتبعت طريقة التهميش، فكنت أبدأ بإسم الكامل للمؤلف كما ورد في أثره، و أردفه بعنوان مؤلفه ثم الدار الناشرة، ثم الطبعة ثم الجزء، ثم إسم المترجم كاملا إن كان الأثر مترجما و بعدها الصفحة. و إذا كان المصدر مجلة كنت أشير إليه بذكر، صاحب النص و عنوان المقال ثم دار النشر ثم العدد فالسنة فالصفحة.

و ختمت الأبواب بخاتمة و بجرد كامل للمراجع و المصادر و الدوريات و رتبتها حسب أبجدية اللغة العربية. و ذيلت بخاتمة حاولت من خلالها أن أطرح عدة تساؤلات، و أن أقف عند بعض النتائج التي رأيت بأني توصلت إليها.

و أنا أنسج الخيوط و ألم تلابيب هذا البحث المتواضع، لا يسعني إلا أن أقدم خالص شكري و تقديري و احترامي للأساتذة المحترمين الذين قبلوا مناقشة هذا البحث. و كذا إلى كل زملائي الذين كونوا لي سندا قويا منذ بداية البحث. و أخص بالذكر الأستاذ الدكتور صبار نورالدين مشرفا و الأستاذ الدكتور رشيد بن مالك، و أعضاء اللجنة المحترمين. وإلى الدكتور الزاوي أمين و الدكتورة ربيعة جلطي و الأستاذة ليلى عبدي. و إلى كل الزملاء الأساتذة بأقسام اللغات الأجنبية. و عمال و عاملات المكتبة المركزية الجامعية أذكر على وجه الخصوص مجاهد عباس. و عمال و عاملات المكتبة الوطنية. و إلى كل من ساهم من بعيد أو من قريب في تذليل صعاب هذا البحث.

الباب الأول :

البصمات الأولى للظاهرة الترجمية.

الفصل الأول :

العرب وحركة الترجمة.

الفصل الأول : العرب و حركة الترجمة

- فترة ما قبل العباسيين.

مورست الترجمة في الشرق الأدنى منذ الألف الثالث قبل الميلاد، إذ نقلت وثائق سومرية إلى اللغة الأكادية. كل هذه تعتبر دلالات وصفية ليس إلا. أما بالنسبة للموضوع الذي أتناوله فإنه بالتأكيد ومن الجوانب التاريخية فيمس ترجمة الأعمال اليونانية إلى لغات الشرق الأدنى بما في ذلك اللغة العربية الذي كان أمرا واقعا حتى قبل ظهور العباسيين. إن كل النشاطات الترجمية ترتكز على أسباب و لها أهداف محددة.

بينما يبدو أن السبب في ظهور الترجمة هو إرادة إلهية تجلت في كون الإله شاء أن تختلف الألسنة بين بني الإنسان و أن تنزل الصحف المقدسة ببعض منها. في حين أن الغرض من العمل الترجمي هو التوسل بخصوصيات الألسنة لتبليغ ما تتضمنه من مقاصد بعضها إلى بعض. أما الوجه الذي تحقق به الترجمة غرضها التواصلي هو إيجاد الصيغ اللفظية المناسبة للمعاني المنقولة عن صيغ لفظية غيرها. لقد استقلت الترجمة في أطوارها و طرقها ووسائطها عما تضمنته الفلسفة العربية من نظرات في اللغة، مباني و معاني.[1]

كانت ثمة أحوال مادية هي التي هيأت الخلفية التي أعدت لحركة ترجمة أن تحدث و أن تزدهر، و هذه الأحوال المادية قامت على حادثتين تاريخيتين بالغتي الأهمية – الفتوح

---

[1] – أنظر : غوتاس ديميتري – الفكر اليوناني و الثقافة العربية – حركة الترجمة اليونانية العربية في بغداد و المجتمع العباسي المبكر – ترجمة و تقديم الدكتور نقولا زياده – المنظمة العربية للترجمة – مركز دراسات الوحدة العربية – ط1 – بيروت – لبنان – يونيو 2003/. ص : 103.

العربية المبكرة في الفترة الأموية، و الثورة العباسية التي بلغت الذروة سنة 134 هـ/750 م.

في أقل من ثلاثين سنة بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه و سام سنة 10 هـ/632 م كانت الجيوش العربية قد فتحت من جنوب غرب آسيا و شمال شرق أفريقية البلاد التي كانت، قبل ألف عام قد احتلها الإسكندر الكبير.

و مع قيام الثورة العباسية و بناء بغداد و انتقال عاصمة الخلافة إلى العراق تبدل وضع الدولة العربية، من حيث التوجهات الثقافية، تبدلا بلغ الغاية. و من ثم، و على مدى بعيد عن التأثير البيزنطي في دمشق، قام في بغداد مجتمع متعدد الثقافات أساسه المزيج السكاني المختلف ديمغرافيا في العراق. وكان هذا يتالف من مسيحيين و يهود ناطقين بالآرامية الذين كانوا يشكلون أكثرية السكان المستقرين و من ناطقين بالفارسية الذين كانوا يتمركزون في المدن أصلا ومن عرب كان البعض منهم مستقرين و مسيحيين مثل سكان الحيرة على الفرات، و البعض الآخر كان بدويا في ربوع المناطق الزراعية في شمال العراق.[2]

يقول عبدالرحمان بن خلدون : [إعلم أن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة، أو الجيل الغالبين عليها أو المختطين لها؛ و لذلك كانت لغات الأمصار الإسلامية كلها

---

[2] – أنظر : غوتاس ديميتري – الفكر اليوناني و الثقافة العربية – حركة الترجمة اليونانية العربية في بغداد و المجتمع العباسي المبكر – ترجمة و تقديم الدكتور نقولا زياده – المنظمة العربية للترجمة – مركز دراسات الوحدة العربية – ط1 – بيروت – لبنان – يونيو 2003/. ص : 55.

العربية المبكرة في الفترة الأموية، و الثورة العباسية التي بلغت الذروة سنة 134 هـ/750 م.

في أقل من ثلاثين سنة بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه و سام سنة 10 هـ/632 م كانت الجيوش العربية قد فتحت من جنوب غرب آسيا و شمال شرق أفريقية البلاد التي كانت، قبل ألف عام قد احتلها الإسكندر الكبير.

و مع قيام الثورة العباسية و بناء بغداد و انتقال عاصمة الخلافة إلى العراق تبدل وضع الدولة العربية، من حيث التوجهات الثقافية، تبدلا بلغ الغاية. و من ثم، و على مدى بعيد عن التأثير البيزنطي في دمشق، قام في بغداد مجتمع متعدد الثقافات أساسه المزيج السكاني المختلف ديمغرافيا في العراق. وكان هذا يتالف من مسيحيين و يهود ناطقين بالآرامية الذين كانوا يشكلون أكثرية السكان المستقرين و من ناطقين بالفارسية الذين كانوا يتمركزون في المدن أصلا ومن عرب كان البعض منهم مستقرين و مسيحيين مثل سكان الحيرة على الفرات، و البعض الآخر كان بدويا في ربوع المناطق الزراعية في شمال العراق.[2]

يقول عبدالرحمان بن خلدون : [إعلم أن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة، أو الجيل الغالبين عليها أو المختطين لها؛ و لذلك كانت لغات الأمصار الإسلامية كلها

---

[2] - أنظر : غوتاس ديميتري – الفكر اليوناني و الثقافة العربية – حركة الترجمة اليونانية العربية في بغداد و المجتمع العباسي المبكر – ترجمة و تقديم الدكتور نقولا زياده – المنظمة العربية للترجمة – مركز دراسات الوحدة العربية – ط1 – بيروت – لبنان – يونيو 2003/. ص : 55.

بالمشرق و المغرب لهذا العهد عربية، و إن كان اللسان العربي المضري قد فسدت ملكته و تغير إعرابه. و السبب في ذلك ما وقع للدولة الإسلامية من الغلب على الأمم، و الدين و الملة صورة للوجود و للملك. و كلها مواد له و الصورة مقدمة على المادة؛ و الدين إنما يستفاد من الشريعة، و هي بلسان العرب، بما أن النبي [ص] عربي، فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من الألسن في جميع ممالكها [...] فلما هجر الدين اللغات الأعجمية، و كان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربيا، هجرت كلها في جميع ممالكها؛ لأن الناس تبع للسلطان و على دينه، فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام و طاعة العرب، و هجر الأمم لغاتهم، و ألسنتهم في جميع الأمصار و الممالك][3].

انطلاقا من هذا الرأي الخلدوني سنؤسس نظرتنا لإشكالية اللسان العربي، و التقابل اللغوي و مدى التأثر و التأثير بين اللغة العربية و اللغات التي اتصلت بها. و هذا عبر الأزمنة المتعددة للفترات التاريخية ابتداء من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث.

إن أحسن مثال يصور لنا طريقة نقل الكتب إلى العربية في بداية النقل، هو ما ذكره ابن جلجل عن نقل كتاب ديوسقوريد في النبات من اليونانية، فقد ترجم بمدينة السلام أيام جعفر المتوكل، وكان المترجم له إصطفن بن بسيل الترجمان، وتصفح الترجمة حنين بن إسحاق فصححها وأجازها.

---

[3] – عبدالرحمن بن خلدون – تاريخ ابن خلدون – المجلد الأول – مقدمة – دار الكتب العلمية – بيروت – ص : 404/403.

فما علم اصطفن من تلك الأسماء اليونانية في وقعة له اسما في اللسان العربي فسره بالعربية، وما لم يعلم له اسما في اللسان العربي تركه على اسمه اليوناني اتكالا منه على أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربي. ثم ورد هذا الكتاب إلى الأندلس أيام عبدالرحمن الناصر، كما ورد لعبدالرحمن الناصر كتاب ديسقوريدس مصورا ومكتوبا بالإغريقية من ملك القسطنطينية أرمينوس على سبيل الهدية، ثم أرسل له براهب يسمى نيقولا، له معرفة بالإغريقية..فتمكن من تفسير ما كان مجهولا من أسماء عقاقير ديسقوريدس بالتعاون مع العلماء العرب الموجودين في بلاط عبدالرحمن الناصر وبمن له خبرة بعلوم النبات[4].

لقد عرف العصر الجاهلي الأخير الكتابة والترجمة، حيث أن الترجمة بداهة هي إتقان للغة ثانية أو أكثر، وإلمام بحضارة ما وثقافتها، فالترجمة تكون قد استخدمت عند القوم لأغراض دينية كترجمة المسيحية من اليونانية إلى العربية أو من الآرامية إلى العربية، أو من اليونانية إلى الآرامية، إذ لا يمكن أن نتصور انسلاخ الغساسنة من عروبتهم ليتروموا، والتاريخ يقول أنهم تنصروا ولا يقول تروموا، يمكن أن يكون العرب قد ترجموا اليهودية من العبرية إلى العربية، إذ كانت هناك قبائل عربية تدين باليهودية، وقد يكونوا استعملوا الترجمة لأغراض عملية مثل ما هو الحال في رحلاتهم التجارية، ولأهداف حضارية،

---

[4] – أنظر : السويسي محمد – مشكلة وضع المصطلح – اللسان العربي – المجلد 12 – الجزء 1 – ص : 11/10.

فالغساسنة كانوا يخدمون جندا لدى البيزنطيين وتطلع العبد إلى مقام سيده أمر طبيعي في الإنسان.

نخلص إلى أن عرب الجاهلية جُهّلوا من باب الحضارة والثقافة لغرض ما، والحقيقة أنهم كانوا على علم بثقافات مختلفة ومتنوعة مسيحية ويهودية وفارسية ويونانية وهندية وغيرها. كما كانوا يكتبون، وكتابة الشعر الراقي أمر محير لقوم يقولون عنهم جاهليين، إنهم متحضرين حيث كتبوا في مشاكل الحياة والموت كإشكاليات وجودية، استطاعت أن تتغلغل حتى في كتابات المحدثين باختلاف مآربهم.

إن ارتباط العرب باليونان من حيث أوجه الشبه في الحضارة تدلنا على " أن ترجمة الشعر اليوناني لم تكن دائما عارضة، وإنما هناك ترجمة عامدة، قصد القائمون بها الشعر لذاته، ونقلوه ليعرفوا العرب بأقوال شعرية يونانية، وقد كان هؤلاء يميزون دائما بين هذه الأقوال الشعرية والأقوال الحكمية، وعلى ذلك فإن عدم الصحة في نسبة تلك الأقوال الشعرية لا يقلل من شأن الغاية المعتمدة في ترجمتها، ومن ذلك تلك الأشعار المنسوبة إلى أوميرس التي ترجمها إصطفن بن بسيل(معاصر حنين بن إسحاق) وكلها من اللون الأيامبي.

وقد وصلتنا في كتاب "منتخب صوان الحكمة" وعنه نقل بعضها الشهرستاني في الملل والنحل، وهي أقوال تولاها الدارسون المحدثون بالدراسة، وقد أصبحت تعرف بين هؤلاء الدارسين باسم" الأقوال المناندرية" نسبة إلى شاعر يوناني اسمه مناندر. (Menander)

ولدى إبن هندو صاحب كتاب " الكلم الروحانية في الحكم اليونانية" فصل يتضمن صورة من هذه الأقوال الشعرية.

ونتقدم خطوة أخرى في هذه الترجمة للشعر حين نجد في كتاب" قطب السرور" للرقيق القيرواني حوالي 426 هـ، مقطعات شعرية –لا أقوالا– تنتمي كلها، بسبب طبيعة الكتاب (إذ هو في وصف الأنبذة والخمور) إلى الشعر الخمري، ولا تزال هذه القطع تتطلب مزيدا من البحث، لردها إلى أصولها، ومعرفة صاحب كل مقطوعة منها على التعيين."[5].

وخلاصة القول هي إذن نظرتنا إلى المرحلة التي سبقت الإسلام، إلا أن الأمر المحير هو عدم وجود الدليل التوثيقي التاريخي للبرهنة المادية عن رؤيتنا لهذه الحقبة، رغم ما قد نجده من رؤى مختلفة لبعض الذين اشتغلوا على موضوع اللغة ومنه موضوع الترجمة. ويبقى المجال مفتوحا، ولكن الملاحظة التي نود إثباتها هنا هي أن عصور الترجمة اللاحقة هي التي تؤسس وتوثق لهذه المرحلة الفنية، والمليئة بعلامات الاستفهام التي يجب على الفكر العربي أن يعيرها الاهتمام اللازم، وأن يعيد قراءة التراث العربي بمناهج جديدة، وأن يفتش على المخطوطات العربية التي لازالت شاهدة على عظمة هذه الحضارة، والموجودة في بعض مكتبات العالم، ومسحة الترجمة واضحة موجودة في هذه المصادر حتى أن بعضها تظل غامضة الدلالة بسبب بقائها بكرا غير مبحوث فيها، وفي غالب الأحيان غير محققة.

---

[5] –أنظر : إحسان عباس – ملامح يونانية في الأدب العربي – ص:15.

والكلام عن اللغة وعن الترجمة يعود بنا إلى عصور ما قبل الفتح الإسلامي لسوريا البيزنطية، وفارس، ومصر. فإذا كان كسرى قد تأثر بالفلسفة اليونانية وأقام لها مدارس وبدأ التفكير على النمط الإغريقي بعقد"مجالس البحث والمناظرة"، فلقد كانت سوريا البلد الذي ترعرع فيه الفكر المسيحي متمثلا في عقيدة النسطوريين.

أما المجمع المسيحي الثاني، فهو ذلك الذي يؤمن بالطبيعة الواحدة للمسيح Monophysite الذي اتبع الأقباط المصريون عقيدته، وطلقوا لغة الإمبراطورية البيزنطية التي اضطهدتهم واستعملوا اللغة القبطية والسريانية، إلا أنهم لم يغادروا الإمبراطورية كما فعل النسطوريون. لقد تضافرت جهود المجمعين في ترجمة الكتب الفلسفية والعلمية لتبليغ دينهم تارة عن طريق الكلمة الحسنة وتارة عن طريق الجدل، ونتيجة لذلك وجد رصيد كبير من المؤلفات العلمية باللغة السريانية، لكون النسطوريين قد ترجموا أكثر من اليعاقبة الأقباط، وذلك لطبيعة وجودهم خارج الإمبراطورية البيزنطية، يواجهون أقواما لا تدين بالمسيحية.

وإذا اختص هؤلاء بالعلم النظري والتأمل الفلسفي، فإن اليعاقبة في مدرسة الإسكندرية، اتجهوا نحو العلوم التطبيقية كالطب، وهذا التحول النوعي في نمط التفكير أدى بهم إلى التفريق بين مباحثهم وبين الفلسفة. وبرع عندهم في الطب" بولس الأجانيطي Paul of

Aeginac الذي كان يدرس في مدرسة الإسكندرية في الوقت الذي تم فيه الفتح العربي الإسلامي، والذي ظلت مؤلفاته تدرس طيلة الوجود العربي.[6]

وكان من أوائل النصوص السياسية المنقولة إلى العربية الرسائل المنحولة إلى أرسطاليس وخاصة رسالة بعنوان "السياسة في تدبير الرياسة" أو "سر الأسرار" فيما كتبه للإسكندر، وهي الرسالة التي يعتمد الأستاذ غرينياسكي أن أساسها الأول تمثله" رسالة في السياسة العامة" المنحولة أيضا له، والتي ربما كانت من النصوص التي نقلها سالم أو نقلت له.

وقد حظيت تلك الرسائل المنحولة لأرسطوطاليس وبخاصة "رسالته في السياسة العامة" التي تطورت من بعد في ما سمي" سر الأسرار" بما لم يحظ به غيرها من عناية، استنساخا واقتباسا وإضافة، ولكن الذي يهمنا–في هذا المقام– هو أنها وجدت من يعيد صياغتها في أسلوب مسجوع لتصبح قطعة أدبية لا محض رسالة سياسية.

فقد أورد أبو حيان التوحيدي في كتابه" الإمتاع والمؤانسة" صورة من هذه الصياغة الأدبية بين مجموعة من الحكم القصيرة التي، لربما نشك، أن يد التحوير قد مستها، وتجري العبارة التي أوردها التوحيدي كما يلي:" تجرع من عدوك الغصة إن لم تنل الفرصة، فإذا وجدتها فانتهزها قبل أن يفوتك الدرك، أو يصيبك الفلك، فإن الدنيا دول تبنيها الأقدار،

---

[6] – أنظر – ن.م.س. ص: 26/16.

ويهدمها الليل والنهار" وليست العبارة في صورتها هذه إلا ترجمة لقول ينسب إلى أرسطاليس وهو:" افترض من عدوك الفرصة واعلم أن الدنيا دول."[7]

أما المدرسة الثالثة التي أثرت في عملية الترجمة عند المسلمين، فهي مدرسة "جنديسابور"[8]. فإلى جانب الفلسفة كان يدرس في هذه المدرسة السريانية العلوم والآداب الهندية وعرفت هذه المدرسة خاصة بعلوم الطب، ومن أعلامها "شاراك Sharak " و "قولهومن "Qolhoman، وهندي آخر إ"شاناك" له رسالة في السموم ترجمت ليحيى بن خالد البر مكي إلى الفارسية ثم من بعدها إلى العربية للخليفة المأمون.

كان للنسطوريين مترجمين كسيرجيس الذي كان طبيبا، وترجم من اليونانية إلى السريانية جزءا كبيرا من أعمال "جالينوس"، وكتب في المنطق سبعة مجلدات كما ألف مقالة حول تعليل الكون حسب مذهب أرسطاليس، فكان بحق حجة في الطب والكيمياء والفلسفة والترجمة حتى غدا مرجعا لكل من النساطرة واليعاقبة في مصر.

- **<u>الكتابة عند العرب</u> :**

تعتمد الترجمة على شيئين اثنين المشافهة والكتابة، وإذا كانت المشافهة إشكالية ترتبط بالإنسان من حيث النطق والتعامل مع الإنسان، وهذا ما نحاول إبرازه، فما قولنا في التدوين– الكتابة، هل كانت عند العرب في الجاهلية كتابة ؟

---

[7] – ن.م.س. – ص:127.

[8] – وهي مدينة إيرانية تقع في "خوزستان" والتي أسسها "سابور الأول"، ووضع فيها الشعوب اليونانية التي أسرها،

إن الشائع في الكتب التي تبحث في هذا الموضوع، خاصة الدينية والأدبية تقر بأن العرب عرفوا الكتابة منذ العصر الجاهلي، فالمعلقات سميت كذلك لأنها كانت تكتب وتعلق على جدران الكعبة. و "ذهب بعضهم إلى أن تدوين العلوم والأخبار لم يحدث إلا في منتصف القرن الثاني للهجرة، وهذا ما يظهر لنا غير صحيح، فإن التدوين بدأ منذ القرن الأول، بل كان قبل الإسلام تدوين، وكان هذا التدوين كثيرا في البلاد المتحضرة كاليمن والحيرة، وقليلا في بلاد الحجاز، فالحميريون في اليمن دونوا كثيرا من أخبارهم وحوادثهم، ونقشوها على الأحجار، ولا تزال آثارهم في ذلك تستكشف بين حين وآخر. أن النبي (ص) لقي سُوَيْدَ بن الصامت وكان معه مجلة لقمان، أعني صحيفة فيها حكَم لقمان، فلما جاء الإسلام اتخذ النبي (ص) كتبة للوحي فكانوا يكتبون على الرقاع والأضلاع وسعف النخل والحجارة الرقاق البيض، ثم جمعت هذه الصحف في عهد أبي بكر، وعني بعض الصحابة بكتابة حديث رسول الله (ص)، كعبدالله بن عمرو بن العاص، فإنه كان يدون ما يسمع من رسول الله، قال أبو هريرة:"ما أحد من أصحاب رسول الله (ص) أكثر حديثا مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو، فإنه كان يكتب ." وقال عبدالله بن عمرو:" كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله (ص) أريد حفظه"...بل قد رأيت النبي (ص) دعا بعض أصحابه أن يتعلم العبرية والسريانية ليدون بها رسائله."[9]

---

[9] - أحمد أمين –فجر الإسلام – ص:166.

- **فترة الحكم الأموي.**

يؤمن المسلمون إيمانا قاطعا على أن القرآن الكريم كلام الله، نزل به جبريل على محمد (ص) خاتم الأنبياء والرسل في مدة زمنية قدرها ثلاث وعشرون سنة، فعشر سنوات قضاها الرسول (ص) في مكة، وسور هذه المرحلة تعالج قضايا العقيدة الجديدة على المجتمع العربي، وسور المرحلة الثانية، أي بعد هجرة الرسول (ص) إلى يثرب وتأسيسه المدينة. وقد عنى القرآن في هذه المرحلة بشؤون المجتمع ونظمه العلمية المتعلقة بنظام الحياة من تنظيم الصلات والعلاقات الاجتماعية بين الناس، بين الفرد وأسرته الصغيرة، والفرد والمجتمع أسرته الكبيرة، وبين جماعات المجتمع بعضها مع البعض الآخر، وبين المجتمع والدول الأخرى، وما يجب أن يكون بينهما من معاملات مدنية وسياسية وحربية، كما تعرضت هذه السور المدنية لأصول الحكومة الإسلامية ومبادئ العدالة والتشريع.[10]

إن النص الإسلامي هو قواعد دين وقواعد عمران، عقيدة وحضارة، بخلاف المسيحية التي هي دين الروح فقط uniquement une religion de l'esprit ، فالإسلام من هذا المنطلق انسجام وتوفيق نصي بين الروح والمادة، وهو على خلاف مادية الحقب الزمنية التي سبقته، خاصة تلك التي نعتت بالجاهلية.

إن الحركة العلمية في العهد الأول للعصر الإسلامي كانت مزدهرة، حيث يروي لنا البلاذري في كتابه" فتوح البلدان" أن الإسلام دخل وفي قريش سبعة عشر رجلا كلهم

---

[10] - صلاح الدين بسيوني–القرآن الحكيم، رؤية منهجية جديدة لمباحث القرآن الكريم–مكتبة نهضة الشرق– القاهرة– مصر–1985–ص130–131.

يكتب[11]، يروي البلاذري أيضا " أن الكتاب (يريد الكتابة) بالعربية، في الأوس والخزرج كان قليلا، وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية وكان يعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول، فجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون، وقد عدهم فكانوا أحد عشر.[12]

ابتداء من حكم الخليفة عمر بن الخطاب بدأت الفتوحات الإسلامية التي تواصلت بحزم شديد، وأخذ مشعلها الأمويون بعد أن أقاموا دولتهم في الشام، فتعرف العرب على حضارات تفوقهم علما وعمرانا، كحضارة الفرس وحضارة البيزنطيين في الشام ومصر، ليدركوا معاقل الفكر في إنطاكية وخاصة مدرسة الإسكندرية الفلسفية.

إن عدم استقرار الأمويين لانشغالهم بالفتوحات، وقوة إيمانهم، شغلتهم عن التمعن في تراث الأمم التي أصبحت خاضعة لسيطرتهم وسلطانهم، وعليه لم يتعاط الأمويون بشكل واسع الترجمة، مثلهم في ذلك مثل أسلافهم، وإن كانت الرؤى تتشعب، فزيد بن ثابت أنصاري صحب النبي (ص) منذ صباه، والذي تعلم السريانية والعبرية، ولكن لا ندري إلى أي حد كان متقفا بثقافاتهم، فهم يحدثوننا أنه تعلم اليهودية في نصف شهر والسريانية

---

[11] - عمر بن الخطاب– علي بن أبي طالب– عثمان بن عفان– أبو عبيده بن الجراح– طلحة– يزيد بن أبي سفيان– أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة – حاطب بن عمرو– أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي– أبان بن سعيد بن العاص بن أمية – خالد بن سعيد أخوه – عبدالله بن سعيد بن أبي سرح العامري – حويطب بن عبدالعزى العامري – أبو سفيان بن حرب – معاوية بن أبي سفيان – جهيم بن الصلت. ومن حلفاء قريش العلاء بن الحضرمي، وقليل من نسائهم كن يكتبن، كحفصة وأم كلثوم من زوجات النبي (ص)، والشفاء بنت عبدالله العدوية.

[12]-أحمد أمين– فجر الإسلام– ص:140–141.

في سبعة عشر يوما، وهي أيام قليلة لا تكفي لحذق لغة والقدرة على تفهم آدابها؛ فهل استمر يتعلم حتى نال قسطا من آداب اللغتين؟ أم استفاد من الترجمات التي كانت موجودة في التوسع في علم ثقافات هاتين اللغتين؟.

إن الثقافة اليونانية وغيرها قد بدأت تتسرب بقوة إلى العالم الإسلامي، لكن إنشغال المسلمين بالحروب وقوة العقيدة حالت دون اقتناء فلسفة الأمم المجاورة أو المغلوبة، على الرغم من وجود محاولات لا يستهان بها، فمثلا ابن النديم في "الفهرست" يقول إن خالد بن يزيد بن معاوية –الذي كان ولوعا بالعلوم– خطر بباله الصنعة (الكيمياء) فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان ينزل إلى مدينة مصر، وقد تفصح بالعربية، أمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة. وممن قام بالترجمة له "إصطفن" و "مريانوس الراهب"، في مختلف العلوم كالطب وكتب المنطق وغيرها. أما الشيرازي فيذكر أن كثيرا من المتكلمين استفادوا من بعض القواعد الفلسفية اليونانية[13].

إن الترجمة في هذه المرحلة كانت تقتصر على صاحبها دون العمل على إخضاعها لمنطق الجماعة، أو محاولة إنشاء مدارس تختص بهذا العلم أو الفن، وكان النبي (ص) قد حث" بعض أصحابه أن يتعلموا لغة غير اللغة العربية، لما دعت الحاجة إلى ذلك – بعد انتشار الإسلام– ففي "البخاري" عن زيد بن ثابت قال: أُتيَ بي النبيَّ (ص) مقْدَمَهُ المدينة

---

[13] – ابن النديم – الفهرست – دار المعرفة – بيروت – الطبعة الأولى 1994م – ص : 434.

المدينة، فقيل: هذا من بني النجار، وقد قرأ سبع عشرة سورة، فقرأت عليه فأعجبه ذلك، فقال: تعلمْ كتاب (كتابة) يهود، فإني ما آمنهم على كتابي، ففعلت، فما مضى لي نصف شهر حتى حَذَقْتُهُ، فكنت أكتب له إليهم؛ وإذا كتبوا إليه قرأت له". وفي حديث آخر "عن زيد بن ثابت قال: قال لي النبي (ص): إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا علي أو ينقصوا، فتعلم السريانية، فتعلمتها في سبعة عشر يوما."[14]

وقد "فتح المسلمون هذه البلاد في القرن السابع الميلادي و أسلم بعض السريانيين، وظل بعضهم محافظا على دينه يدفع الجزية، ولكن الآداب السريانية على الجملة أخذت في الضعف، ومع ذلك فقد نبغ كثير منهم في العصر الأموي والعباسي، وظلت المدارس السريانية مفتوحة في عهد الدولة الأموية كما كانت، ولم يكن الخلفاء والأمراء يتدخلون في شئونهم إلا عندما يحتدم النزاع الديني بينهم فيلجأ بعضهم إلى الولاة يستنصرهم."[15]

لقد استمرت الحياة الثقافية على هذا النحو، تتجاذبها عدة أطراف، في تفاعل ثقافي وفلسفي ولغوي، نتيجة لدخول عنصر النص الديني الإسلامي كفاعل في الحركة، وكمحدد لكثير من المضامين النصية سواء القديمة أو الحديثة، وكرابط إيجابي في التفتح على الثقافات الأخرى، ومحاولة الحفاظ على ما هو موجود.

ولم يقص النص القرآني الشعوب الأخرى بل أصر على أن يكون هو المحرك الفاعل لكل الاتجاهات الثقافية والاجتماعية والسياسية، حيث نجده يفتح المجال للفكر الإنساني، فحين

---

[14] – أحمد أمين – فجر الإسلام – ص : 142.

[15] – نفسه – ص : 132.

فتح المسلمون بعض البلاد، كانت مملوءة بالنصارى في مصر مثلا وبلاد المغرب والأندلس والشام، وكانت النصرانية عند الفتح منقسمة إلى جملة من الطوائف أشهرها في الشرق اليعاقبة وكانت موجودة في كل من مصر والنوبة والحبشة، والنساطرة وكانت منتشرة في الموصل والعراق وفارس، والملكانية وكانت موجودة في بلاد المغرب وصقلية والأندلس والشام. ولم يجد النص القرآني الوضعية خالية من المعتقدات والتصورات الحياتية.

وقد اشتهر من السريانيين في العصر الأموي يعقوب الرهاوي (640-708م)، حيث ترجم كثيرا من كتاب الإلهيات اليونانية، ولما جاء دور نقل الفلسفة والعلوم إلى العربية في العهد العباسي، كان لهؤلاء السريانيين الفضل الأكبر في الترجمة، أمثال حنين بن إسحاق، وابنه إسحاق، وابن أخته حبيش.[16] ، ومن السريانيين المترجمين قبل هذا العصر سرجيس الرسعفي من مدينة "رأس العين" وقد مات عام536م، وهو من أشهر المتأدبين بالآداب اليونانية، وترجم منها إلى السريانية كتبا كثيرة منها رسائل لأرسطو ولفورفوريوس ولجالينوس.

- **<u>تأسيس الفكر الترجمي العربي.</u>**

من خلال ما تقدم نلاحظ أن الحركة الترجمية لم تتوقف، وأنها كانت فعلا يهم الفئات المثقفة والفئات السياسية على حد سواء، ولهذا نجد أن الفكر العربي بدأ يتأسس تأسيسا

---

[16] – أحمد أمين –فجر الإسلام – ص:131-132.

حقيقيا، مما سيجعله في التاريخ القريب نموذجا، أو وساطة بين الحضارات القديمة والحضارات القادمة، ولذلك فإن هذا الفعل الترجمي كان هو القاعدة التي انطلقت منها الحضارة العربية الإسلامية انطلاقة فعلية حقيقية، لأنها تشعبت في الرؤى والحجج والجدل الذي ينبني من ورائه الفكر.

إضافة إلى ما تقدم عن البدايات الأولى لعصر الترجمة الأول، نجد الأستاذ كارم السيد غنيم يقدم قراءة أخرى تضيف إلى تاريخ الترجمة نصاعة ووضوحا، حيث يقول[17] :-

"إن أول ترجمة ذات طابع علمي، وقعت في الإسلام كانت على يد خالد بن يزيد بن معاوية المتوفى (85هـ – 704م). الذي تخرج في علوم الحكمة على رهبان مدرسة الإسكندرية كمريانوس، وإسطفانوس. وبذل العطايا والهبات وبذل المال، لأهل الحكمة ورؤساء الصنعة والمترجمين الذين قاموا بنقل كتب النجوم والطب والكيمياء والحروب والآداب والآلات والصناعات]، ويقول إبن النديم: لقد كانت له محبة للعلوم،... فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كانوا ينزلون بمصر، وقد أجادوا العربية، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربية، وهذا أول نقل كان، أي في الإسلام.

---

[17] – كارم السيد غنيم – مجلة عالم الفكر – مقال – ص:55.

ثم جاء الخليفة مروان بن الحكم فوجه بعض همته إلى النقل فترجم له ماسرجويه البصري كتاب أهرون بن أعين القس من السريانية ويعد من الكتب النفيسة التي تناولت الحكمة وغيرها.

وسار عبد الملك بن مروان (65-86هـ) على منوال والده في الاهتمام بالنقول والترجمة، حتى ليعد هذا الخليفة أبرز خلفاء بني أمية اهتماما بالتعريب والترجمة، حيث وجه همته إلى ترجمة الدواوين إلى العربية، لأن دواوين مصر كانت مازالت بالقبطية، ودواوين الشام بالرومية، ودواوين العراق بالفارسية، وبذلك وضع لبنة قوية في صرح بناء القومية العربية، وتأصيل التعريب.

ولما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ) عثر على أهرون في خزائن موروثات الخلافة فأخرجه، وحث المسلمين على قراءته والانتفاع به لما له من أثر كبير في التفكير الفلسفي، واحتوائه على ألوان من الحكمة ذات القيمة في بناء الحياة الفكرية.

ومما يذكر بالثناء ما قام به أبو العلاء سالم، كاتب هشام بن عبد الملك (105-125هـ) من نقل رسائل أرسطو، وكان سالم ممن يجيدون العربية واليونانية، حتى أنه أعاد النظر فيما سبق ترجمته وأصلح كثيرا من أخطائه."[18]

إنها جوانب تاريخية مثبتة تؤسس للظاهرة الترجمية تاريخيا ببعد علم معرفي تسلسلي قد نجده في أهم المؤلفات التاريخية عند العرب و في أمهات كتبهم. إنه تاريخ مؤسس اهتم به

---

[18] -كارم السيد غنيم -عالم الفكر -مقال - ص:55.

جل المؤرخين و الباحثين في مجال البدايات الأولى للظاهرة الترجمية من جهة و لتاريخ الآداب العربية من ناحية أخرى، إنها فكرة تؤسس للتلاقح اللغوي الألسني بين الشعوب المختلفة.

إن الانقلاب السياسي الكبير الذي عرفه العرب، هو ذلك الذي وقع على مستوى الفكر، حيث لم يتعرض العرب المسلمون لحقوق الطوائف الدينية التي بقيت وفية لتعاليمها المسيحية في مقابل الخضوع لقوانين الدولة الجديدة. فلم تتأثر حرية هذه الطوائف، بل دأب أعضاؤها في البحث والعمل والنشاط بمنهجهم العادي والمعتاد. فظهر علماء كثيرون كـــ (سيفيرس سيبوقط [Severus Sebokt] وتلاميذه (أتناسيوس بال [Athnasius Bald] الأسقف اليعقوبي (684 م)، ويعقوب الرهاوي [Jacob Of Edessa] الذي أصبح أسقفا على الرها عام 684 م، وهؤلاء التلاميذ كونوا بدورهم تلاميذ آخرين مثل جرجيس الذي عين أسقفا على العرب سنة (686م)، وقد قام بترجمة كتاب أرسطو "منطق الأورغانون" وكتاب "الهرمنطيقا"، وكتاب "أناليطيقا الأولى" بعد أن قدم لهم في البداية وعلق عليهم في هوامش ساعدت على فهم فكرهم.

إن البحث العلمي لم ينقطع مع دخول العرب المسلمين، بل تواصل في محيط يشجع العلوم وفي جو الأمان والطمأنينة تحت رعاية الإسلام إلى حدود القرن الثاني عشر الميلادي مع "ديونيسوس بارصاليبي [Dionisus Bar Salibi] الذي علق على كتب أرسطو، والقرن الثالث

عشر الميلادي مع "يعقوب بار شاكوكو [Jacob Bar Shakoko] الذي كتب في الفلسفة والمنطق والموسيقى (علم الطبيعة) والرياضيات والميتافيزيقا.

كما كان القرن الثالث عشر هو آخر عصر للنقل والترجمة من اليونانية إلى السريانية، واستمرت الترجمة بين اللغات الأخرى، كما سيأتي بيانه.

والملاحظ أن السريان لم يبتكروا شيئا من عندهم، بل أن علومهم ارتكزت كلها على ترجمة الفكر اليوناني لأغراضهم المختلفة، ولم يستقلوا فكريا إلا إذا استثنينا توجيه الفكر بآراء أرسطو وإخضاع فلسفة اليونان، [الأفلاطونية المحدثة]، لمبدأ يخدم فكرهم المسيحي، وهو نفس الشيء الذي حصل بالنسبة لليعاقبة في الإسكندرية.

لقد ورث العرب الفاتحين –إذن– كل هذه الخلفية العلمية والنشاط الديني والفلسفي، على أن الترجمة في العهد ما قبل العباسيين كان لها إطاران وجهاها إلى الهدف المنشود حيث تقوم الحضارة–حسب اعتقادنا– على سببين رئيسيين هما عامل الفكرة أو القوة الروحية وعامل القوة العسكرية، [Que la civilisation est un ensemble des caractères propres à la vie intellectuelle, artistique, morale et matérielle d'un pays ou d'une société.][19]

و بعدها أخذت الترجمة طابع الشمول، فبعد أن كانت في نطاق رغبة الخلفاء الأمويين لإشباع نهمهم العلمي، أصبحت سنة من سنن الدولة، ومنهجا من مناهج الأفراد والأسر، وذلك عندما كثر إختلاط العرب بأبناء الدول المفتوحة من الخليج إلى المحيط، إستشعروا

---

[19] - Petit Larousse – Illustré – 1984 – P : 209.

الحاجة إلى علوم ومعارف لم تكن لهم بها صلة أو علم أو كانت ولكنها كانت صلة ضئيلة، فأرادوا الاستزادة منها، فقربوا العلماء والأطباء والحكماء، وأهل الفنون والأدب، والحساب والفلك، وأجزلوا لهم العطاء.

ولايفوتني هنا أن أشير إلى أشياء ثلاثة يونانية كان لها أثر على النص العربي وهي:

الأول: كلمات أخذها العرب من اليونانية حيث يروي الثعالبي في "فقه اللغة" أن عليا رضي الله عنه سأل شريحا مسألة فأجابه، فقال له: قالون: أصبت بالرومية.

الثاني: ما كان من أثر في الشعر لشعراء النصرانية في الإسلام، أمثال الأخطل والقطامي، وحتى هؤلاء فإن أثر النصرانية في شعرهم قليل، حتى يقول "الأدب لامانس" نفسه: إن أثر النصرانية في ديوان الأخطل أثر ضعيف، ونصرانيته نصرانية سطحية، ككل العقائد الدينية بين البدو."

الثالث: وهو أكثرها تأثيرا الحكم اليوناني، وهذا النوع عني به السريانيون قبل العرب، فنقلوا منه عن اليونانية الشيء الكثير، ثم أخذه العرب لما كان يتفق وذوقهم الأدبي.[20]

وكان هؤلاء جميعا من الممثلين للثقافة، وهم المفترضة طاعتهم والمسموعة كلمتهم عند الجماهير، وكانوا على ما وصفناه من الحفاظ الديني على العربية، وبينهم أناس ينحدرون من سلالات عربية عريقة كانوا يغارون على لغتهم تدينا وقومية، حين يغار عليها أولئك

• [20] - أحمد أمين –فجر الإسلام – ص:137-138.

الأعاجم تدينا، كالذي نقرؤه من كلام جار الله محمود بن عمر الزمخشري[21] في الإعتزاز بالعربية، حيث يقول في مقدمة كتابه "المفصل" في علم النحو: الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية، وأبى لي أن أنفرد عن صميمهم وامتاز وأنضوي إلى لفيف الشعوبية وأنحاز، وعصمني من مذهبهم الذي لم يجر عليهم إلا الرشق بألسنة اللاعنين، والمشق بألسنة الطاعنين"[22].

وكان العرب قد تأثروا بالحكم اليونانية، وأعجبوا بها ونقلوها وأضافوها إلى ما كان لهم في الجاهلية، وكان للفرس في ذلك الشيء الكثير، إما مبتكرا من عند أنفسهم، أو منقولا من الهند عن طريقهم، وأوضح مثل لذلك الأدب الصغير والأدب الكبير لإبن المقفع الفارسي. وكانت هذه الحكم تنقل ويتداولها العلماء، ويتأدب بها الناس، كما ترى في كثير من كلمات الحسن البصري الفارسي، وتجد كثيرا منها في كتاب عيون الأخبار لإبن قتيبة، وسراج الملوك للطرطوشي، والتاج والعقد الفريد.

وزاد عدد الشعراء والكتاب، كعمر الخيام والأنوري والخاقاني وعمعق ونظامي العروضي والبيهقي والغزنوي وغيرهم، وكثر أمثال هؤلاء على توالي الأيام حين كان أرباب الحفاظ على اللغة العربية من أمثال الزمخشري ينقرضون، أو يندمجون في الغمار العجمي تدريجيا، حتى انحسرت العربية في أخريات هذا العصر عن بلاد فارس كلها، وبقيت

---

[21] – كان ذا روح عربية بريئة من دنس الشعوبية،والشعوبيين الذين بدأوا في أخريات هذا العصر يعلنون عصبيتهم على اللغة العربية، ويفاخرون بإحياء مجد فارس، فأغضبه ذلك لأنه مسلك يعارض مقتضيات الأخوة الإسلامية.

[22] – أبن المقفع – الأدب الكبير – م.س. ص :

مقصورة على علماء الدين من حيث القراءة بها للقرآن وبعض أصول الدين، وقل من يقيمها منهم على لسانه صحيحة سليمة.[23]

إن ما يهمنا في هذا الصدد هو إعادة ترجمة الآثار اليونانية سواء مباشرة أو عن طريق لغة أخرى بأسلوب رفيع، لا لكي يسهل حفظها وحسب، بل لكي تصبح نموذجا أدبيا يحتذيه الكاتب، وإذا اقتبس منه خفي إقتباسه، واندرج ما إقتبسه ضمن أسلوبه المتوازن المسجوع.[24]

ولكن ما كتب في عصر الأمويين لم يصل إلى أيدينا منه إلا القليل، وأغلب هذه الكتب أخذت عن العلماء من طريق الرواية، وأدمجت في كتب العباسيين التي كانت أتم نظاما، وأرقى في فن التأليف؛ وبعض هذه الكتب الأموية كانت موجودة في العصر العباسي وما بعده؛ فابن النديم يقول : إنه رأى صفحات إبي الأسود الدؤلي في النحو، وإنه رأى كتاب عبيد بن شرية في الأمثال؛ وابن خلكان يقول: إنه رأى كتاب وهب بن منبه في تاريخ اليمن، ولكن في عهدنا هذا لم يصلنا شيء يصح أن يوثق به إلا القليل."[25]

لقد كان معظم الملوك والأمراء مثقفين، وكان منهم أدباء ومؤلفون ومؤرخون، فاتبعوا سنة التأليف و العلم في اتخاذ وزرائهم من أعيان العلماء والبلغاء ، كما هيأ الارتقاء الحضاري لطوائف المتعلمين تنظيم العلوم، وإعداد وسائلها من "مكتبات" ومدارس ومناهج

---

[23]- أنظر: محمد بهجت الأثري- مصطفى جواد -كمال إبراهيم -الأساس في تاريخ الأدب العربي -مطبعة العاني -بغداد – 1956 -ص:108-114.

- [24] إحسان عباس -ملامح يونانية في الأدب العربي – ص:126.
- [25] -أحمد أمين -فجر الإسلام – ص:169.

دراسة، مما هيأ لإنشاء مكتبات لاحقا في كل من غرناطة وخراسان وما وراء النهر والعراق والشام ومصر والقيروان والمهدية وتلمسان وفاس وحواضر الأندلس مكتبات عظيمة تضم في خزائنها أهم ما أنتجه العالم الإسلامي، وفتحت أبوابها لطلاب العلم للمطالعة والمراجعة والنسخ، وأعد فيها للناسخين كل شيء من ورق ودوي وأقلام بالمجان، ورتب عليها مشرفون من العلماء والمؤرخين والشعراء أمثال مسكويه الفيلسوف في فارس، والأبيوردي الأموي الشاعر المشهور في بغداد، والخالديين من شعراء سيف الدولة في حلب، فكانت هذه المكتبات قبلة لطلاب العلم والعلماء، يتلقون فيها، ويتداولون المسائل العلمية والأدبية.

و أصبح – كما سيأتي ذكره في مكانه– بجانب هذه المكتبات العامة مكتبات خاصة لكل عالم، ينهل منها علمه، ويثقف عقله، ويهذب نفسه، أما القيروان فإن المجادلات الثقافية التي توفرت لها في زمن بني زيري، وخاصة في عهد باديس وابنه المعز، ما تزال بحاجة إلى مزيد من البحث والإستجلاء.

وقد تحملنا الأسماء الأدبية التي لمعت في تلك الفترة مثل عبدالكريم النهشلي وابن شرف وابن رشيق والحصري صاحب زهر الآداب، على القول بأننا نواجه ثقافة عربية خالصة، ولكن التفاتة من زاوية أخرى قد تجعل هذا الحكم يبدو متحيزا، وحسبنا أن نذكر راعي الأدب والأدباء في عصره ومن بإسمه ألف ابن رشيق كتاب العمدة، أعني علي بن أبي الرجال، فقد كان مضطلعا بالثقافة اليونانية، وكتابه "البارع" في علم النجوم، خير دليل

على ذلك، ففي هذا الكتاب نقول مستفيضة عن المصادر المترجمة والمؤلفة في هذا العلم، وقد إحتفظ بكثير مما ترجمه توفيل أو فسره عمر بن الفرخان من كتاب دروثيوس المنظوم.

من هنا يمكن أن نفهم موقف المقارنة بين العرب وغير العرب، فالشاعر عند العرب هو المتغزل المتماوت، وعادة العجم أن يجعلوا المرأة هي الطالبة والراغبة المخاطبة." ويجيز الفوارق المتأتية عن اختلاف المقامات والأزمنة وحسب، بل عن اختلاف البلاد أيضا "ويستحسن عند أهل بلد ما لايستحسن عند أهل غيره" ولا أخال إلا أن هذا كله يعود إلى شيء من أثر الثقافة اليونانية.[26]

كل هذا وغيره غذى النهضة العلمية والأدبية والترجمية، فسارت سيرها العادي والسريع إلى التقدم والإزدهار و التطور. حيث تفرعت وتوزعت العلوم والآداب والفنون الجديدة من نصوص مسرحية وترجمية، وامتازت بالنضج واتساع الآفاق، وتكثيف الرؤى، فظهر عليها أثر الثقافات السامية والآرية، وكل ما تكرمت به الحضارات الإنسانية عبر التاريخ القديم، ونبغ في المساحة الإسلامية، من حدود الصين وبلاد الهند شرقا إلى أعماق الأندلس وبلاد الغال غربا، ألوفا من العلماء والأدباء والشعراء والمترجمين.

لقد نشطت الحركة ونشط هؤلاء حيث ألفوا ونقلوا وترجموا أمهات الكتب والموسوعات في العلوم الإنسانية والإجتماعية والشرعية والعقلية حيث أحصيت العلوم والفنون والآداب

• [26] إحسان عباس – ملامح يونانية في الأدب العربي – ص:89-91.

التي عرفت في هذا العصر عند العرب فزادت عن ثلاث مائة (300) عدا. "يقول النباتي ضياء الدين بن البيطار، في مقدمة كتابه(الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) :" وذكرت كثيرا منها (الأدوية) بما يعرف به في الأماكن التي تنبت فيها الأدوية المسطورة كالألفاظ البربرية واللاتينية وهي أعجمية الأندلس إذ كانت مشهورة عندنا.

إن الثقافة العربية التي تأسست على القرآن وآداب العرب القديمة كان أثرها واضحا بارزا في اللغة وفي الآداب، وانعكس هذا الأثر على الترجمات من اللغات الأخرى.

إن الثقافة الدخيلة على اللغة العربية كان لها أثر واضح، إذ نقلت معارف الأمم الأخرى وأفكارها وخواطرها وفلسفاتها وآدابها إلى اللغة العربية، واستفاد منها أهل العصر في معانيهم وتصوراتهم، وأبعادهم الفلسفية، فكان لابد أن يظهر أثرها فيما يكتب الكتاب، ويترجم المترجمون.

فمن الوجهة التاريخية لم يكن من السهل أن تفرض الفارسية أو ما سواها من اللغات، مع هذا السلطان الغالب للغة العربية فبقيت اللغة العربية صاحبة السيادة والنفوذ في جميع الممالك الشرقية طوال قرنين من العصر العباسي، وكتبت بها آلاف مؤلفة من الكتب.

كما كان للنصاري دورا كبيرا في حركة الترجمة حيث " إنتقلت الصناعة إلى أيدي النصارى، فأول من هذب المفردات اليونانية ونقلها إلى اللسان السرياني « دويرس البابلي" ولم يزد على ما ذكروه شيئا...حتى أتى الفاضل المعرب والكامل المجرب "إسحق بن حنين النيسابوري" فعرب اليونانيات والسريانيات وأضاف إليها مصطلح الأقباط لأنه

أخذ العلم عن حكماء مصر وأنطاكيا..واستخرج مضار الأدوية ومصلحاتها. ثم تلاه ولده حنين ففصل الأغذية من الأدوية فقط، ولم أعلم من النصارى من أفرد هذا الفن غير هؤلاء. وأما النجاشعة فلهم كثير من الكناشات" [27] في مواضيع مختلفة.

وفي غضون هذين القرنين نما الشعور القومي في الدول الشرقية، فنمت الفارسية شيئا فشيئا، ونضج الميل عند فريق من العلماء إلى التأليف بها بتأثير السامانيين والغزنويين والغوريين وملوك خوارزم والسلجوقيين، فكتب ابن سينا والبيروني والغزالي بعض كتبهم بالفارسية، ومعظمها باللغة العربية.

ومثل ذلك يقال في كثير من الكتب التي ترجمت عن الفرس كعهد أردشير وكتاب الآيين وكتاب التاج في أخلاق الملوك وغيرها، فإن معظمها أصبح "معتمد" المرشحين لولاية الأمور، ونحن نعلم أن عهد أردشير كان مما يأخذ أولياء العهود بدراسته والتعمق فيه مع أن أساسه قائم على طبقية مصمتة لامجال لتخطيها، وشيء من وصولية علمية، وإنكار تام لمصطلح "العدالة" والإستغناء عنه بمصطلح "الحزم". وكان من جراء الإهتمام الكبير بهذا اللون من الفكر أن أقبل الناس فيه على الترجمة والتأليف إقبالا كبيرا، فبعد عبد الحميد الكاتب وإبن المقفع نجد طاهر بن الحسين يكتب عهدا لإبنه عبدالله حين ولاه المأمون ديار ربيعة، وينال العهد إعجاب المأمون فيأمر باستنساخه وتفريقه في الأمصار، ونجد عمارة

---

[27]– قاسم السارة –عالم الفكر –م.س. –ص : 88.

بن حمزة يكتب رسالة "الخميس" وهي التي كانت –كما يقول إبن خلكان– تقرأ لبني العباس.

و من الوسائل التي يسرت نشر العلم والإقبال عليه، إزدهار صناعة الورق في العالم الإسلامي، وكانت بغداد وسمرقند ومصر من مراكز هذه الصناعة، فأقبل الناس على نسخ الكتب، فازدهرت الوراقة، وحمل تجار الكتب نتاج العلماء والأدباء إلى الأقطار، فساعد ذلك على إنتشار العلم، كما تحسين الخط وتجويده، وكان الناس قبل هذا العصر يكتبون بالخط الكوفي، وهو خط صعب عسر، فنقله الوزير ابن مقلة نقلة جميلة إلى الخط النسخي، وجاء بعده ابن البواب فكان أمام الخطاطين.

- **العباسيون والترجمة.**

لقد ظهرت ثمار النهضة العلمية في العصر العباسي الأول ناضجة ، فاستثمرت جميع الممالك الشرقية والغربية التي تشعبت من الدولة العباسية نتاجه، وبذل كل ملك وأمير من ملوكها جهده في ترغيب العلماء والأدباء والمترجمين، وتعاونت على هذا الإستثمار قرائح العرب والفرس والترك والروم وغيرهم ممن تعرب أو دخل في الإسلام من أمم الشرق والغرب." فلما دخل الفرس والروم في الإسلام –وكانوا ذوي حضارة قديمة وكتب مؤلفة من قبل– أدخلوا على اللغة العربية بعد أن تعلموها نظام تأليف الكتب بالمعنى الذي نفهمه الآن من جمع ما يتعلق بالموضوع الواحد في كتاب واحد.

يقول الدكتور نيكولا زيادة في مقدمة ترجمته لكتاب [الفكر اليوناني و الثقافة العربية – حركة الترجمة اليونانية–العربية في بغداد و المجتمع العباسي المبكر لصاحبه ديمتري غوتاس[28] [على أن حركة الترجمة اليونانية العربية التي تمت في الفترة العباسية المبكرة يعود الفضل الأكبر فيها إلى الخليفة المأمون [197–218 هـ / 813–833 م]. هذه الرواية التي تبنتها كتب التاريخ التي وضعت في العصر العباسي. كانت هناك إشارة خجولة إلى ما تم على يد الأمير الأموي خالد بن يزيد، وقد رأى البعض أن هذه الرواية مختلفة، و لمحة خاطفة إلى ترجمة كتاب السندهند أيام المنصور العباسي، و تنويه أوضح ببعض ما تم في أيام هارون الرشيد. و لأن كتب اليونان العلمية ترجمت في تلك الفترة،

---

[28] – غوتاس ديميتري – الفكر اليوناني و الثقافة العربية – حركة الترجمة اليونانية العربية في بغداد و المجتمع العباسي المبكر – ترجمة و تقديم الدكتور نقولا زياده – المنظمة العربية للترجمة – مركز دراسات الوحدة العربية – ط1 – بيروت – لبنان – يونيو /2003.

فإن المفكرين أخذوا على أنفسهم بدرس العلوم اليونانية القديمة طبا و فلسفة و منطقا و فلكا و رياضيات و ما إلى ذلك، و قد تم على أيديهم هذا الكم الكبير من النتاج الفكري الذي كان جمعه أساسا لحضارة متشعبة المسالك بحيث إنها نقلت العالم من دور إلى دور، لعل الأدوار المماثلة له في تاريخ البشرية قليلة.]

لقد شجع الخلفاء حركة النقل، وطلبوا نقل كتب العلم والآداب في مظانها، وكان لعناية العرب بالترجمة ثلاثة أطوار هي :

- فترة حكم أبي جعفر المنصور [158/136 هـ - 775/754 م]

حيث رتب المنصور التراجمة المهرة، وطلب من إمبراطور الدولة الرومانية أن يبعث إليه بما عنده من كتب الفلسفة، حيث ترجم في عهده كتب كثيرة في إختصاص الطب والفلك والهندسة، وترجمت له كتب من اليونانية والرومانية والفارسية والسريانية والهندية.

وفي هذا العهد حققت ونقحت ترجمات بعض الكتب التي كانت قد ترجمت في عهد المنصور، وأنشأ الرشيد دار الحكمة وملأها بالكتب القيمة. وكان هذا العهد هو العهد الذهبي بالنسبة إلى الترجمة عند العرب.

فأبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين كان مولعا بالطب والنجوم والفلك والهندسة فكاتب ملوك الروم يطلب منهم ما لديهم في هذا الشأن فبعثوا إليه كليات أقليدس في الهندسة، وفي الطبيعيات، وفي ذلك يقول المسعودي: "كان أبو جعفر المنصور أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية إلى العربية، منها كتاب:كليلة ودمنة، وكتاب السند

هند، وترجمت له كتب أرسطوطاليس من المنطقيات وغيرها، وترجم له كتاب المجسطي لبطليموس، وكتاب الأرثماطيقي، وكتاب أقليدس، وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية، وخرجت إلى الناس فنظروا فيها وتعلقوا إلى علمها.[29]

إن الصراع الذي كان قائما بين الفرس و اليونان، محاولة من كل طرف فرض الأسس التي ينبني عليها الحكم العباسي. و عليه فإن الحركة الترجمية في هذا العهد الأول – عهد المنصور – ستهتم بالعلوم السياسية و يظهر ذلك جليا عند ابن المقفع مترجم كليلة و دمنة، و تراجم وسير ملوك العجم، و كتاب التاج و رسالة تنسير و كتاب الآيين، و ينضاف إلى كل ذلك ما أنتجه و ألفه كالرسالة في الساسة و اليتيمة في طاعة السلطان و رسالة الصحابة[30]

لم ينشغل المنصور بالفلسفة في هذه المرحلة و لهذا لا نجده حث على الاهتمام بترجمة الفلسفة اليونانية، ولا اهتم بها. بل مال إلى التنجيم معتمدا على المنجمين الفرس.

وكان جورجيس (777م) رئيس أطباء جنديسابور قد إستقدمه المنصور ليكون طبيبه الخاص، لما شاع عنه من مهارته الطبية، وكان يجيد اليونانية والفارسية فقام بترجمة كثير من كتب الطب اليوناني والفارسي، وسار أولاده وتلاميذه كبختيشوع وسرجيس على نهجه في الترجمات الطبية.

---

[29] – أنظر : المسعودي – مروج الذهب – ص : 415.

[30] – أنظر : عبدالرحمن بدوي – الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام – ص : 71/70.

- فترة هارون الرشيد [193/170 هـ – 809/786م].

وسار الرشيد على منوال أسلافه، فحينما فتح عمورية وأنقرة إنتخب من أبنائها فريقا من العلماء والتراجمة وجعلهم في حاشيته، وطلب إليهم أن يختاروا عيون الكتب التي وجدت في مكتبات هاتين البلدتين، فاختاروا الكتب النادرة التي لاتوجد عند غيرهم من الأمم في ميدان الطب والفلسفة والفلك، ونقلوها إلى بغداد، وأمر الرشيد آنذاك أبا زكريا يوحنا بن ماسويه (244هـ) أكبر أطباء عصره أن يرعى هذه المنقولات، وأن يعنى بترجمتها وأن يختار في سبيل إنجاز هذه الترجمة من يعاونه ممن أحسنوا اللغات إلى جانب العربية.

كما طلب الرشيد إلى طبيبه الخاص منكه الهندي أن يتولى نقل الكتب من الهندية إلى العربية، فنقل عدة كتب تبحث في الطب على طريقة الهنود، وممن أسهم في النقل معه إبن دهن الذي كان يشرف على بيمارستان البرامكة.

واستمر عامل التنجيم، حيث ظهر من الفرس الطبري و الفرازي و ابن النوبخت. و الجديد يتمثل في دخول العنصر الهندي، حيث تمت النقول مباشرة عن السنسكريتية بعد أن كانت تتم عبر الفارسية. حيث قام بخدمة الرشيد منكة الهندي و النوبخت، حيث قاما بعدة ترجمات إلى العربية. حيث أن البرامكة أظهروا ميلا إلى الأطباء الهنود. حيث كان الطب قد توسع عندهم زيادة على الحساب و الموسيقى. يذكر ابن النديم مجموعة كبيرة من المترجمين من الهندية إلى العربية، منكه الهندي، وكان في جملة إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي، ينقل من اللغة الهندية إلى العربية، ابن دهن الهندي، و كان إليه

بيمارستان البرامكة، نقل إلى العربي من اللسان الهندي، ابن وحشية، ينقل من النبطية إلى العربية، و قد نقل كتبا كثيرة[31].

- فترة عبدالله المأمون [218/198 هـ - 833/813 م].

تتمثل في فترة حكم المأمون حيث بلغت الترجمة قمتها، إذ كانت لهذا الخليفة مشاركة فعلية قيمة في جميع العلوم، فلم يبخل بالمال والجهد، بل أنفق على الترجمة بسخاء، وبعث البعثات تلو الأخرى إلى بلاد الروم قصد ترجمة كل ما عندهم من كتب وفي شتى الإختصاصات وأحاط به العلماء على إختلاف إهتماماتهم العلمية والأدبية والفلسفية، وكان يراسل ولاته في كل الأقطار، ويحثهم على أن يبعثوا إليه بكل ما لديهم من كتب الأقدمين. ولما آلت الخلافة إلى المأمون (198-218هـ) سار سيرة والده، بل أشرف على الذروة حيث وجه همته إلى الترجمة والتأليف، فكان يميل بطبعه إلى كتب الحكمة ولاسيما كتب الفلسفة والمنطق، لأنه كان معتزلي النزعة، مؤيدا لسلطان العقل، وحرية الرأي، ومن ثم أكثر من ترجمة هذا اللون، لأنه رأى فيه خير معوال على دعم العقل، وتحكيم المنطق، مما دعا إلى بروز علم الكلام واستوائه فنا له منهاجه وقضاياه المعينة.

لقد ازدهرت هذه الانتفاضة الفكرية الترجمية، و اعتمدت على حركة الترجمة أولا و التعريب ثانيا، فحينما أفضت الخلافة إلى الخليفة السابع عبدالله المأمون، تمم ما بدأ به المنصور. فأقبل على طلب العلم في مواضعه، واستخراجه من معادنه، بفضل همته

---

31 - ابن النديم – الفهرست – دار المعرفة – بيروت – الطبعة الأولى 1994م – ص : 304/303

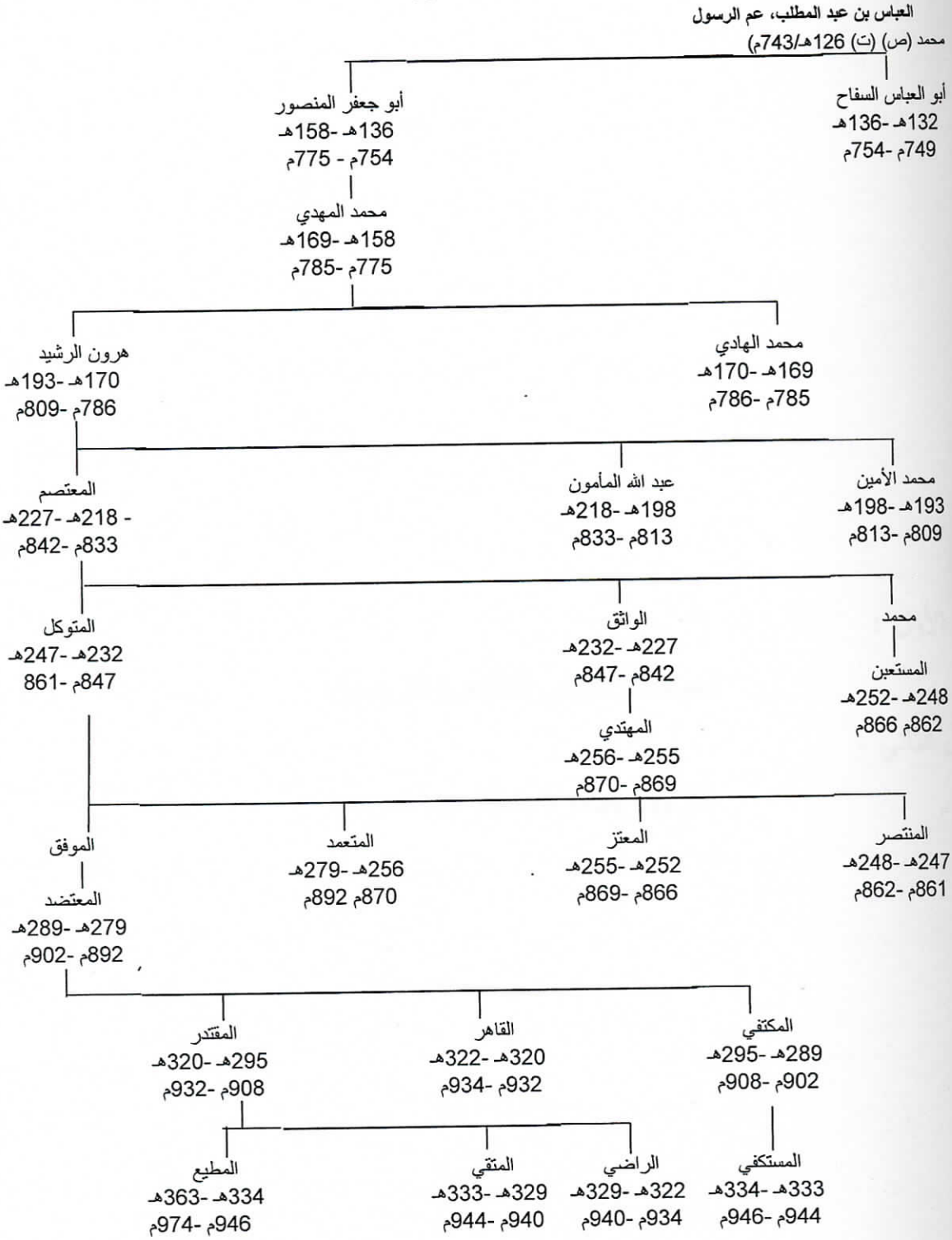
الشريفة، وقوة نفسه الفاضلة، فداخل ملوك الروم، وأتحفهم بالهدايا القيمة، وسألهم صلته بما لديهم من كتب أفلاطون وأرسطوطاليس وأبقراط وجالينوس وأقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة، فاختار له مهرة التراجمة، وكلفهم أحكام ترجمتها، فترجمت له على غاية ما أمكن، ثم حض الناس على قراءتها، ورغبهم في تعلمها، فنفقت سوق العلم في زمانه وقامت دولة الحكمة في عصره[32].

اتسمت فترته بالعلم المنقول و الألسن، و توسع التعريب بمثل ما توسع حكم المأمون و علاقاته مع ملوك الروم الذين قدم لهم الهدايا مقابل المؤلفات القديمة التي كانوا يملكونها. و هو الذي أمر جماعة من العلماء من بينهم ابن البطريق و الحجاج بن مطر و يوحنا بن ماسويه بالرحلة و اختيار الصالح من هذه المؤلفات و التي ستنبني علي ترجمتها أفق الحضارة و اشكاليات نقلها من اللغات إلى العربية.

---

[32] – ابن النديم – الفهرست – دار المعرفة – بيروت – الطبعة الأولى 1994م – ص : 147.

جدول بأسماء الخلفاء العباسيين خلال فترة الترجمة



الباب الأول :

البصمات الأولى للظاهرة الترجمية.

الفصل الثاني :

الترجمة ظاهرة علمية عند العرب.

الفصل الثاني : الترجمة ظاهرة علمية عند العرب.

1. لغة الترجمة عند العباسيين.

لقد اشترط العباسيون إتقان اللغتين (المنقول منها والمنقول إليها)، والإلمام بالموضوع المراد ترجمته. وفي هذا الإطار نورد ملاحظة وردت في كتاب سوفسطيقا من نقل أبي زكريا يحيى بن عدي: قال الشيخ أبو الخير الحسن بن سوار رضي الله عنه :" لما كان الناقل يحتاج في تأدية المعنى إلى فهمه باللغة التي إليها ينقل، إلى أن يكون متصورا كتصور قائله وأن يكون عارفا باستعمال اللغة التي منها ينقل والتي إليها ينقل. وكان "أتانس" الراهب غير فهم بمعاني أرسطاليس فيه، داخَلَ نقله الخلل لا محالة. ولما كان من نقل هذا الكتاب، من السريانية بنقل "أتانس » إلى العربية ممن ذكر إسمه، لم يقع إليهم تفسير له، عوّدوا على إفهامهم في إدراك معانيه، فكلا اجتهد في إصابة الحق وإدراك الغرض الذي إياه قصد الفيلسوف، فغيروا ما نقلوه من نقل "أتانس" إلى العربية فلأنا أحببنا الوقوف على ما وقع لكل واحد منهم كتبنا جميع النقول التي وقعت إلينا ليقع التأمل بكل واحد منها ويستعان ببعضها على بعض في إدراك المعنى...[1]

والظاهر أن العباسيين تفطنوا إلى إشكالية اللغة والترجمة، حيث أدركوا أن اللغة مهما كانت لا تستطيع أن تستوعب المعنى كاملا عن طريق الترجمة، بل يبقى النص كاملا في

[1]-أنظر: حنا الفاخوري وخليل الجر –تاريخ الفلسفة العربية –ج:2 – ص:27. (د.م.ع.مرحبا –من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة العربية.

لغته الأصلية، وهي الفكرة التي أثيرت وما زالت في الدراسات التنظيرية الترجمية لحد الآن.

« Les questions linguistiques, c'est surtout pour comparer des textes de différentes époques, déterminer la langue particulière à chaque auteur, déchiffrer et expliquer des inscriptions rédigées dans une langue archaïque ou obscure. Sans doute ces recherches ont préparé la linguistique historique … la critique philosophique est en défaut sur un point : elle s'attache trop servilement à la langue écrite et oublie la langue vivante ; d'ailleurs c'est l'antiquité grecque et latine qui l'absorbe presque complètement »[2]

ولنا عودة إلى تحليل الخطاب و اللغة عند فيردينان دو سوسير.

فمنذ القديم شكك بعضهم في صلاحيات النقل وأمانته، حيث كان "السيرافي"، أحد علماء العربية من هؤلاء، حيث شكك في صحة نقل الفلسفة اليونانية إلى العربية، وذلك في مناظرة له مع أحد النقلة المشهورين وهو "يونس بن متى" وجاءت الرواية في إحدى رسائل أبي حيان التوحيدي."على أن هناك سرا ما علق بك، ولا أسفر لعقلك، وهو أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى في جميع جهاتها بحدود صفاتها، في أسمائها وأفعالها وصروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها واستعارتها وتحقيقها..."[3]

ومن خلال هذا القول وغيره من الأقوال التي تصب في هذا المعنى أو هذه الإشكالية القائمة بين اللغات، على المترجم أن يوازن بين الترجمات حين يتعامل مع النص، فلا نقول بالترجمة الحرفية وكثيرا ما تكون سببا في ركة وإبهام النص المترجم، ولا نقول

---

[2] - Ferdinand de Saussure – Cours de linguistique générale – Edition Payot et Rivages / 2005 – P : 14 -

[3] –د.إبراهيم أنيس –مجلة العربي –عدد:99 –مقال .

بترجمة المعنى على حساب الترجمة الحرفية، أي دون إعارة الإهتمام إلى الألفاظ ومقابلاتها في اللغة الثانية، وهي التي قد تكون كذلك سببا في الإبهام والركاكة، إذ قد يغفل المترجم عن كلمة أو كلمات مفتاح في النص، وهكذا يضيع المعنى الحقيقي المراد نقله.

ولهذا كله فنحن نميل إلى الجمع بين الطريقين أو بين الطرفين، أي أخذ الطريق من الوسط، نستفيد من الطريقين، ونتيجة لظهور هذا النقص منذ القديم عمد بعض الخلفاء إلى إعادة ترجمة الكثير من الكتب التي كان قد سبق ترجمتها خاصة في عهدي الرشيد والمأمون "فصححوا معلوماتهم السابقة ونقحوها، واندفعوا بحب العلم والمعرفة لا يلوون على شيء حتى تمكنوا من أن يجعلوا من هذا الركام المشوه الذي قدمه النقلة بناء منظما متناسقا له معنى.."[4] لنتصور هذا الكم الهائل الذي كان مترجما، والذي أعيدت ترجمته، وما مدى التجربة التي اكتسبها المترجمون من خلال هذه العملية التي عادت على الترجمة التقنية بالنفع لا ريب، وأعطت ثمارها التي ستبرز فيما بعد، عبر المراحل التاريخية للعرب، وبناء حضارتهم المزدهرة والتي اعترف لهم بها العالم بأسره في العصور اللاحقة.

ولكي تتوضح أمامنا الصورة أكثر، يجب أن نعلم "أن عهد الترجمة لم ينتظر مجيء المأمون، ولكان وليد رغبته الجارفة في الثقافة الهيلينية، وإنما كان قد بدأ قبل ذلك بكثير، في فترة ما قبل الدولة الأموية (بين سنتي 105هـ و 132هـ)، وقد اتجه البحث إلى هذه

---

[4]–د.م.ع.مرحبا –من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة العربية –م.س. –ص:297.

الناحية وظهرت فيه نتائج طيبة، وإن لم تبلغ بعد مرحلة القول الفصل في هذا الأمر؛ فظاهرة المنافسة بين أنصار الثقافة الفارسية وأنصار الثقافة اليونانية،ففي المرحلة الأولى – فترة سالم الكاتب وإبن المقفع– تغلب أنصار الثقافة الفارسية، إذ لم يستطع سالم –فيما يبدو– وهو ميال إلى الثقافة اليونانية، أن يباري منافسا قويا مثل إبن المقفع الذي اضطلع بدور كبير في نقل الثقافة الفارسية، بل يبدو أنه كان حينئذ نقلة آخرون لتلك الثقافة عدا إبن المقفع، وشاهد ذلك الكتاب الذي رآه المسعودي بإصطخر سنة 303هـ وكان مما ترجم عن الفارسية لهشام بن عبد الملك، وفيه علوم كثيرة من علوم الفرس وأخبار ملوكهم وأبنيتهم وسياستهم مما لم يوجد في كتب أخرى؛ وما دام المسعودي لم ينسبه إلى إبن المقفع، فربما أشار هذا إلى وجود مترجم آخر أو مترجمين آخرين.[5]

إن روح النقد التي سادت في المجتمع الإسلامي وصلت إلى النشاط الترجمي، فشكك كثير من المترجمين في صحة الكتب المنسوبة إلى العلماء والفلاسفة اليونان، وكان لحنين بن اسحق شأنه في ذلك شأن جل المترجمين، دورا كبيرا بارزا في معرفة الكتب المنحولة ورفضها حين يدخله الشك فيها وهذا يذكرنا بجامعي الأحاديث النبوية الشريفة. وغالبا ما كان المترجمون يتعرفون على الكتب المنحولة إذا لم يعرضها الكاتب نفسه ضمن قائمة لكتبه أو عندما تهتز وحدة اللغة والأسلوب بين الكتب المتعارضة، بل يزيد ذلك إلى الترابط في المواضيع والاتجاه العام للتفكير، وأن يكون بين الكتب والرسائل المنسوبة إلى

---

[5]–د.إحسان عباس –ملامح يوناني في الأدب العربي – ص:11-12.

المؤلف علاقة ترابط بحيث لا يمكن عد واحد منها منحولا إلا إذا حكمنا على سائر السلسلة بهذا الحكم.[6]

إنها حقيقة طريقة علمية رائدة، اختص بها المترجمون في العصر العباسي، فكانت بحق علما قائما إذ لم يكن يقبل للمترجمين قبول ترجمة إلا بعد التنقيح والتأكد من سلامتها من النحل، وتصورها للعمل الترجمي يذكرنا حقيقة، بنظرية الترجمة والمشاكل التي حاولت حلها في العصر الحديث، وهي نفسها الطرق التي كانت تتبع منذ القديم.

إن الأقوال التي تشابهت إن لم نقل تطابقت بين اليونانية والعربية تدل دلالة قاطعة على التلاقح الثقافي بين الحضارتين، وأن الفكر العربي كان دائما يبحث في القديم لكي يستفيد منه، وهذا الدرس –درس التلاقي بين الحضارتين– يفسح المجال واسعا للبحث والمقارنة بهدف الوصول إلى بعض من الحقيقة في موضوع التأثير. ولهذا نجد مثلا سقراط يقول: وقد سئل لماذا لا يرى عليه أثر الحزن؟:"لأني لا أملك ما أحزن عليه إذا عدمته".يقابل هذا القول قول الشاعر العربي:

فمن سره أن لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا.

ويقول أرسطاليس: "العشق همة نفس فارغة لا شغل لها." يوازيه قول الأخطل الشاعر العربي:

وكم قتلت أروى بلادية لها وأروى لفراغ الرجال قتول.

---

[6]–أنظر: د.م.ع.مرحبا –من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة العربية – ص:319.

أي أن الأخطل أخذ قول أرسطاليس قبل أن يترجم إلى العربية، وأسهل من ذلك أن ينسب الأخذ إلى شاعر عاش بعد شيوع الترجمة، وقد كان إبن هندو متنبها إلى هذه العلاقة سواء أسماها أخذا أو تشابها.

وفي موقف آخر يقول أفلاطون: "العفو يفسد من الخسيس بمقدار ما يصلح من الرفيع."

ويقول أبو الطيب المتنبي:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى.

وفي قول آخر لأفلاطون: "الفقير إذا تشبه بالغني كان كمن به ورم ويوهن الناس أنه سمين وهو يستر ما به من الورم."

يقابله أبو الطيب المتنبي:

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم.[7]

إذن إن فعل الترجمة قائم وبمنظور متقدم سواء على المستوي التطبيقي أو المستوى النظري التنظيري، وأن الإشتغال في ميادين الترجمة وكما تؤكده المصادر التراثية والمراجع الحديثة، أمر أخذ حيزا كبيرا من الفكر العربي.

والإسلام هو دين التسامح، لا فرق لعربي على عجمي إلا بالتقوى، إلا أن الدين لا يقبل الفساد في المجتمع ولا الزندقة ولا الكفر، فالمبادئ الدينية هي المبادئ المحورية التي لا يجب التلاعب بها، ولكن صراعات العائلة الحاكمة، وضعف الحكام أحيانا وابتعادهم عن

---

[7]-أنظر: د. إحسان عباس –ملامح يونانية في الأدب العربي – ص:152-153.

مشارب الدين، وتغلغل النفوذ الأجنبي في الدولة الإسلامية وفر نوعا من الحرية الفكرية قد تكون سببا في توفير شروط الترجمة من جهة، وقد تكون من جهة أخرى نتيجة لما ترجمه المسيحيون النسطوريون، وأدى إلى ظهور بذور الباطنية في الشرق بعد أن تشبعت بالتشيع وصقلت أفكارهم وأضافوها إلى مذاهبهم، أما اليعاقبة الذين أدرجوا ترجمة فلسفة الأفلاطونية الحديثة فقد أثروا في ظهور العديد من الفلاسفة المتصوفين الذين مزجوا بين الدين والفلسفة اليونانية من خلال أفكار أفلوطين. بل حتى المعتزلة ظلوا الطريق باستعمال التراث الإغريقي كنمط تفكيري نموذجي واعتمادهم العقل في البحث الديني الذي لا يوصل إلى المعرفة الحقيقية، حيث يكفر أبو حامد الغزالي كثيرا من الفرق الإسلامية بما فيهم المعتزلة.

"فإذا عرفنا أن الذين تولوا نقل علوم اليونان إلى العربية في عصر الخلفاء العباسيين كانوا من النسطوريين والكلدانيين والأعاجم، وهؤلاء كانوا علماء أكثر منهم أدباء، وإن كانوا تعلموا العربية فإنهم لم يتفقوا فيها ولم يتقنوا آدابها، فإننا لن نستغرب أن نجد ما عربوه مشحونا بالأفكار والألفاظ الأعجمية مع أن لها في العربية مرادفات.

وأنهم لم يجروا في التعريب على نمط واحد يصح إتباعه إلا في أحوال معينة بل تجدهم صوروا الكلمات اليونانية بصور شتى، يصعب على قارئها إرجاعها إلى أصولها... ولم يذكر أحد منهم أو من أئمة اللغويين أي قواعد لما يعرب من الكلمات الأعجمية.[8]

---

[8]–أنظر: د. محمد شرف –معجم العلوم الطبية والطبيعية –ط2 –المقدمة –ص:12.

لكن ترجمة الفلسفة الإغريقية كان لها دورا كبيرا في إكتساب اللغة العربية ألفاظا جديدة وتصور عالم جديد لم يكن مألوفا عندهم. حيث استطاع العرب أن يتعرفوا على المنجزات العلمية للثقافات الأخرى من هندية وفارسية ويونانية منذ فترة مبكرة، منذ بداية حركة الترجمة.

فقد كانت هذه العلوم هي أوائل ما ترجم إلى العربية، فتعرف العرب على علوم الطب والعلوم السيميائية (الكيمياء)، كما تعرفوا على علوم الرياضيات من حساب وهندسة وفلك. ومن أشهر المترجمين وأفضلهم (إضافة إلى من ذكروا سابقا) إبن الداية، أحمد بن يوسف (توفي عام 340هـ)، وابن وحشية (أبو بكر أحمد بن علي الكلداني) أواخر القرن الثالث الهجري.[9]

ومن الإشكالات التي تبقى مطروحة و نعود إليها في بحثنا هذا يبرز تأثير الترجمة في الشعر من حيث أنه أصبح من الممكن أن نغوص في المفاهيم الفلسفية، ويأتي بدقائق علمية بعد أن كان النص الشعري مقصورا على الكلمات الحسية و التعابير المادية.

ومن هذا الباب يجب الإشارة إلى أن الترجمة أثرت سلبا نوعا ما على اللغة العربية، على سلاستها ومتانتها المعهودة، حيث تفطن الجاحظ –مثلا– لذلك حين قال بفساد اللغة لما تدخلها لغة ثانية. وساهمت الترجمة في إثراء المعارف الإسلامية وتكاثر المناظرات والمجالس العلمية والأدبية، فاعتمد كثير من علماء الكلام والفقهاء المنطق

---

[9]–أنظر: د. سعيد الورقي –في مصادر التراث العربي –دار النهضة العربية للطباعة والنشر –بيروت –لبنان –1984 –ص:160.

الأرسطوطاليسي والأدلة الجدلية والبرهان أساسا لفكرهم، حيث قد يكون أبو حامد الغزالي هو نفسه واحدا منهم.

إن الحكم التيوقراطي الذي يستمد قوته من الإرادة الإلهية هو الذي صبغ حكم الخلفاء العباسيين الذين لم يريدوا إشراك الشيع الأخرى الحكم في بادئ الأمر، و ها هو ينقلب إلى حكم استبدادي. فيمكن للفرد أن يفعل ما يشاء إلا محاولة زعزعة النظام القائم، وهو الذي أظهر إلى الوجود نزوعا إلى الشعوبية خاصة من جانب الفرس.

يقول أبو حيان التوحيدي في كتابه "الإمتاع والمؤانسة" فللفرس السياسة والآداب والحدود والرسوم، وللروم العلم والحكمة، وللهند الفكر والروية والسحر والأناة، وللترك الشجاعة والإقدام، وللزنج الصبر والكد والفرح، وللعرب النجدة والقرى والوفاء والبلاء والجود والذمام والخطابة والبيان.

ويقول أرسطاليس في "رسالة السياسة العامية" المنسوبة إليه ولهم الكرم –يقصد العرب– والمروءة والأنفة وبذل الأموال والصبر في اللفاء ولزوم الغيرة والمعرفة بالشعر والسعة في الكلام، إنهم يأنسون باللفظ ويميلون إلى حسن الكلام.

وفي هذا ما فيه من إقرار اليونانيين أنفسهم بما للعرب من تفوق في هذه الناحية، إلا أنها ناحية مفردة لابد من موازنتها بسائر أجزاء الحكمة، وهذا ما يفسر –أو يسوغ– إقبال

العرب على ترجمة حكمة اليونانيين والفرس، تتميما واستكمالا لما ينقصهم، حسبما تمليه هذه النصيحة المنسوبة لأرسطوطاليس.[10]

وإذا كانت ترجمة العلوم التطبيقية كالطب والرياضيات والفلك والجبر وغيرها من العلوم التقنية قد ساعدت على ازدهار الحركة العلمية في الدولة العباسية، إلا أننا نقول أن ترجمة الفلسفة اليونانية لم تكن دائما انتصارا للتراث الإسلامي، ومن هذا الشأن يقول أبو حامد الغزالي: "أما بعد، فقد رأيت طائفة يعتقدون في أنفسهم التميز عن الأتراب والنظراء بمزيد الفطنة والذكاء، وقد رفضوا وظائف الشرع وحدوده... إنما مصدر كفرهم سماعهم أسماء هائلة كسقراط وبقراط وأفلاطون و أرسطاطاليس وأمثالهم. فلما قرع ذلك سمعهم ووافق ما حكى من عقائد طبعهم، تجمعوا باعتقاد الكفر تحيزا إلى غمار الفضلاء بزعمهم وانخراطا في سلوكهم، وترفعا عن مسايرة الجماهير والدهماء"[11]

رغم هذا الحكم في حق الفلاسفة، لخوضهم في قضايا لاهوتية مستعملين آلة العقل، إلا أن من الإنصاف والمنطق أن نقول أن هؤلاء الفلاسفة كان معظمهم توفيق بين بين الدين والفلسفة.وحتى لا نبتعد عن سياق موضوع الترجمة، نقول أن نشاط المترجمين كان سببا في تقريب وجهات نظر للعالم لحضارتين عظيمتين هما الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية.

---

[10]–أنظر: د. إحسان عباس –ملامح يونانية في الأدب العربي – ص:25.

[11]–ع.خطاب –الغزالي بين الدين والفلسفة –م.س. –ص:82.

وقد يقال إن ما ترجمه العرب من أشعار الأمم الأخرى لا يتعدى أقوالا موجزة اختلط فيها الشعر بغير الشعر، وهي تندرج في معظمها في باب الحكم وتشتبه بها حتى ليعز التمييز بينهما، فإذا تجاوزوا ذلك استأثرت باهتمامهم الأمثال والخرافات التمثيلية، فإذا تجاوزوا هذه أيضا وقفوا عند نوع من المنظومات ليس لها من الشعر حظ إلا الوزن، عرفوها عند الهند ويونان، ولعلهم تأثروا فيما نظموه من العلوم، من ذلك كتاب دروثيوس الصيداوي (القرن الأول بعد الميلاد) في الفلك، وهو يتألف من ستة فصول أو كتب، على وزن سداسي (Hexameter)، وقد ترجمه أو اختصره (Theophilus) ثيوفيل الرهاوي (785م) (كان رئيس منجمي المهدي)، وشرحه عمر بن الفرخان (815م) (أبو حفص الطبري أحد رؤساء التراجمة والمتحققين بعلم حركات النجوم وأحكامها، كان منقطعا إلى يحيى بن خالد بن برمك ثم إلى الفضل بن سهل، وقد ترجم للمأمون كتبا كثيرة وألف كتبا أخرى.) ويقول الأستاذ كريمر: إنه كان ذا أثر لدى العرب وغيرهم يفوق الأثر الذي نركته الأعمال الشعرية الأخرى المترجمة عن أصل إغريقي.[12]

إن لمعرفة قيمة النشاط الترجمي لمدرسة بغداد، أسئلة كبيرة قد تبرز لنا هذه القيمة. إلى ماذا كانت تؤول البشرية جمعاء، لو بقي العرب في جزيرتهم؟ ماذا كان سيحدث لو لم يترجم العرب الفكر الإنساني؟ وماذا كان سيحدث لو لم يحافظ العرب المسلمون على التراث الإنساني وإثرائه بمعارف جديدة؟.في الحقيقة لقد كتب الكثير عن حضارة العرب

---

[12] – أنظر: د. إحسان عباس –ملامح يونانية في الأدب العربي –م.س. –ص:85.

المسلمين وما قدمته للغرب وللإنسانية جمعاء، فكان البعض يقول بفكرة محافظة العرب على التراث اليوناني كونه تراثهم مجرد فكر يوناني عرب فحسب. وذهب البعض الآخر إلى إنصاف الحضارة الإسلامية "كزغريد هنكه" و "جوستاف لوبون".

2. أشهر المترجمين في العصر العباسي.

يقول ابن خلدون : [و الكتاب المترجم في هذه الصناعة ايقصد علوم الهندسة \ كتاب أوقليدس، و يسمى كتاب الأصول الأركان، و هو أبسط ما وضع فيها للمتعلمين، و أول ما ترجم من كتب اليونانيين في الملة أيام أبي جعفر المنصور، و نسخه مختلفة باختلاف المترجمين. فمنها لحنين بن إسحاق، و لثابت بن قرة، و ليوسف بن الحجاج][13]

والملاحظ أن السريان واليعاقبة عملوا على ترجمة المؤلفات العلمية والفلسفية سواء من اليونانية مباشرة أو من السريانية عن اليونانية إلى العربية.

و من أسماء النقلة من الفارسي إلى العربي يذكر ابن النديم السماء التالية [ابن المقفع، آل نوبخت، موسى و يوسف ابنا خالد، و كانا يخدمان داود بن عبدالله بن حميد بن قحطبة، و ينقلان له من الفارسية إلى العربية، التميمي، و اسمه : علي بن زياد، و يكنى : أبا الحسن، نقل من الفارسي إلى العربي، فمما نقل : زيج الشهريار، الحسن بن سهل، البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، و كان ناقلا من اللسان الفارسي إلى العربي، جبلة بن سالم، كاتب هشام، و كان ناقلا من اللسان الفارسي إلى العربي، إسحاق بن يزيد، نقل من

---

[13] – عبدالرحمن بن خلدون – تاريخ ابن خلدون – المجلد الأول – المقدمة – دار الكتاب العلمية – بيروت – لبنان – ص : 538.

الفارسي إلى العربي، فمما نقل سيرة الفرس المعروف باختيار نامه، و من نقلة الفرس محمد بن الجهم البرمكي، هشام بن القاسم، موسى بن عيسى الكردي، زادويه بن شاهويه الأصفهاني، محمد بن بهرام بن مطيار الأصفهاني، بهرام بن مردان شاه، موبد مدينة نيسابور من بلد فارس، عمر بن الفرخان][14]

فترجم حنين بن إسحاق، وهو أبو زيد حنين بن اسحق العبادي[15] من اليونانية إلى العربية مقالات أقليدس Euclid ، و جالينوس و أبقراط و أرخميدو أبولونيوس البرغوسي Appolonios of Pergossis وكتاب الجمهورية لأفلاطون، كما ترجم الإنجيلمن اليونانية إلى العربية، هذا إلى جانب مؤلفات أرسطاليس وغيرها.

أما طريقته في الترجمة فتمثلت في استيفائه المعنى بتعبير سلس و بدقة موضوعية علمية، مبتعدا كل الابتعاد عن العوامل التي تؤدي إلى الغموض، و مرد ذلك إلى قدرته و امتلاكه ناصيات اللغات، و اتصافه بالفصاحة و صفاء الأسلوب. و يعتبر من الأوائل ممن اكتشفوا الطريقة العلمية و النقدية في الترجمة. فقد كان يعتمد مجموعة من المخطوطات للنص

---

14 – – ابن النديم – الفهرست – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ط 1 – 1994 – ص : 303.

15 – يكتب إسمه بالاتينية « Johnnit »، من بطون القبائل العربية و استوطنت الحيرة [الحصن بالآرامية، مدينة صغيرة قديمة قرب الكوفة. من نصارى الحيرة بالعراق (قرب الكوفة على الفرات)، نسطوري النحلة سرياني اللغة. ولد حنين سنة 194(هـ 810م) في الحيرة.. ثم زار الإسكندرية لطلب الفلسفة، وزار فارس لصناعة الطب. ولما عاد من رحلته هذه استقر حينا في البصرة وأتقن اللغة العربية على الخليل بن أحمد أشهر علماء العربية يومذاك. وفي بغداد أصبح حنين أشهر الأطباء وأشهر النقلة. وكثر حسد الناس لحنين فكان خصومه في صناعة الطب يقولون: ما لحنين والطب،إنما هو ناقل لهذه الكتب ليأخذ عليها الأجرة كما يأخذ الصناع الأجرة على صناعتهم، ومات منتحرا بالسم، في السادس من صفر 260 هـ الموافق لـ 30 تشرين الثاني 873 م.

الواحد قبل الإقدام على الترجمة. و كان ينظر في الترجمات التي سبقته. و يدرس و يسير على خطى من سبقه من العلماء. وهذا كله قصد الوصول إلى الاستقامة الترجمية عنده.

لقد عينه الخليفة المتوكل رئيسا للأطباء، و مما سبب له الكثير من العداء من طرف حساده، إذ يقول [إنه لحقني من أعدائي و مضطهدي، الكافر بنعمتي، الجاحدين لحقي، الظالمين لي، المعتمدين علي، في المحن و المصائب و الشرور ما منعني من النوم و أسهر عيني و أشغلني عن مهماتي، و كل ذلك من الحسد لي على علمي، و ما وهبه الله عز وجل من علو المرتبة على أهل زماني، و أكثر اولائك أهلي و أقربائي، فإنهم أول شروري، ثم من بعدهم الذين علمتهم و أقرأتهم و أحسنت إليهم و أرفدتهم و فضلتهم على جماعة أهل البلد من أهل الصناعة، و قربت إليهم علوم الفاضل جلينوس، فكافئوني عوض المحاسن مساوئ.][16]

أما ابنه اسحق بن حنين[17] فقد كان مثل أبيه في النقل وفي معرفته باللغات وفصاحته فيها. إلا أن نقله للكتب الطبية قليل نادر بالنسبة إلى ما يوجد من كثرة نقله من كتب أرسطاليس في الحكمة وشروحها إلى لغة العرب.ولإسحق بن حنين كتب كثيرة نصنفها حسب موضوعاتها إلى صنفين:كتب في الطب ، وكتب في الفلسفة و العلم.

---

16 – جرجي زيدان – تاريخ آداب اللغة العربية – ج4 – 1900/1801 – دار الهلال – ص : 46.

17 – فهو أبو يعقوب اسحق بن حنين بن إسحق، شهد أيام المعتمد و المعتضد والمقتدر، وكان معاصرا لابن الرومي الشاعر، وصديقا للقاسم بن عبيد الله وزير المعتضد، وعاش اسحق طويلا، وفُلجَ في آخر أيامه ثم توفي سنة 298هـ (911م) ببغداد.

أما المترجم قسطا بن لوقا[18] فهو يوناني الأصل، لما شب ذهب إلى آسيا الصغرى ليدرس، ثم عاد إلى العراق وقد جلب معه تصانيف يونانية كثيرة واستقر في بغداد لينقلها من اليونانية إلى العربية ثم إنه كان بارعا في اللغات اليونانية والسريانية والعربية جيد النقل، حيث نقل كتبا كثيرة من اليونانية إلى العربية، وأصلح نقولا كثيرة قديمة.

وقد ترجم النسطوري " أبو بشر متى بن يونس" المتوفى عام 939 م من السريانية إلى العربية كتاب " أناليطيقا الثانية Analytica Posteriora - "، و" البويطيقا "Poetica - لأرسطو، وعدد آخر لا يستهان بمن الترجمات والتعليقات على مؤلفات اليونان.

أما المسيحيين اليعاقبة، فقد عملوا كثيرا في الترجمة في ظل الدولة العباسية، نذكر منهم تلميذ **حنين بن إسحاق الشيخ أبو زكريا يحيى بن عدي**[19] دافع عن إيمان الكنيسة السريانية والمعتقدات النصرانية، ولاسيما فيما يتعلق بالتثليث. لقد أصلح كذلك نقول الآخرين وصححها.

أما "أبو علي عيسى بن زارة" فقد ترجم هو الآخر لأرسطو كتاب "كاتيقورياس – Categorius وكتاب التاريخ الطبيعي، وكتاب الحيوان Animalia وقد ترجم اليعاقبة عموما

---

[18] – ولد عام 205هـ (820م) في بعلبك فعرف بالبعلبكي. وفي آخر حياته دعاه سنحاريت أحد أمراء أرمينية فذهب إليه، وهناك توفي سنة 300هـ (913م) من كتبه: كتاب الروائح وعللها - كتاب الأغذية - كتاب النبض ومعرفة الحميات وضروب البحرانات - كتاب علة الموت الفجأة - رسالة في المروحة وأسباب الريح - المدخل إلى علم الهندسة - الفرق بين الحيوان الناطق وغير الناطق - كتاب الفرق بين النفس والروح - كتاب الجزء الذي لا يتجزأ - كتاب في النوم والرؤيا -كتاب في حساب التلاقي على طريقة الجبر والمقابلة - كتاب الاستدلال بالنظر إلى أصناف البول - كتاب في شكوك كتاب أقليدس - كتاب في البخار.[18] وقد درس في بلاد اليونان كتبا عديدة خاصة منها كتاب "الفلسفة اليونانية" الذي نقله عن السريانية

[19] – من نقوله كتاب "ما بعد الطبيعة" لأرسطو، وكتابا لثاوفرسطيس من السريانية إلى العربية. وكذلك فسر كتبا عدة لأرسطو منها: طوبيقا - المقالة الثالثة من السماع الطبيعي- وفصل من كتاب "ما بعد الطبيعة" ومقالة الإسكندر (الأفروديسي) في الفرق بين الجنس والمادة

كتب الطب التي ازدهرت في مدرستهم بالإسكندرية وكذلك الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، التي كان لها تأثيرا بالغا على الفلسفة الإسلامية، بما أرادته من توفيق بين الدين والفلسفة. كما ترجم وثنيو "حران" بعض كتبهم، وترجم "أحمد بن علي بن قيس الكلداني" الذي يكنى بـــ" إبن وحشية" كتاب "الفلاحة النبطية" من الكلدانية إلى العربية عام 904م، وموضوع الكتاب خليط بين علم النبات والسحر لما كان يراه البابليون من علاقة بينهما.

يقول إبن خلدون معلقا على هذا الكتاب:" ولما نظر أهل الملة (أي المسلمين) فيما اشتمل عليه هذا الكتاب وكان باب السحر مسدودا والنظر فيه محظورا، فاختصروا منه الكلام في النبات من جهة غرسه وعلاجه وما يعرض له في ذلك وحذفوا الكلام في الفن الآخر منه جملة..."[20]

أبو الحسن ثابت بن قرة، ولد سنة 211هـــ (826م) في حران على دين الصائبة (الوثنيين من عبدة النجوم)، وكان في أول أمره صيرفيا. كان يحسن العربية والسريانية فاستصحبه محمد بن موسى بن شاكر لما خرج إلى بلاد الروم يطلب كتب العلم والفلسفة، ثم وصله ببلاط الخليفة المعتمد (256-279هـــ) فأدخله المعتمد في جملة المنجمين. وكذلك نال حظوة عند المعتضد (279-289هـــ)، وتوفي ثابت قبل المعتضد بنحو عام واحد (288هـــ-901م) ولثابت أرْصادٌ حسان للشمس تولاها ببغداد وجمعها في كتاب بين فيه

---

[20]-أنظر: إسماعيل مظهر-تاريخ الفكر العربي- ص:74.

مذهبه في سنة الشمس وما أدركه بالرصد في موضع أوجها ومقدار سنيها وكمية حركتها وصورة تعديلها أما في الطب فقد أنقذ رجلا من موت ظاهر على إثر غشيان.

كان ثابت بن قرة ناقلا بارعا ومصنفا قديرا له من الكتب المتنوعة كتاب سبب كون الجبال –كتاب في النبض –إختصار المنطق –كتاب في السبب الذي من أجله جعلت مياه البحار مالحة –إختصار كتاب ما بعد الطبيعة (لأرسطو) –جوامع كتاب الأدوية المفردة لجالينوس –مختصر في الأصول من علم الاختلاف- كتاب في قطع المخروط المكافئ – مقالة في حساب خسوف الشمس والقمر –كتاب في الطريق إلى إكتساب الفضيلة –كتاب في تشريح بعض أعضاء الطيور –تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسية –كتاب حساب الأهلة (أوجه القمر) –رسالة في الحصى المتولد في المثانة –كتاب في الجذري والحصبة."[21]

أما أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة، فكان يلحق بأبيه في معرفته بالعلوم واشتغاله بها وتمهره في صناعة الطب، وله قوة في علم الهيئة، وقد توفي سنة 331هـ (934م) على الإسلام،(...) ويظهر أن سنان بن ثابت كان من النقلة، فقد نقل إلى العربية كتاب نواميس هرمس وأصلح بعض النقول القديمة وله من الكتب: –مقالة في الأشكال ذوات الخطوط

---

[21]–أنظر: عمر فروخ –تاريخ الفكر العربي إلى أيام إبن خلدون– ص:280–281.

المستقيمة التي تقع في الدوائر –رسالة في النجوم –رسالة في شرح مذهب الصابئين – رسالة في الفرق بين المرسل والشاعر.[22]

هؤلاء هم أهم المترجمين الذين اشتغلوا على النصوص اليونانية والسريانية والتي نقلوها إلى العربية. حيث كانت اللغة السريانية لغة الوثنية وآدابها؛ وأشهر مراكز الوثنية السريانية مدينة حران (في جنوبي الرها)، وقد ظلت هذه المدينة مركزا للديانات الوثنية والثقافة اليونانية إلى ما بعد الإسلام.

ومن أسماء النقلة من اللغات إلى اللسان العربي ذكر ابن النديم [اصطفن القديم، و نقل لخالد بن يزيد بن معاوية كتب الصنعة و غيرها، البطريق و كان في أيام المنصور، و أمره بنقل أشياء من الكتب القديمة، ابنه أبو زكرياء يحيى بن البطريق، و كان في جملة الحسن بن سهل، الحجاج بن مطر، فسر للمأمون، و هو الذي نقل المجسطي و أقليدس، ابن ناعمة و اسمه : عبدالمسيح بن عبدالله الحمصي الناعمي، سلام الأبرش من النقلة القدماء في أيام البرامكة، و يوجد بنقله السماع الطبيعي، كذا كى سيدنا أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى أيده الله، حبيب بن بهريز مطران الموصل، فسر للمأمون عدة كتب، زروبا بن ماجوه الناعمي الحمصي، هلال بن أبي هلال الحمصي، تذاري، فثيون، أبو نصر أوي بن أيوب، بسيل المطران، أبو نوح بن الصلت، أسطاث، جيرون، اصطفن بن باسيل، ابن رابطة، تيوفيلي، شملي، عيسى بن نوح، قويري، و اسمه : إبراهيم، و يكنى :

---

[22]–ن.م.س. –ص:283.

أبا إسحاق، تدرس السنقل، داريع الراهب، هيابثيون، صليبا، أيوب الرهاوي، ثابت بن قمع، أيوب و سمعان، فسرا زيج بطليموس لمحمد بن خالد بن يحيى بن برمك، و غير ذلك من الكتب القديمة، باسيل، و كان يخدم ذا اليمين، ابن شهدي الكرخي، نقل من السرياني إلى العربي نقلا رديئا، فمما نقل كتاب الأجنة لبقراط، أبو عمرو و يوحنا بن يوسف الكاتب أحد النقلة، و نقل كتاب أفلاطون في آداب الصبيان، أيوب بن قاسم الرقي، نقل من السرياني إلى العربي، ومن نقله كتاب أيساغوجي، مرلاحي، في زماننا، جيد المعرفة بالسريانية، عطفي الألفاظ بالعربية، ينقل بين يدي على بن إبراهيم الدهكي من السرياني إلى العربي، و يصلح نقله ابن الدهكي، دهريشوع، كان يفسر لإسحاق بن سليمان بن على الهاشمي من السريانية إلى العربية، قسطا بن لوقا البعلبكي، جيد النقل، فصيح باللسان اليوناني و السرياني و العربي، و قد نقل أشياء و أصلح نقولا كثيرة، و سيمر ذكره في موضعه من العلماء المصنفين، حنين، إسحاق، ثابت، حبيش، عيسى بن يحيى، الدمشقي، إبراهيم بن الصلت، إبراهيم بن عبدالله، يحيى بن عدي، التفليسي][23]

3. بيت الحكمة.

و أسست بيت الحكمة[24] في بغداد و التي كانت بمثابة أكاديمية علمية تنقسم إلى أقسام متعددة للنقل حسب اللغات وفيها قسم للتأليف وآخر للبحث. وقد بلغ عدد الكتب التي

---

[23] – ابن النديم – الفهرست – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ط 1 – 1994 – ص : 303/302.

[24] - Société de gens de lettres, de savants ou d'artistes. Lieu où l'on s'exerce à la pratique d'un art d'un jeu, d'un conformisme qui supplée au manque d'originalité / Traduction académique.

ترجمت إلى العربية حسبما ذكر إبن النديم في الفهرست نحو (400 كتاب)، منها (149) في الطب فقد ترجم من كتب جالينوس (53 كتابا)، ومن كتب روفس (43 كتابا)، ومن كتب أبوقراط (10 كتب)، ومن كتب ديسقوريدس (02 كتابان)، ومن كتب فولس الأجانيطي (02 كتابان)."[25]

بيت الحكمة من حيث دلالته هو ترجمة للتسمية الفارسية لمكتبة. و هذا واضح تماما من لحمزة الأصفهاني [ت بعد 350هـ/961م]، إذ يقول أنه في إيران في الأزمنة السابقة للإسلام كانت الكتب التي حوت الرواية التاريخية التقليدية و القرارات المتعلقة بالحرب و قطع متفرقة من الأخبار عن جماعات المحبين المشهورين، زوجا زوجا، و كانت قد وضعت نثرا في الأصل، أعيدت صياغتها شعرا للملوك الساسانيين. و قد دونت هذه القصائد في كتب و أودعت [الخزائن] التي كانت تسمى [بيوت الحكمة][26]

تعتبر بيت الحكمة مؤسسة لخدمة الجوانب السياسية و العقائدية و العلمية و خاصة الترجمية منها، حيث من خلالها نظمت مهنة المترجم في إطار معرفي سمي بقسم الترجمة، بعد أن كان كل مترجم يشتغل لوحده على انفراد. جمعت هذه المؤسسة المترجمين بصفة رسمية و حصلوا على رواتب دورية.

• ابن النديم – الفهرست – دار المعرفة – بيروت – الطبعة الأولى 1994م – ص : 303/302.

[26] - The Encyclopaedia of Islam, vol 3, p. 156.

لقد تنوعت طرق الترجمة بفضل بيت الحكمة و حسب معرفة و حنكة المترجمين للغات و معرفتهم بالعلوم من جهة و الأغراض المطروحة في النصوص المترجمة من جهة أخرى.

لقد تغذت اللغة العربية بفضل هؤلاء الأجانب، لما جلبوا لها من لغاتهم و عاداتهم و تقاليدهم، منقلوا الأفكار و المصطلحات، و سمحوا للعرب المتلقين أن يتخلصوا نهائيا من الرباط الذي وسم اللغة العربية على انها لغة دين و أدب و خطابة، إلى أن أعطوها بعدها الحقيقي المتمثل في العلوم النظرية و التطبيقية.

اختصارا لقد كونت مجموعة المترجمين المنتمين إلى بيت الحكمة نظرية أو نظريات للترجمة، حيث وصفوها في قالب علمي تنظيري.

إن اهتمامنا بالجانب التاريخي للظاهرة الترجمية و استطرادنا من حين لآخر، قصدنا منه الموازنة بين عهدين للترجمة عهد قديم مؤسس و عهد جديد هو كذلك مؤسس.

لقد كان عصر الخليفة المنصور عصرا نشطا من حيث الترجمة والعلم والأدب، ففي عصره وفد إلى بغداد عالم هندي حاملا معه مقالة في الرياضيات وأخرى في علم الفلك تعرف بمقالة "سدهانتا[27] [Sidhanta] حيث استطاع هذا النص من تغيير مجرى علم الفلك عند العرب.

---

[27] – Siddhanta سدهانتا –معناه في السنسكريتية: معرفة وعلم ومذهب علمي، أطلق هذا اللفظ إصطلاحعلى كل كتاب في علم الهيئة وحساب حركات الكواكب.

ولأن هذه الوقفة مهمة في التاريخ الترجمي عند العرب، ارتأيت أن أنقل ما قاله الأستاذ نللينو في هذا الشأن:" وما اقتصر الخليفة المنصور على مجرد أحكام النجوم وما يتعلق بها ضروريا بل منذ تأسيس بغداد بسنين قليلة بادر إلى إحياء علم الهيئة المحض مستسقيا من موارد الهند. والذي دعاه إلى ذلك أن رجلا هنديا جاء بغداد في جملة وفد السند على المنصور وهو ماهر في معرفة حركات الكواكب وحسابها وسائر أعمال الفلك على مذهب علماء وقته وخصوصا على مذهب كتاب باللغة السنسكريتية اسمه "أبراهمسبهط سد هانتا"[28] ألفه سنة 628 م الفلكي والرياضي الشهير "برهمكبتا [Brahmagupta] للملك "فياكهرمكه".

وكلف المنصور ذلك الهندي بإملاء مختصر الكتاب ثم أمر بترجمته إلى اللغة العربية، و باستخراج كتاب منه اتخذه العرب أصلا في حساب حركات الكواكب وما يتعلق به من الأعمال. فتولى ذلك الغزاري وعمل منه زيجا اشتهر بين علماء العرب حتى أنهم لم يعملوا إلا به إلى أيام المأمون، حيث ابتدأ انتشار مذهب بطليموس في الحساب والجداول الفلكية."[29]

ولكن للترجمة عند العباسيين في المرحلة الأولى عيوبا لأنها كانت تنقل من اليونانية إلى السريانية ومن ثم إلى العربية. حيث " خدم السريانيون العلم والفلسفة بما ترجموا أكثر مما ألفوا، فلم يبتكروا كثيرا.

---

[28]- أبرهمسبهط سد هانتا: تعني " كتاب الهيئة المصحح المنسوب إلى (برهم).هذه تعريفات حسب الأستاذ نيللنو. ويمكن مراجعة: إسماعيل مظهر في كتابه (تاريخ الفكر العربي) - ص: 43.

[29]- أنظر- إسماعيل مظهر- نفسه- ص : 43.

وحفظت اللغة السريانية بعض الكتب اليونانية التي فقد أصلها، وكانت ترجمتهم لكتب الفلسفة اليونانية هي الأساس الذي اعتمد عليه العرب والمسلمون أول أمرهم، فقد كانت الترجمة السريانية في عهدها الأول ترجمة حرفية تقريبا، ثم تحرر الكتاب المتأخر ون من حرفية الترجمة.

وكان هؤلاء السريانيون ينقلون العلوم اليونانية بدقة وأمانة فيما يمس الدين، كالمنطق والطبيعة والطب والرياضة، أما الإلهيات ونحوها فكانت تعدل بما يتفق والمسيحية.

وهذه هي الطريقة التي سلكها المسلمون فيما بعد، فقد أغفلوا من الإلهيات كثيرا مما يخالف تعاليم الإسلام، ولم يقتصر السريانيون على الترجمة من اليونانية، بل ترجموا كذلك من الفهلوية فترجموا منها تاريخ الإسكندر، نقله الفرس عن اليونانية ثم نقله السريانيون عن الفهلوية وكذلك ترجموا كليلة ودمنة إلى السريانية في القرن السادس الميلادي، وقصة السندباد في القرن الثامن."[30] زد على ذلك أن الكتب اليونانية الأصلية لم تصل إليهم في نصها، وإنما وصلت إليهم شروحا وحواشي وتعليقات تتفاوت في قدرتها على فهم النص واستيعابه.

ولأن المترجمين الأولين غير محترفين بل أغلبهم أطباء يشتغلون على الأدوية الكيماوية، فغالبا ما كانت ترجماتهم إما ناقصة أو يشوبها بعض الإضطراب في الصياغة خاصة صياغة المصطلحات التي كان عليهم أن يعربوها.

---

[30]–أحمد أمين –فجر الإسلام – ص:131.

أو كان يشترك مترجمان أو أكثر في الإشتغال على ترجمة نص واحد، نقلا وتصحيحا. فحين يتحدث إبن النديم عن عبد الحميد الكاتب حيث نقل من رسائل أرسطاليس إلى الإسكندر ونقل له وأصلح هو. تحتاج عبارة إبن النديم شيئا من التمعن فقوله "نقل" يعني أن سالما كان يعرف اليونانية أو السريانية حتى يقوم بهذا العمل، ثم قوله "ونقل له وأصلح هو" يشير إلى أنه اعتمد على جهود بعض المترجمين والنقلة، وهذا يعني أحد شيئين؛ أن سالما لم يكن يعرف إحدى اللغتين وهذا شيء يبطله قوله "ونقل" أو أن مشاغله الكثيرة في الدولة جعلته يستعين في بعض ما نُقلَ بأحد النقلة، فهو على التوجيه الأخير قد قام بعملين بالنقل المباشر والإصلاح لما نقله غيره، ومعنى الإصلاح هنا منح المنقول متانة في الأسلوب وصوغه في قالب بليغ مقبول، بحيث يلتبس بأسلوب سالم نفسه عندما ينشئ، أو يقاربه كثيرا.

وعندي أن عبارة إبن النديم يجب أن تقرأ "نَقَلَ ...أو نُقلَ له" وعلى المرجح أن سالما لم يكن يحسن اليونانية أو السريانية، وإنما حكّم أسلوبه البلاغي في ما أعانه به بعض المترجمين. وأي الأمرين كان فإنه يشير إلى جهود مبكرة في النقل، قبل أن يبدأ عصر الترجمة المنظم، ولهذا ما يؤيده في شهادة أخرى أوردها المسعودي، فقد ذكر أنه رأى عام 303 م كتابا بإصطخر يشتمل على علوم كثيرة من علوم الفرس وأخبار ملوكهم وأبنيتهم وسياستهم وأن ذلك كان مما ترجم لهاشم بن عبد الملك في سنة 113 هـ.[31]

---

[31]– أنظر: د. إحسان عباس–ملامح يونانية في الأدب العربي– ص: 100.

على هذه الطريقة وغيرها سارت عملية الترجمة، تتدخل في جودتها ورداءتها عدة عوامل، خاصة عامل مضمون النص المترجم، حيث لم يكن المترجمون يفهمون اللاهوت أو المنطق أو ما شابه ذلك من الموضوعات التي كانت تزخر بها النصوص التي كان على المترجمين نقلها إلى اللغة العربية، فكانوا يحشونها (النصوص) من مزاجهم الثقافي والنفسي كلما أحسوا بإشكالية تطرح في الترجمة، أو إقحام أفكار فلاسفة آخرين مثلا، مما كان يولد النص المترجم بطريقة التناص. و الدليل على ما أقول أن الترجمة عند السريان واليعاقبة كانت لغرض ديني ولنصرة المسيحية أولا، ولأغراض حياتية أخرى ثانيا، وقد يكون العامل الأول قد أثر على الترجمة خاصة في العصر العباسي وفيما بعد، ونقصد المرحلة الأولى.

فلقد حث المنصور إبراهيم الفيزاري على ترجمة كتاب "أبراهمسهط سد هانتا" الذي أصبح يعرف فيما بعد بكتاب "سند هند"، وأمر المأمون محمد بن موسى بجمع كتب العدد والجبر وترجمتها إلى العربية، حيث يظهر من خلال تحليله إلى أن علم الجبر ليس عربيا بحتا وإنما أخذ عن الهنود عكس من يقولون بأخذه عن اليونانيين، في حين إن والد المأمون، هارون الرشيد استقدم من مدرسة جنديسابور أطباء كالطبيب النسطوري "جورجيوس بن بختيشوع" الذي كان طبيبه الخاص، وكذلك ابنه "بختيشوع بن جورجيوس" الذي خلفه وابن هذا الأخير "جبرائيل" الذي عين على تطبيب جعفر البر مكي. وغيرهم من الأطباء الذين

ألفوا في الأدوية الكيميائية كعيسى بن صهاربخت ويحيى ماسرجويه John Bar Maserjoye الذي ترأس مدرسة الطب في بغداد وعمل على التأليف والترجمة.

ورغم دقة الترجمة في هذه العصور، إلا أننا نسجل الصعوبة التي كان يتلقاها المترجمون، والمتمثلة خاصة في صعوبة الأسماء اليونانية وتشابه بعضها بالبعض الآخر حين ترسم بالحروف العربية، كما أنه قد ينشأ عن جهل بالقائل الأصلي، إذ قد ينزع أحدهم متمثلا بقول قديم، فيظن أنه صاحب ذلك القول، فينسب إليه دون صاحبه الحقيقي ومن أمثلة ذلك ما يروى من أن رجلا عليه ثياب فاخرة وقف على فيثاغورس فتكلم ولحن في كلامه فقال له فيثاغورس: إما أن تتكلم بكلام يشبه لباسك، أو أن تلبس لباسا يشبه كلامك. فهذا القول ينسب للمبرد، ولا تفسير لذلك إلا أن المبرد تمثل به في موقف مشابه. كذلك بعض الأقوال إذا ترجمت من اليوناني إلى العربية أشبهت أقوالا سائرة في العربية، فاختلطت بذلك نسبتها، فالقول:" لا يكسب الإنسان الحسنة إلا بالتعب" من أقوال بوربيدس، ومع ذلك فلو نسبه أحدهم لأحد حكماء المسلمين لجازت النسبة.

وكثيرا ما يحور المترجمون في النصوص المنقولة بعض تحوير لتشبه شيئا موجودا في تراث اللغة التي ينقلون إليها. وقد يكون المترجم أمينا غاية في الأمانة، إلا أن مصادره مضطربة تنسب القول الواحد لعدة أشخاص. فقول مثل:" إنما جعل للإنسان لسان واحد وأذنان ليكون ما يسمعه أكثر مما يتكلم به" قد ورد في المصادر اليونانية واللاتينية منسوبا

إلى كل من: ديموقريطس وديموستين وزينون الرواقي واكزنوقراطس وافقطيطس" وحين نقل إلى المصادر العربية، نسب أيضا إلى كل من سقراط وأفلاطون وديوجانس.[32]

وقد يكون وجود المادة الترجمية-أي العلم- عاملا قد لا يكون أساسيا ولكنه قد يجد الإنسان كتابا لا يفهمه لأنه في لغة لا يعرفها فيحاول أن يترجمه. وقد يكون كذلك للجو المطمئن لدى العجم في ظل الدولة الإسلامية باعثا مهما في عملية الترجمة. ولكن نظن أن لوجود الأمراء والحكماء والوزراء في حاشية الخليفة دورا، إذ شجعوا على بعث العلوم القديمة تارة والحفاظ على العلوم الحديثة والآداب تارة أخرى.

ولكننا نرى كذلك أن طبيعة العمران والحضارة يتطلب حتما الترجمة قصد الوقوف على علم وتقنيات الحضارات السابقة[33]، أو لم يترجم عمر بن الخطاب كتب التنظيم الإداري عن الفارسية؟ فهذا عمر بن الخطاب جاء من بيئة قليلة الثقافة والعلم رغم تأثرها بعمران الأمم الأخرى، المتحضرة المجاورة، إلا انه بعد الفتوحات الإسلامية وجد نفسه أمام معضلات حضارية لم تتطرق إليها لا الشريعة الإسلامية ولا النظم البدائية التي صاغتها المدينة المنورة. نقصد من وراء هذا أن هذه النظم وإن أظهرت كمالها في وقت ما إلا أنها لم تعد تتجاوب والمواقف الجديدة، واتساع رقعة الدولة الإسلامية، وظهور مشاكل أخرى كالخراج وتقسيم المال..لم يألفها المسلمون في مدينتهم.

---

[32]-أنظر: د.إحسان عباس- ملامح يونانية في الأدب العربي- ص : 48-49.

[33]-أنظر: إسماعيل مظهر- تاريخ الفكر العربي- ص:74.

إن ما يمكن الإشارة إليه هو أن الترجمة عند الأمويين قد اتسمت إلى حد ما بالعفوية والذاتية، إذ كانت عملا يقوم عليه أفراد من دون تنظيم يذكر، في حين كانت عند العباسيين عملا منظما تسهر عليه الدولة، تموله وتشجعه لإدراكها خطورة مقاصده من جهة، وتأثير التكوين العلمي والسياسي للخليفة من جهة أخرى. فالمأمون نفسه كان عالما داريا بأمور السياسة والدين والفلسفة وعلم الفلك والرياضيات وقد اتخذ الاعتزال مذهبا له، وحاول أن يفرضه على العامة من الأمة، وربما الدم الفارسي من جهة أمه والذي كان يسري في شريانه هو الذي دفعه للقيام والنهوض بالجانب الفكري والحضاري للدولة العباسية، إذ يجب أن نشير إلى أن أجداده من أمه بنوا حضارة عريقة هي حضارة الساسانيين، فتأثره بأخواله كان عاملا من عوامل جديته والتفاته إلى العلوم ومحاولة نقلها إلى اللغة العربية.[34]

إذن نستطرد ونقول إنه ومنذ أيام المنصور أخذ المسلمون يتتبعون كتب العلم والفلسفة في اللغة اليونانية لينقلوها إلى اللغة العربية، وكانوا يبذلون في ذلك الأموال الكثيرة. وكان بعض أثرياء المسلمين يذهبون إلى بلاد الروم ويصطحبون معهم أفرادا يحسنون اللغة اليونانية ليشتروا لهم الكتب الفلسفية، كبني المنجم مثلا.

أما سبب اتساع تلك الحركة في عهد المأمون فهو أن المأمون لما انتصر على الروم (215هـ-830 م) وعلم بكتب الفلسفة المخزونة عندهم اهتبل الفرصة وأحب أن يأخذ في

---

[34] – الفكرة متداولة في جملة من الكتب التاريخية، تحتاج إلى مناقشة ليس هنا مجالها.

شروط الصلح مكان المال كتبا. وقد ظن توفيل (ثيوفيلوس) ملك الروم ذلك كسبا. أما المأمون فعده نعمة عظيمة.

على أن مؤرخي العرب يروون في طلب المأمون لكتب الفلسفة اليونانية قصة هي أن الخليفة المأمون رأى في المنام أرسطاطاليس وكلمه في أمور وأعجب به. فلما استيقظ تعلقت همته بنقل الكتب اليونانية فكتب إلى ملك الروم يطلب منه كتبا لفلاسفة اليونان. وكان ملوك اليونان، لما انتصرت النصرانية في بلادها، قد جمعوا كتب الحكمة من أيدي الناس وجعلوها في هيكل قديم وأغلقوا بابه. ففتح ملك الروم هذا الهيكل وأرسل خمسة أحمال من كتب الحكمة إلى المأمون، بعد أن كان طول الزمن قد أفسد كثيرا من هذه الكتب بالرطوبة والعث.[35]

وأمام ضخامة وكبر هذا المشروع، ووقوف الدولة موقفا إيجابيا، بتشجيع الخليفة للترجمة، دأب المترجمون كل ينقب في النصوص، يحاول أن يجد شيئا يفيد الدولة الإسلامية في تفتحها على الشعوب الأخرى، من جهة والبحث عن إمكانية إيجاد حلول لبعض المشاكل المادية التي كان يعيش فيها الإنسان المسلم.

حيث يرى أفرام البعلبكي أن عملية الترجمة لم تكن لأسباب علمية أو حضارية بحتة، بل لأسباب أخرى من بينها البحث في مرض المعدة بعد أن كان المسلمون يعيشون حالة الترف والدعة وهو يقول في هذا الصدد : " أما حالة الدعة والترف التي أخلد العرب بعد

---

[35]-أنظر: عمر فروخ- تاريخ الفكر العربي إلى أيام إبن خلدون- ص: 272-273.

فتوحاتهم فقد أفسدت عليهم صحتهم، فتهدلت أجسادهم وانتشر بينهم داء المعدة وتفشت الأمراض والحميات في الحواضر والتجمعات السكنية، فأطلق الخلفاء والحكام يد الأطباء والمترجمين في نقل الكتب الطبية من المصادر المختلفة."[36]

على أن هذه نظرة- أعتقدها- سلبية إلى التاريخ الإسلامي، فأفرام البعلبكي هذا، يريد تمرير فكرة مفادها أن العرب لا طب لهم، وأن أصل حضارتهم الطبية جاءتهم من المسيحيين النساطرة واليعاقبة.

إن الترجمات عند العرب المسلمين لم تكن إنتقائية، بل كانت أمامهم مادة علمية وكان عليهم ترجمتها، فخاضوا في ترجمة كل العلوم دون إستثناء، إلا بعض المؤرخين لاحظوا غيابا جزئيا لترجمة بعض الأعمال الأدبية الكبرى، مثل الإلياذة والأوديسة لهوميروس أو موضوع التراجيديا بصفة عامة، وربما مرد ذلك لسبب ديني بحت إذ أن المزاج العربي لا يتلاءم مع تعدد الآلهة ومصارعة الإنسان لها.

ومما يدل على أن العرب لم يترجموا الآثار اليونانية الكبرى في الأدب، ما تم لديهم حينما ترجموا "كتاب الشعر" الذي يستند على شواهد أدبية، فقد وضح بقوة أن التراجمة والمعلقين على هذا الكتاب من أمثال أبي بشر يونس بن متى والفارابي وابن سينا وابن رشد وحازم القرطاجنين قد عجزوا عن فهم ما فيه من مصطلح وعن الإفادة الصحيحة

---

[36]-د.أ.البعلبكي-مدخل إلى تاريخ الفكر العربي- ص:250.

من قواعده وأحكامه، لأنه لم يكن لديهم أمثلة مترجمة –وبالتالي أمثلة أصلية- تدلهم على مفهوم الملحمة أو المأساة.[37]

" وفي المائة سنة التي تلت وفاة الفارابي (339هـ–950م) تواجهنا ظاهرة تلفت النظر حقا، وهي زيادة الإهتمام بأدب الحكمة اليوناني: كان قسم كبير من هذا الأدب قد ترجم في فترة مبكرة، فكان هم المثقفين في الحقبة التي أشير إليها أن يحددوا النظر فيما كان قد ترجم، وأن يعيدوا إبرازه، أو أن يترجموا أشياء جديدة لم تكن قد ترجمت من قبل."[38]

وهنا يجب علينا أن نلحظ أمرا هاما راعاه أولئك المثقفون أو بعضهم، فإنهم كانوا حريصين على الفصل بين أدب الحكمة وبين الشعر، كذلك فعل أبو سليمان المنطقي في الفصل الذي عقده لأوميروس، وعلى ذلك جرى إبن هندو في "الكلم الروحانية" فإنه بعد أن نسب الأقوال الحكمية لكل فيلسوف على حدة، عقد فصلا خاصا بعنوان" مما نقل من أشعارهم إلى العربية " ومن بعد تلك الحقبة التزم الشهرستاني (548 هـ– 1153 م) بهذا المبدأ، وخلصة في ترجمة أوميروس،جريا على ما اختطفه أبو سليمان. وقد كان لهذا الفصل بين النوعين قيمة محدودة ذلك لأنه دب بأمانة على مصادر الترجمة، ولكن طبيعة الشعر المترجم، كانت شديدة الشبه بالأقوال الحكمية، حتى ليمكن القول إن هذا الشعر لم

---

[37]–ن.م.س. –ص:23–24.

[38]–نفسه –ص:29.

يترجم إلا لأنه كان يمثل وجها من وجوه الحكمة اليونانية، وإن روعته الشعرية لم تكن هي الحافز الأول على الإهتمام به."[39]

4. البوهيون في بغداد :

يبدأ هذا العصر بدخول البويهيين بغداد سنة 334هـ، وينتهي بإزالة التتار الخلافة العباسية منها عام 656هـ. إن دخول البويهيين بغداد كان نتيجة طبيعية للضعف الذي منيت به الخلافة العباسية في أواسط القرن الثالث الهجري، واستفحل حتى إنتهى بها إلى هذا المصير. ويعود ضعف الخلافة العباسية إلى أسباب بعيدة وأخرى قريبة، يتصل بعضها ببعض بشتى الصلات الوثيقة، وتتلازم فيما بينها حتى أن أحدها يلازم الآخر ولاينفك عنه.

ولما نشأت هذه الدول والإمارات في هذا العصر، أخذت تنافس بغداد في مقامها الثقافي، وتعنى بالعلم والأدب وسائر فروع المعرفة، وتجتذب إليها العلماء والشعراء وتكرمهم أو تستخدمهم، فظهرت قرطبة وغرناطة والقاهرة والقيروان وصقلية وحلب ودمشق والموصل في الناحية الغربية، كما ظهرت أصبهان ونيسابور والري وجرجان وغرنة وبخارى وسمرقند في الناحية الشرقية. ولكن هذه الدول والإمارات عربيها وفارسيها، مع تميز بعضها عن بعض في الجنس واللغة، لم تستغن جميعا عن إصطناع العربية الفصحى لغة رسمية لها في التعليم والسياسة والتعبد، فأبقت عليها بل آزرتها وقربت علماءها

---

[39] نفسه –ص:29.

وكتابها وشعراءها، وأغدقت عليهم الأموال، وتنافست كل منها في أن تحف نفسها بأكبر عدد منها على حسب إستطاعتها، تأييدا لدولتها وزينا لملكها، إذ كان إستدناء أهل العلم والأدب وأكرمهم في نظر أهل ذلك العصر من أسباب الأبهة وأدلة الحضارة.

إن تأسيس هذه المدن المتنوعة في التاريخ و المتوزعة في الجغرافيا، من حيث التباعد الحضاري المولد للتباعد اللغوي و العاداتي خلق جوا من مشروطية الترجمة. و ذلك حسب الأساليب العلمية و الفنية و دورهما في موضوعة الترجمة في مقابل النص في تنوعه العلمي و البراغماتي و الأدبي الفني الجمالي و الفلسفي.

لقد حاول بعض هؤلاء الذين تحققت لهم أمنيتهم في إستعادة مملكتهم القديمة وإحياء سلطانهم السياسي في بلادهم أن يسترجعوا سلطان لغتهم أيضا، فشعروا في هذا العصر في إنشاء آداب جديدة بلغتهم الفارسية الحديثة. وبدأت بذلك الدولة السامانية ببخارى، فترجم على عهدها تأريخ الطبري وتفسيره، وظهر عدد من الشعراء بالفارسية كالرودكي السمرقندي والعنصري والدقيقي الطوسي. ونظم الدقيقي (الشاهنامة) بالفارسية بإشارة من نوح بن منصور الساماني، فقتل قبل أن يتمها.

فقد أورد الثعالبي –منتصف القرن الخامس– للشاعر أبي الفضل السكري المزوري أحمد بن محمد بن يزيد، مزدوجة ترجم فيها أمثالا للفرس، منها قوله:–

من مثل الفرس ذوي الأبصار الثوب رهن في يد القصار.

نال الحمار بالسقوط في الوحل ما كان يهوى ونجى من العمل.

والعنز لايسمن إلا بالعلف لايسمن العنز بقول ذي لطف.

وأتى الثعالبي بصورة أخرى من هذه الأمثال المترجمة، ولكنه لم يبين إلى أي عصر أو أي قوم تنتمي، والغريب أنها ليست مزدوجة ولا أرجوزة، بل هي شعر يسري على وزن البحر السريع، وكل بيت منها مستقل بنفسه، لايحتاج إلى الأبيات الأخرى لأداء المعنى كاملا، وواضح أنها محاولة لإدراج أكبر عدد ممكن من الأمثال في نطاق واحد، ومنها نذكر:-

إنتهز الفرصة في وقتها والتقط الجوز إذا ينثر.

0//0/0///0/0///0/ //0/0///0/0///0/

يطلب أصل المرء من فعله ففعله عن أصله يخبر.

//0/0//0//0/0///0/ //0///0/0///0//

إن تأت عورا فتعاور لهم وقل أتاكم رجل أعور.

0//0/0///0/0//0/0/ //0/0///0/0//0//

وهذه الصورة الجديدة من الترجمة لاتختلف كثيرا ولا قليلا عن الأشعار المنظومة إبتداء في الحكمة، وهي في وزنها وصياغتها محاولة تتفوق على كل ما سبقها في هذا المضمار.[40]

• [40]- أنظر:د.إحسان عباس –ملامح يونانية في الأدب العربي – ص:146-148.

وجرت الدولة الغزنوية على سننها، فشجعت إحياء الآداب الفارسية، وأشار السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي على الفردوسي أن يتم نظم الشاهنامة، ففعل، وكان قليل منها من نظم الدقيقي ومعظمها من نظمه ولذلك نسبت إليه، وقد كان الفردوسي على جانب كبير من العصبية الفارسية وكره العرب، فحاول أن يخرج "الشاهنامة" باللغة الفارسية الخالصة ويتحرر من الكلمات العربية، فأخفق وسجل على نفسه ولغته العجز، ولعل الغريب في الأمر أن هؤلاء المشجعين على إحياء الآداب الفارسية من الملوك كالسامانيين والغزنويين ثم من خلفهم من السلاجقة والغوريين، هم من أصول تركية، وهم لم يفكروا في إحياء لغتهم، لأن التركية كانت قاصرة أن تكون لغة علم وأدب وكان جل رعاياهم من الفرس، فأرادوا أن يتملقوهم، وأظهروا هذه العصبية في إحياء الآداب والعلوم الفارسية.

لقد أثر الفرس بشيء من معانيهم وخيالاتهم، لأنهم هم الذين إنتقلوا إلى العربية ولم تنتقل العربية إليهم، وإذا اليونان والرومان لم ينتقلوا إلى العربية، فنجد أن أثرهم كان في العرب أثرا قليلا.

هناك سبب آخر دعا إلى تأثر العرب بالفارسية أكثر من اليونانية، ذلك أن دولة الفرس ذابت في المملكة العربية، وكانت حياة الفرس الإجتماعية تحت أعين العرب يعرفون عنها الكثير، فاستطاعوا أن يتذوقوا شيئا من أدبهم؛ أما الحياة اليونانية فكانت بعيدة كل البعد عن معيشة العرب، ولم تكن تحت أعينهم لينظروها، آلهة تخالف كل المخالفة تعاليم دينهم، ونظم سياسية واجتماعية واقتصادية لاعهد لهم بها، وأنواع من اللهو لم يالفوها. والأدب

كما نعلم إنما هو صورة منعكسة للمعيشة الإجتماعية خاصة، فكان لزاما أن يتذوق العرب الأدب اليوناني ويتأثروا به.

ولكن مع ذلك فإن الفرس لم يستطيعوا أن يجعلوا اللغة الفارسية لغة عامة للعلم والتعليم والتشريع والسياسة والحضارة، إلا بعد انقضاء هذا العصر، بل بعد فترة غير قصيرة من إحتلال المغول، ولذلك أسباب كثيرة وعديدة، يرجع بعضها إلى الفارسية القديمة نفسها من حيث أنها نسيت أو كادت تنسى، وحلت محلها لغة عامية فارسية تقتصر كما تقتصر تلك أيضا عن مجاراة العلم والتشريع والسياسة والحضارة، وتعجز عن إمدادها جميعا بما يخلف الألفاظ والمصطلحات التي فاض فيضها من معين العربية.

5. الأندلسيون و الترجمة.

يبدو أن استعراض كتب النقلة الأوائل وأعمال الأعلام العرب من مؤلفين في العلوم البحتة والتطبيقية وفي علوم اللغة... أن المصادر التي اعتمدوا عليها في كتبهم ذات "شخصية متميزة" فكل ناقل أو مؤلف يعتمد ما كتبه واعتمده سلفه وإذا رأى إضافة شيء جديد لم يمنعه ذلك من ذكر أقوال من سبقه قبل إبداء رأيه والاحتجاج لقوله. وهذا ما يعطي للدارس المتأمل انطباعا عن مدى قدرة النقلة والمؤلفين العرب على التكيف والتعامل مع لغات العالم جميعها، والوصول إلى مصطلحات علمية حازت القبول على مدى العصور التالية، وبقي الكثير منها قيد الاستعمال حتى اليوم[41]

---

[41] -قاسم سارة -عالم الفكر -مقال -م.س. -ص:126.

إن إستيقاض الحضارة الغربية لم يحدث تلقائيا بل كان نتيجة عمل دؤوب في الترجمة من العربية إلى اللاتينية عبر قرون امتدت من سقوط الأندلس، بل قبل ذلك وإلى غاية القرن السادس عشر. لكن قبل الخوض في الحديث عن الترجمة ودور مدينة طليطلة فيها، كنتيجة حتمية لوجود المعارف في الأندلس الإسلامية، وكيف تعامل الغرب مع هذه العلوم نقلا وترجمة، لابد أن أعطي ولو نبذة مختصرة عن حضارة العرب في الأندلس وكيف ترجم الغرب العلوم العربية.

إن النهضة الثقافية والعلمية التي عرفتها الأندلس لم تكن منبعثة من الصفر، بل كانت امتدادا طبيعيا للوعي الثقافي والعلمي الذي عم بلاد المشرق، لكن الأندلسيين عرفوا كيف يبلوروا التراث، ويجعلوه خاصا بهم، فيه مميزات ونفحات أندلسية تختلف في كثير من جوانبها عن تلك التي نشأت في المشرق العربي.

وبدأت الحركة العلمية تتجه من المغرب نحو المشرق في تفاعل حضاري، بعد أن كانت تسير في اتجاه واحد من المشرق نحو المغرب.

ولأن الخلفاء كانوا ولعين بالثقافة والعلم شغوفين بها، فهذا "الحكم المستنصر"يوجه إلى المشرق "عباس بن ناصح الجزيري" قصد التماس الكتب القديمة، فجاءه بكتاب "السند هند" وغيره الكثير. ويعتبر الخليفة "المستنصر" أول من أوعز بإدخال هذه الكتب إلى بلاد الأندلس، وهو الأول الذي نظر فيها. إن ميزة هذا الخليفة العلمية والمعرفية، كانت صبغة

عامة عند خلفاء بني أمية في الأندلس، حتى أصبحوا يضاهون بمكتباتهم مكتبات بغداد. إن حب الإطلاع وحب المعرفة والآداب دفعهم إلى الترجمة.

إن هذا النشاط المعرفي لم يقتصر على بغداد، أو القسم الشرقي من الإمبراطورية العثمانية، بل تعداه إلى القسم الغربي خاصة الأندلس التي نافست الدول المشرقية بجلبها الكتب اليونانية. وجهت الترجمة توجيها سليما وصحيحا، لما بعث إمبراطور بيزنطة "رومانوس 337 هـ" هدية إلى الخليفة "الناصر"، وهي عبارة عن كتابين. الكتاب الأول "لديسقوريوس"، في النباتات مصورا ومكتوبا بالإغريقية، ولم يكن في قرطبة من النصارى من يقرأ اللغة الإغريقية فطلب "الناصر" من إمبراطور بيزنطة أن يبعث إليه رجلا يتكلم اليونانية واللاتينية حتى يعلم بعض عبيده؟؟ ليكونوا له مترجمين، فبعث له براهب إسمه "نيكولا" سنة 340هـ، والذي مكث بالأندلس مدة طويلة. أما الكتاب الثاني فكان في التاريخ، ألفه "بولوس هوروسيس" Paulus Orasius وعنوانه " Hutoria Adversus Paganus" وقد خاطبه الإمبراطور بشأن هذا الكتاب قائلا :" أما كتاب "هوروسيس"، فعندك في بلدك من اللطنيين من يقرأه باللسان اللطيني وإن كاشفتهم عنه نقلوه لك من اللطيني إلى لسان العرب"[42]

ومع أن الحقبة الثانية من حقب الترجمة اتجهت –سواء في الشرق أو في الأندلس– إلى الآثار اليونانية الفكرية والعلمية، وعرجت على النصوص السياسية تطلبها حيثما وجدتها ،

---

[42] –د. إحسان عباس –تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة –دار الثقافة –بيروت –لبنان –ط7 –1985 –ص:65.

وتترجمها إلى العربية، فإن الصبغة "الفارسية" في السياسة، ظلت هي المسيطرة في هذا الجانب الثقافي، وخاصة لأن أغلب السياسيين حول المأمون كانوا من الفرس، حتى أن المأمون نفسه لا يزال يأمر معلم الواثق بالله أن يعلمه –بعد كتاب الله– عهد أردشير ويحفظه كليلة ودمنة؛ وقد ظلت طبقة البيروقراطية في الدولة تتجه نحو الثقافة الفارسية، فالكاتب يكتفي بأن يروي لبزرجمهر أمثاله، ولأردشير عهده و لابن المقفع أدبه، وبأن يصير كتاب مزدك معدن علمه ودفتر كليلة ودمنة كنز حكمته؛ ويظل الحذر من الثقافة اليونانية إلى ما بعد ذلك بزمن عند مؤلفي كتب الأدب. أمثال إبن قتيبة، فإن ما أورده مما يتصل بالسياسة من تراث الفرس، لا تقف إلى جانبه تلك الأقوال اليسيرة التي نسبها إلى اليونانيين؛ وقد عبر إبن قتيبة عن هذا الحذر في "أدب الكاتب" حين قال يصف المثقف في عصره:"وانحراف إلى علم قد سلمه له ولأمثاله المسلمون، وقل فيه المتناظرون، له ترجمة تروق بلا معنى، واسم يهول بلا جسم، فإذا سمع الغمر والحدث الغر قوله: الكون والفساد، وسمع الكيان والأسماء المفردة، والكيفية والكمية والزمان والدليل والأخبار المؤلفة راعه ما سمع...[43]

إن ما نود الإشارة إليه وتأكيده هو أن الأندلسيين عرفوا الترجمة هم كذلك ولم ينتظروا ترجمات الشرق أو أن يعيشوا متطفلين ثقافيا على مائدة الشرق العلمية والثقافية، بل إنهم أبدعوا وابتكروا، وكان المجتمع الأندلسي مفعما بالنشاطات الثقافية والعلمية التي لم تنقطع

---

[43] –أنظر: د. إحسان عباس –ملامح يونانية في الأدب العربي –م.س. –ص:12-13.

طول المدة التي بقيها المسلمون في هذه الرقعة الجغرافية الجميلة.حيث أسسوا حضارة راقية لا مثيل لها في هذا الجنوب الأوربي.

إن استعادة طليطلة (1085م)، مكن ملوك قشتالة من مكتبة "الحكم الثاني" المليئة بالكتب، والمخطوطات مختلفة العلوم والثقافات، وكان يعمل بها وقتئذ مترجمون مسلمون ومسيحيون ويهود، حيث حاولوا الاختلاط بالإسبان قصد رفع مستواهم الثقافي والعلمي الذي كان لا يرقى إلى مستوى ما تحتويه هذه المكتبة. ولأن الترجمة عنصر مهم من عناصر الرفع من المستوى الثقافي، وأنها تساعد على التعلم، دأب هؤلاء المترجمون على هذه المآثر يترجمونها وينقلونها بأساليب راقية إلى اللغة القشتالية تارة وإلى اللغات الأخرى خاصة اللاتينية، وهكذا أنشأوا مدرسة المترجمين بطليطلة " Collegis de traduttores Teledonus "، وهي التي قامت بالدور المنوط بها، والذي تمثل أساسا في نقل كل ما ترجمه العرب عن اليونان والفرس والترك، وعلومهم البحتة إلى أوربا كلها.

وقد استمر هذا العمل الترجمي الراقي زهاء قرن من الزمن، وذلك بتشجيع أولا من أسقف طليطلة "رايموندو – Raimundo "، و هو مستشار – في الوقت نفسه– لملك قشتالة. ومن بعده قام رجال الكنيسة بنفس الدور، حيث ساروا على خطاه.

نصب رايموندو هذا الأسقف الدومينيكي "غونديسالقي" (توفي عام 1180م) على رأس مدرسة طليطلة للمترجمين، حيث تعاون مع خاصة "يوحنا بن داود" الإشبيلي في ترجمة مؤلفات إبن سينا "النفس" ، "ما وراء الطبيعة" وبعض آثار الغزالي "مقاصد الفلاسفة".في

ذات الوقت ترجم "يوحنا بن داود" الإسباني الفلكي بعض كتب أبي معشر الفلكي والفرغاني عام 1134م، وبعض كتب الخوارزمي في الجبر والتي بفضلها عرفت أوربا العدد "الصفر" وأدخلته في نظامها العددي. وترجم الإيطالي "جيرار دو ألكريموني" الذي يعد من أوائل المستشرقين، فلسفة الكندي وكتب أخرى في الطب والفلك والرياضيات، وقد ابتعته فريديريك الأول "إلى إسبانيا لجلب (المجسطي) لبطليموس، فبقي بطليطلة لمدة عشرين سنة.

واستمرت الترجمة من العربية إلى اللاتينية خلال القرون المتوالية التي وجد فيها العرب في الأندلس. ومن أشهر نقلة القرن السادس عشر نذكر "ميخائيل سكوتس" الذي ترجم بعض كتب أرسطو وابن سينا، وكان و"أندريا" اليهودي قد قام بترجمة أعمال إبن رشد إلى اللاتينية "السماء والعالم" و "رسالة في النفس"، حيث كان "أندريا" يفسر « لميخائيل سكوتس" ما يقرأ ثم يقوما معا بالترجمة. ونذكر بهذا الصدد دور اليهود في الترجمة حيث كانوا نقطة وصل بين اللغتين العربية واللاتينية، ثم من اليهودية إلى اللاتينية بعد أن جمعوا رصيدا معرفيا لا يستهان به. وفي نفس الفترة الزمنية ترجم "ماركوس" أسقف طليطلة بعض آثار جالينوس من العربية، كما ترجم القرآن الكريم، وبعض الكتب في علم التوحيد، وترجم "هارمان" الألماني شرح إبن رشد على الأخلاق لأرسطو سنة 1240م. وتلخيص الخطابة لابن رشد أيضا.

أما فيي عهد "ألفونسو العاشر"، فقد اهتمت إسبانيا بترجمة آثار العرب إلى اللاتينية، فنقلت كتبا عربية في الحكم والألغاز والشطرنج وكتب ألف ليلة وليلة، والسندباد وكتب أخرى في الفلك، حيث " أنشئ كذلك معهد الدراسات العليا في "مورسية" ثم نقل إلى "إشبيلية" بعد ذلك وانتدب فيه أساتذة من المسلمين لتدريس الطب والعلوم."[44]

ولأن الأندلس كانت القلب النابض للحركة العلمية والثقافية في أوربا في القرون الوسطى، فقد أمها طلاب العلم من كل أنحاء أوربا، من إيطاليا وفرنسا وإنجلترا وألمانيا.

وتلقوا العلوم باللغة العربية حيث تعلموها، واعتبروا من رواد الحركة الترجمية في أوربا، ولهم يرجع الفضل في التعريف بهذه العلوم عبر أقطارهم وبلغاتهم.[45]

إن تقبل الكتب العربية المترجمة عند الأوربيين له أسباب مختلفة، فالكنسيون اشتغلوا على ترجمة الكتب العربية لمجادلتهم في العقيدة الإسلامية، حيث وظفوا المسلمين العارفين لميدان الترجمة، واستخدموا الأسرى والقيان، وكل ما كانت له دراية باللغة العربية.

وكان السياسيون من رجال الدولة والعسكريون يهتمون بالميادين التي تبين جغرافية وحدود الدول الإسلامية عامة والعربية على وجه الخصوص، لغرض واحد هو

---

[44] –د.م.ع.مرحبا –من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية –م.س. –ص:857.

[45] –أنظر:– H.G. Farmer - Music, in The Legacy of Islam, p: 371.

الإستراتيجية التي كانت تتبلور لديهم والتي انتهت كما نعلم باستعمار البلاد العربية جميعها.

أما طلاب العلم والمثقفون فكان هدفهم هو محاولة التعرف على حضارة المسلمين الثقافية والعلمية ومحاولة مسايرتها والتعريف بها قصد النهوض بمجتمعاتهم التي كانت تعيش في جهل ووحشية بعيدة كل البعد عن المدنية.

لقد وظف الأوربيون كل قواهم، وجندوا عددا لايستهان به من المترجمين على اختلاف مآربهم، من نصارى أوربيين وشرقيين، ومسلمين، ويهود، حيث كان لهؤلاء دور الوسيط كونهم يجيدون اللغات الشرقية والغربية على حد سواء، فقد لعبوا دورا اساسيا ومركزيا في نقل علوم العرب إلى كل أوربا.

إن طليطلة المدينة الواقعة شمال إسبانيا، هي بمثابة بغداد العرب، بالنسبة للغرب، جاءها العلماء من نواحي أوربا المختلفة، منها انطلقت حركة الترجمة، ترجمة المعارف والثقافات العربية إلى اللاتينية في القرون الوسطى. ففي عام 1085م استولى عليها الملك ألفونسو السادس، فوجدها تزخر بالثقافة، خاصة مكتبتها المليئة بالمؤلفات العربية الأصلية والمترجمة عن اليونانية، فنجد مجموعة من المترجمين الذين استقدمهم من أنحاء مختلفة من أوربا. وأنشأ بالمدينة " معهد المترجمين الطليطليين" والذي كان له دورا أساسيا في انتشار الثقافة والعلوم العربية في كامل أوربا، خاصة أثناء حكم ألفونس السابع. حيث يذكر لويس يونغ في كتابه : » العرب وأوربا" والذي قام

بترجمته ميشال أزرق عام 1979م، أهم وأشهر المترجمين في هذا العهد، فيذكر الإنجليزيان روبرت الكلتوني وأدلار الباثي، واليهوديان أبرهام بن عزرا وأخوه، وافيطالي جيراردو ألكريموني.[46] ومن أبرز مترجمي هذه المدرسة نذكر:

- ألدون رايموندو، وهو أسقف مدينة طليطلة، توفي عام 1150م، حيث شغل منصب مستشار ملك قشتالة (Castilla) واهتم بالمترجمين في عهد الملك ألفونسو السابع.
- دومينيكوس غنديسالفي، وهو رجل كنسي توفي عام 1181م.
- يوحنا بن داود وهو إسباني يهودي متنصر.

حيث ترجم هذان الأخيران جملة من المؤلفات العربية إلى اللاتينية، نذكر منها على سبيل المثال:" ما وراء الطبيعة" و "النفس" و "الطبيعة" للعالم ابن سينا، وكذلك "مقاصد الفلاسفة" لأبي حامد الغزالي.[47]

لقد تطورت ترجمة المعارف والثقافات على أيدي هؤلاء، وعمت أوربا بكاملها، وبلغت ذروتها مع مجيء الملك ألفونسو العاشر، الذي اهتم كثيرا بالترجمة، وأنشأ في مدينة مورسيا معهدا مختصا في التراث الإسلامي ودراساته، وكان يساعده أحد الفلاسفة المسلمين من الأندلس، وانتقل هذا الفيلسوف في مرحلة لاحقة إلى مدينة إشبيلية،

- [46] –أنظر: لويس يونغ –العرب وأوربا – ترجمة ميشال أزرق –دار الطليعة –بيروت –1979 –ص:120.
- [47] –أنظر: أ.غ. بالنثيا –تاريخ الفكر الأندلسي –ترجمة: د. حسين مؤنس – القاهرة –1955 –ص: 537-538.

ودرس العلوم العربية، وكان يساعده في مسعاه مجموعة من العلماء المسلمين.[48]

وتحت حكم الملك ألفونسو العاشر هذا، تمت ترجمة جملة من العمال نذكر من بينها:

- نقل القرآن الكريم إلى الإسبانية، حيث كان مترجما إلى اللاتينية منذ منتصف القرن الثاني عشر.
- ترجمة كتاب " كليلة ودمنة" لعبدالله بن المقفع إلى الإسبانية.

أما في فرنسا فقد عرفت حركة نشيطة في الترجمة في القرون الوسطى، وعرفت عدة مدن بهذا النشاط، خاصة مدينة مرسيليا حيث ترجم فيها بعض العلماء المترجمين بعض الأعمال الأندلسية، حوالي منتصف القرن الثاني عشر، ومدينة تولوز والتي اشتهر فيها هيرمان الدلماشي الذي اشتغل على ترجمة مجموعة من كتب علم الفلك.

أما اليهوديان أبراهام بن عزرا وأخوه فقد ترجما كتاب "شرح البيروني في جداول الخوارزمي"[49] أما مدينة مونبوليي فأصبحت مركزا مهما للدراسات الفلكية والطبية، حيث أولت عناية فائقة بالعلوم العربية، اشتهر فيها أرنو دو فيلانوفا، الذي كان يحسن اللغة العربية، قام بترجمة مجموعة من الكتب العربية في الفلسفة والطب، خاصة للكندي ولابن سينا. توفي عام 1313م..

- أنظر: - [48] A.G. Palencia - Historia de la Espana Musulmana -3a ed Buenos Aires - Barcelona -1932 -P: 114.
- أنظر: - [49] Robert Briffaut -Les Troubadours et le sentiment romanesque - Ed. du Chene -Paris 1943 -P: 114.

وقد شاركت مدينة كلوني في هذه النهضة الترجمية خلال القرن الثاني عشر الميلادي.[50] ويعد كل من ليوناردو البيزي –والذي زار الجزائر حيث قضى في مدينة بجاية رفقة والده عدة سنوات، كان والده يشتغل بالتجارة – وتوفي عام 1250م، وجربرت دورياك توفي عام 1003م، من أهم المترجمين في هذا العصر حيث قاما بأعمال جليلة خدمت فرنسا في المجال الرياضي (الحساب)، وفي ميدان تهذيب الأرقام العربية.

إذا عدنا قليلا إلى الوراء، نقول أن العرب قد قاموا بترجمة التراث اليوناني، إلا أنهم نقحوه كذلك حسب ما يتناسب ودينهم، وطباعهم، ومزاجهم النفسي، ودرجاتهم الثقافية، ثم أضافوا إليه على خلاف ما قام به الرومان، حيث لم يستفيدوا من الفكر اليوناني عن طريق ترجماتهم، وإذا أردنا أن نقارنهم بغيرهم، فإننا لا يمكن إلا أن نقارنهم بالحضارة الغربية الحديثة. يقول قدري حافظ طوقان في مؤلفه "علماء العرب وما أعطوه للحضارة" في فصل حول الطب والصيدلة مثلا:" والفحص الطبي عند العرب لا يختلف كثيرا عما هو عليه الآن فقد كانوا يفحصون البول ويجسون النبض، وانتقدوا كثيرا من آراء أطباء اليونان في هذا الشأن وأصلحوها وعلقوا عليها والثابت أن لهم حظ وافر من صدق النظر في التشخيص."[51] وفي مكان آخر يقول:" فيسأل المريض عما يشكو، وعن طريقة

• أنظر:- [50]Jean Rouquette - La littérature d'oc. P.U.F. 3e Ed. - Paris 1980 -P: 23.

[51] -قدري حافظ طوقان –علماء العرب وما أعطوه للحضارة –منشورات الفاخرية (الرياض) –دار الكتاب العربي (بيروت) –دون سنة النشر –ص:19.

معيشته، وعن عاداته، وعن الأمراض التي أصيب بها سابقا وعن حالة عائلته الصحية ومناخ بلاده، وغير ذلك من السؤالات المفيدة بالتشخيص والتي لا يسأل خيرا منها أطباء هذا الزمن."[52]

يظهر مما تقدم أن العرب لم يتناولوا الترجمة بالمفهوم الذي يعطى للمصطلح، بل أضافوا من تجاربهم في الحياة و علقوا على حواشي الترجمات، مما صبغ هذه الأعمال المترجمة بصبغة الأصل أي و كأنها أصول و ليست ترجمات. الشيء الذي يؤكده المؤرخون و أمهات الكتب التراثية ابتداء من أبي الفرج الأصفهاني في مؤلفة [الأغاني] إلى أبي عثمان الجاحظ في [البيان و التبيين] و [الحيوان] إلى عبدالرحمن ابن خلدون في مؤلفه بكتاب العبر و ديوان المبتدإ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر] و هو ما يعرف بـــ [تاريخ ابن خلدون].

لقد تفنن وأبدع العرب في الجراحة واستعمال المرقد Anesthésie، لأول مرة، وبناء المستشفيات خاصة في العصر العباسي، وترجمت الكتب العربية إلى اللاتينية، ككتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" الذي بقي لمدة طويلة مصدرا مهما للطب في أوربا.

لقد امتاز العرب بالنزعة العلمية في أعمالهم الترجمية من خلال التراث الإنساني، حيث تفطن العرب ومنذ زمن بعيد إلى الطريقة العلمية التي لم ينتبه لها لا اليونان ولا الرومان ولا اللاتين، لإعتقادهم أن المادة شيء فاسد لا يليق بالفيلسوف الأخذ به، وكان تفكيرهم

---

[52] -نفسه -ص: 19.

تأمليا أكثر منه علميا دقيقا. حيث يرجع الفضل كل الفضل إلى العرب في ابتكار الطرق العلمية في التعامل مع النصوص القديمة أو الحديثة (بالنسبة إليهم)، وإن كانوا تأثروا عن طريق الترجمة بعلوم الأمم الأخرى، وهي مظهر من مظاهر الدقة في التفكير.

يقول إبن رشد في كتابه "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الإتصال" :"يجب علينا إذا ألقينا لمن في الأمم السالفة نظرا في الموجودات واعتبارا لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان أن ننظر في الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم. فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه. وما كان غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم. وعلينا أن نستعين على ما نحن بسبيله مما قاله من تقدمنا في ذلك وسواء كان هذا التغيير مشاركا لنا في الملة أو غير مشارك إذا كانت فيها شروط الصحة."[53]

إن للعرب تجربة واسعة في ميادين مختلفة ولم يقتصروا على الطب والكيمياء، بل تعدوها إلى أمور فلسفية عميقة، وإلى مناهج متعددة، خاصة منها المنهج العلمي الذي يعتمد أساسا على مراحل متسلسلة، تبدأ بظاهرة الشك والملاحظة والبرهان عن طريق التجربة.

هكذا إذن وبعد أن خاض العرب تجربة الترجمة الراقية عن الحضارات العريقة، كحضارة الهند والفرس والكلدان واليونان، دخلوا ميدانا آخر وهو ميدان المعرفة الإنسانية بشكل عام، حيث استطاعوا أن يفرضوا أنفسهم على العالم، حتى أصبحوا مركز العالم،

---

[53] -نفسه -ص: 83.

حيث ساسوا وشرعوا وابتكروا واخترغوا وبحثوا في أمور الأدب والفلسفة والعلم البحت، ومهدوا الطريق وعبدوها للإنسان الغربي، وعلموه ولم يبخلوا عليه بعلمهم، شعارهم في ذلك هو أن العلم ملك مشاع، ومن حق كل الأمم أن تتحضر.

يقول قدري حافظ طوقان يصف مبدأ "البيروني" من خلال مؤلفاته التي تصب في قالب يقترب كثيرا مما يدعى اليوم بالعولمة، ولكنه يجسدها في العلم فقط يقول طوقان :"وللبيروني فوق ذلك كله رسالة سامية كانت تتجلى في ثنايا مؤلفاته وكتبه ومن سياحاته وسلوكهن فهو يرى وحدة الإتجاه العلمي في العالمين؛ الإسلامي والغربي، اتجاه الشرق والغرب وكأنه كان يدعو إلى إدراك وحدة الأصول الإنسانية العلمية بين جميع الشعوب في علم واحد. وهو يؤمن بإنسانية العلم والوحدة الشاملة التي يؤدي إليها العلم؛ فيوحد بين العقول، ويزيل التنافر بينها، ويقرب بعضها من بعض، ويدعو إلى التفاهم على أساس المنطق والحقيقة."[54]

وكان العلم يذاع في المساجد والمكتبات والمكاتب، وفي مجالس الأمراء والوزراء والعلماء، وربما كان يؤخذ في دكاكين الوراقين، فأحدثت في هذا العصر مدارس كبيرة تشبه الجامعات ونظامها في عصرنا الحالي، وكان من أقدمها المدارس النظامية التي أنشأها نظام الملك الطوسي وزير ملكشاه السلجوقي التركي في نيسابور وفي بغداد. ثم تتابعت المدارس على هذا المنوال، فكانت المدرسة المستنصرية المشهورة في بغداد،

---

[54] –ن.م.س. –ص:86.

ومدارس نورالدين بن زنكي في البلاد الشامية، ومدارس السلطان صلاح الدين الأيوبي في الإسكندرية والقاهرة، وانتقلت صورة هذه المدارس الجامعة إلى الأندلس.

من المستبعد أن تكون الأندلس قد تلقت تأثيرا من الأدب اليوناني، وإنما اعتمدت على ما ترجم من آثار يونانية في المشرق، ولكن المثقفين، وغير المثقفين بالأندلس كانوا يحسنون اللاتينية أو صورة منها، وقد كانوا يتحدثون بهذه اللغة منذ عهد مبكر، وكان المثقفون منهم يدركون دقائق الفروق بينها وبين العربية، وعندما وضع ابن حزم كتابه في تقريب حد المنطق[55]، توقف عند بعض المصطلحات فقال:" ومن أحكم اللغة اللطينية عرف الفرق بين المعنيين اللذين قصدنا في الإستفهام"، وقال في موضع آخر من كتابه هذا:" ولهذا المعنى في اللطينية لفظة لائحة البيان" والشواهد على إتقان الأندلسيين للغة اللاتينية كثيرة، ونحن نعلم أن الأندلسيين ترجموا كتاب أوروسيوس (هروسيوس)، وهو كتاب في التاريخ، وصل إليهم في عهد عبدالرحمان الناصر، وقد بقيت نسخة من هذا الكتاب محفوظة بمكتبة جامعة كولومبيا (تحت رقم X893.712H)، وقد وصف هذه النسخة، وترجم بعض أجزائها إلى الإيطالية الأستاذ دلا فيدا.[56]

6. الترجمة في العصر الحديث.

رغم قصر مدة الحملة الفرنسية على مصر و التي دامت ثلاث سنوات فقط من 1798 إلى 1801 ميلادية، فإنها كانت ذات أثر كبير على الثقافة المشرقية، و السبب

---

[55]- أنظر : ابن حزم – في تقريب حد المنطق – ص : 17.

• [56] -أنظر: د.إحسان عباس -ملامح يونانية في الأدب العربي - ص: 86-87.

في ذلك استقدام هذه الحملة و لأول مرة مطبعة ذات حروف عربية. وجهز نابوليون مطبعة تشتغل بالحروف اليونانية و الفرنسية و العربية سماها [مطبعة الجيش البحري]، و اعتبر أغلب المشتغلين على تاريخ الترجمة هذه الحادثة الانطلاقة الفعلية للظاهرة الترجمية.

و في تاريخ 22 أوت 1798 قامت الحملة الفرنسية بتأسيس [المجمع العلمي المصري] و [المدرسة العليا في مصر] بأمر مباشر من نابليون بونابارت. هدفت هذه المدرسة إلى تقدم العلوم و المعارف في مصر، و دراسة المسائل و الأبحاث الطبيعية و الصناعية و التاريخية و بصفة عامة المسائل الابستمولوجية على مستوى مصر، و بعدها جاء التأثير على مستوى العالم العربي.[57]

كان من بين من استقدمهم نابوليون بونابارت من المترجمين، نذكر :

- Amédée Jaubert – Magallon – L'Homaca – Belleteste[58] – Marcel Jean (Joseph)[59] – Raige – Delaporte et Ventur De Paradis.

و في 20 أوت 1798 أسس نابوليون في القاهرة [المعهد المصري] وكان نابليون من أهم أعضائه[60] ، إضافة إلى مترجمين إثنين هما Amédée et Venture.[61]

---

[57] – أنظر – جمال الدين الشيال – تاريخ الترجمة في عهد الحملة الفرنسية – مطبعة دار الفكر العربي – 1950 – ص : 66.

[58] – ولد بـــ أورليون عام 1778 – مترجم عسكري –.اشتغل كاتبا مترجما بوزارة الخارجية الفرنسية بعد الحملة – كتب بالعربية و التركية – ترجم بأمر من حكومته : « Les bulletins de la grande armée pour les compagnes de 1805, 1806 et 1807 ».

[59] – من مواليد 24 نوفمبر 1776. تخرج من جامعة باريس – اهتم بالدراسات الشرقية – مترجم البيان الأول للجنرال بونابارت و الذي وجهه للشعب المصري / باللغات اليونانية و التركية و العربية – جمع مخطوطات عربية و عبرية و تركية و فارسية و قبطية و أرمينية و آشورية لصالح المكتبة الوطنية بباريس – La bibliothèque nationale de Paris. توفي في 11 مارس 1845.

على هذا الأساس نلاحظ أن الأمم الأروبية أولت أهمية بالغة للترجمة، بعد القرن السابع عشر على وجه الخصوص. حيث غدت اللغة الفرنسية منذ القرن السادس عشر لغة متكاملة تستوفي التعبير عن القضايا الفكرية و العلمية و العسكرية، لذلك صار بالإمكان نقل المؤلفات من التراث اللاتيني و غيره إلى اللغة الفرنسية.

و لتسليط الضوء على على الظاهرة الترجمية في هذه الفترة، نعتمد على مصدر – أعتبره هاما و مؤسسا للظاهرة – ألا و هو كتاب تاريخ الآداب العربية لجرجي زيدان حيث يقول [إن قائمة المعاجم التي ألفها المستشرقون تعتبر الأدوات التي يعتمدها المترجم في ترجمته أولا و في نقده ثانيا من العربية و إليها][62]، أول معجم يذكره جرجي زيدان هو [معجم جيجاوس] يعود إلى القرن السابع عشر، يتكون من لغتين العربية و اللاتينيةن طبع في ميلانو / 1632، يقع في أربعة مجلدات آخرها طبع عام 1881 بالجزائر. و معجم بوسية عربي / فرنسي طبع هو كذلك بالجزائر عام 1887.

و الظاهر أن اللغات – الانجليزية و الفرنسية و الاسبانية و البرتغالية و الايطالية و غيرها من اللغات الاوربية التي كان لها التأثير الواضح على المجتمعات الربية من

---

[60] – من بين العلماء الأعضاء نذكر إضافة إلة نابليون : Jonard – Geoffroy Denon – Kléber – Conté – Andréossy – Bertholet – Monge et Fourrier

[61] – Amédée من مواليد إيكس-أون-بروفونس في 03 جوان 1779. و بعد هزيمة نابليون في معركة أبوقير Aboukiro سنة 1800، عينه كاتبا مترجما في وزارة الخارجية خلفا لصديقه Venture. توفي في 27 جانفي 1847 و كان عمره 67 سنة.

[62] – أنظر – جرجي زيدان – تاريخ الآداب العربية – الجزء الرابع – ص : 160.

حدود المشرق إلى حدود المغرب سواء بسبب الاحتلال أو التقارب الجغرافي، لم يظهر لها وجود في القائمة المعجمية السابقة إلا في سنة 1860.

لقد اقتصرت أهم المعاجم التي صدرت قبل 1860 على العربية و اللاتينية باستثناء معجم ماينسك 1780 الذي صدر باللغات التالية / العربية / اللاتينية و الألمانية.

إن البلاد العربية الشرقية، ولا سيما مصر والشام والعراق شهدت حركة علمية وأدبية نشيطة، قدح زندها أولا محمد علي في مصر، وثانيها البعثات العلمية الأجنبية التي أمت هذه البلاد، وأسست فيها مدارس عصرية من مختلف المستويات الشيء الذي فجر الانفتاح على العالم الآخر. حيث " أوفد محمد علي البعثات العلمية إلى بلاد أوربا عامة، وإلى فرنسا خاصة...لقد كان الموفدون من الأزهر الشريف، وكان لهم دراية بعلوم اللغة العربية، وما أن أمضوا سنواتهم الأولى وتعلموا اللغات الأوربية حتى وافتهم تعليمات من محمد علي بالعمل على ترجمة الكتب التي يدرسونها "أولا بأول" وبإرسال الترجمات إلى مصر.[63]

كما وزعت تعليمات مشابهة على ضباط الجيش المصري تطلب منهم حث طلاب السنة الثالثة من المدارس الحربية على ترجمة الأشياء المفيدة من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية حتى إذا عاد الطلاب إلى مصر، لم ينتظر محمد علي حتى يصلوا

---

[63]-أمين سامي باشا-تقويم النيل-ج:2-احداث 21ربيع الآخر 1243-12نوفمبر1827-:414.

لمقابلته في العاصمة بل كان يصدر إليهم الأوامر بترجمة بعض الكتب في الفترة التي عليهم أن يقضوها في المحجر الصحي"الكارنتينا"".[64]

وقد تم مقابل هذا اختيار نخبة من علماء الأزهر، من ذوي الدراية بعلوم اللغة وكلف هؤلاء الرجال بمراجعة النصوص المترجمة وتصحيحها، وإعادة كتابتها بلغة سليمة واضحة... وكان لزاما على المصحح أن يجتمع مع المترجم لمناقشة عبارات الكتاب المترجم، العبارة تلو الأخرى، وإذا لم يجد المصحح العبارة سليمة أو شك في صحتها يقتضي الأمر الرجوع إلى الأصل وإعادة النظر في الترجمة حتى يستقيم الأمر... ويعتمد المصحح والمترجم على ما بين أيديهما من معاجم لغوية وكتب طبية عربية قديمة.

وبعد كل هذا العناء قد تحول النصوص المترجمة إلى لجنة ثانية للمراجعة والتصحيح لإبداء الرأي والسماح بطبع الكتاب، وكثيرا ما يطلب من المترجم نفسه أو من مترجم غيره أن يعيد ترجمة النص العربي إلى اللغة الأجنبية ذاتها أو إلى لغة أجنبية ثانية ليطلع عليها الأستاذ المتخصص بتدريس المادة فإذا وجد أن الأفكار سليمة، وأن المترجم متفهم للعبارات، أجاز تحرير وطبع النص العربي، أول معجم للمصطلحات الطبية[65] هو أول معجمي عربي – أجنبي متخصص في المصطلحات الطبية، أنجز

---

[64]-أنظر:ن.م.س.-ص:-494.

[65]-"الشذور الذهبية في المصطلحات الطبية" وهي تجرة لأساتذة ومصححي ومحرري مدرسة الطب وعلماء الأزهر طيلة ربع قرن من الزمن.

في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ساهم في إعداده عشرات من الأساتذة الأجانب في مدرسة الطب، بجانب عشرات من مشايخ الأزهر الشريف العارفين بأسرار اللغة العربية، واستغرق البحث فيه قرابة ربع قرن.

كانت الحاجة الماسة لوجود معجم بهذا الاختصاص، بعد إنشاء محمد علي باشا المدارس الطبية والهندسية والعسكرية، واستقدام الأساتذة من أوربا للتدريس و التأطير فيها، وقيام الحركة الترجمية من اللغات الأوربية إلى اللغة العربية، وقيام بعض الأساتذة بترجمة مقررات ومناهج المدارس الأوربية.

و تعددت البعثات العلمية نحو أوربا [فرنسا/انجلترا] على الخصوص، و ذلك لدراسة العلوم التي كان يفتقر إليها الشرق، خاصة منها تعلم اللغات و اتقان الانتقال بينهان الهندسة و الفنون الحربية، و البحرية و الإدارة و الحقوق و التاريخ و الكيمياء و العلوم الرياضية و الفيزياء و الصناعة و الزراعة و السباكة و غيرها كثير. حيث كانت آخر بعثة وجهت إلى أوربا في سنة 1848 أي قبل وفاة محمد علي بسنة واحدة.

وقد بدأت حركة الترجمة على يد المترجمين السوريين المقيمين في مصر، والذين كانوا يتقنون اللغات الأجنبية أكثر بكثير من إتقانهم اللغة العربية وقواعدها، مما جعل الأعمال الأولى هزيلة وعرضة للانتقاد، فبادر المسؤولون لتلافي ذلك في العمل على

تعيين مصححين لغويين ومحررين مختارين من مشايخ الأزهر ذوي الدراية بعلوم اللغة.

تعرض عليهم ترجمة كل كتاب، وكثيرا ما يجتمع المترجم والمصحح مع المؤلف ليتذاكروا حول ترجمة كلمة طبية ويعودون إلى ما بين أيديهم من معاجم أجنبية، وعربية، وكتب عربية طبية قديمة قبل أن يتفقوا على الشكل النهائي للترجمة.

وبتعرض المترجمين والمصححين للمواضيع الاختصاصية في العلوم الحديثة ازداد لديهم الشعور بالحاجة لوجود معاجم متخصصة في المصطلحات العلمية وقد عبر عن ذلك الشيخ "رافع رفاعة الطهطاوي"[66] كبير مترجمي عهده وراعي مدرسة الألسن في مقدمة أول كتاب له طبع في مطبعة بولاق وهو كتاب"المعادن النافعة" (1248هـ-1832م) فكتب في مقدمته:" وقد فسرت مفرداته على حسب ما ظهر لي بالفحص التام، وما تعسر منه حفظت لفظه ورسمته كما يمكن كتابته، وربما أدخلت بعض تفسيرات لطيفة...والعذر لي إذا زل قدم ترجمتي في بعض التفاسير لأن اللغة الفرنساوية لم يُفَضّ ختامها إلى الآن بقاموس شاف مترجم." وعندما قدم الشيخ رفاعة

---

66 – رفاعة رافع الطهطاوي، نسبة إلى طهطا مكان مولده سنة 1817، درس بالأزهر و هو لم يبلغ الحادية و العشرين من عمره. أختير إماما لأول بعثة للحكومة المصرية إلى فرنسا عام 1826، سمح له بالدراسة. فوجه إلى إتقان الترجمة، فتعلم اللغة الفرنسية و أتقنها و قام بترجمة مجموعة من المؤلفات. ثم قدم أمام لجنة الامتحان النهائي، بعد انقضاء فترة البعثة، بإثنى عشرة رسالة كان قد ترجمها عن الفرنسية إلى العربية. و بعد عودته درس في مدرسة الألسن و قلم الترجمة و غيرهما. و راجع الكثير من الكتب المترجمة من طرف تلاميذه و صححها. و عين في عهد إسماعيل ناظر قلم الترجمة. ألف كتاب [تلخيص الإبريز إلى تلخيص باريز] نشره أول مرة عام 1839م.

كتابه الثاني "قلائد المفاخر" في السنة التالية(1249هـ-1833م) رأى أن يذيل الكتاب بـ مسرد صغير يحتوي على الألفاظ الغريبة الواردة فيه وشرحها.

بدأ الأساتذة والمترجمون بترجمة قاموس طبي صغير سبق أن ترجم إلى التركية من تأليف الفرنسي نيستن... Nysten إلا أن القائمين على ترجمته شعروا بأنه لن يفي بغرضهم...ففتروا عن إكماله، فبادر ناظر المدرسة الطبية الدكتور "كلوت"إلى إحضار "قاموس القواميس الطبية [Dictionnaire des dictionnaires de médecine] من فرنسا، وهو من تأليف فابر Faber ويتألف من ثمانية أجزاء ويشتمل على جميع الاصطلاحات العلمية والفنية في الطب والنبات والحيوان والعلوم الأخرى المختلفة المتصلة بالعلوم الطبية...وتعاونت مدرسة الطب بكل هيئاتها على ترجمة هذا المعجم إلى اللغة العربية تحت إشراف الدكتور برون Perron مدرس الكيمياء فيها والذي أصبح ناظرا لها خلفا للدكتور"كلوت"...وكانبرون يتقن اللغة العربية بعد تتلمذه على أيدي الكثير من المستشرقين في فرنسا قبل مجيئه للعمل في مصر.

لقد تمّ توزيع مسائل هذا المعجم الضخم على معلمي المدرسة، وهم خريجي البعثات العلمية في فرنسا...والذين كانوا قبل إيفادهم من طلبة الأزهر الشريف المتفهمين لمبادئ اللغة العربية...فاجتهد كل منهم في ترجمة الجزء الذي أعطيه وبذل جهده في توقيع كل لفظة منه على المعنى المناسب له.

كما تم توزيع مسائل القاموس المحيط على أفراد الهيئة التعليمية وعلى المصححين والمحررين، وتقاسموا أجزاءه، ليراجع كل منهم الجزء الذي بيده وينتقي منه كل لفظ دل على عرض أو مرض، وكل اسم نبات أو معدن أو حيوان.

كما كلف النابهون من مشايخ الأزهر مثل الشيخ عمر التونسي، باستخراج التعاريف الطبية من كتب الطب القديمة مثل القانون لابن سينا، والتذكرة لداود الأنطاكي.

وبمراجعة كتب اللغة الأخرى مثل فقه اللغة للثعالبي، ومختار الصحاح، كما ضم لنتاج ذلك كله أسماء الأطباء المشهورين على مر الزمان ...وأسماء العقاقير المعروفة حتى ذلك الوقت...وأخيرا ضم القاموس بين مفرداته الألفاظ المعربة عن اللاتينية أو الفرنسية أو الفارسية.

وتم ترتيب مفردات هذا المعجم، بعد مراجعتها وتهذيب عباراتها على حروف المعجم ولكن الانتهاء من ذلك وافق وفاة محمد علي باشا عام 1849، وخشي المشرفون على إعداده من ضياع هذا المعجم، لاسيما أن الحركة العلمية قد خمدت في عهد خلفه عباس الأول فكان ذلك ذريعة أتاحت للدكتور كلوت اصطحاب مخطوطة المعجم إلى باريس وتقديمه هدية إلى المكتبة الوطنية [Bibliothèque Nationale] في 9 جويلية 1851.

وبعد أكثر من نصف قرن، فكر بعض المتنورين في مصر بالاستفادة من هذا الكنز الثمين، فأرسلت نظارة المعارف في طلب نسختين مصورتين من هذا المعجم

(1910) وعهدت إلى الدكتور أحمد عيسى بالاشتراك مع الدكتور فارس نمر بالإشراف على طبعه...ولكن الدكتور فارس نمر تقاعس عن ذلك فقام الدكتور أحمد عيسى بنشر مائة صفحة فقط لم يتجاوز فيها لفظة (أزدران) ثم توقف...[67]

تهدف هذه العمليات التي تبدو للوهلة الأولى معقدة ومكررة إلى التأكد من تفهم المترجم لعناصر النصوص العلمية...ومن المفيد التنويه إلى أن نوعا من التخصص قد فرض على المترجمين والمصححين والمحررين..فالعاملون في مدرسة الطب من هؤلاء لا شأن لهم بتصحيح أو تحرير الكتب المترجمة في المدارس الأخرى إلا إذا كان هناك حاجة ماسة لذلك.

وهكذا نشأت "طبقة" جديدة متفرغة لتصحيح ومراجعة الكتب العلمية المترجمة أطلق على أفرادها "المصححون والمحررون".[68]

إنها تعتمد اعتمادا كليا على الألفاظ المعجمية كما وردت دون اعتمادها على العملية التوليدية أو التفجيرية للغة، عملا بقول بعض علماء اللغة القدامى والذين رسخوا فكرة القاموس اللغوي الذي يضبط العملية الترجمية أو عملية الاشتغال سواء في الحقول العلمية أو الحقول الأدبية.

---

[67]-أنظر: قاسم السارة -تعريب المصطلح العلمي "اشكالية المنهج"-عالم الفكر-مجلد:9-عدد:4-يناي فبراير مارس1989-وزارة الإعلام-الكويت-ص:95-96.

[68]-أنظر:د.جمال الدين الشيال-تاريخ الترجمة-92-173-207.

وقبل الدخول في الباب الموالي والذي سأتناول فيه إشكالية معقدة تتمثل في سؤال أراه مركزيا في هذا البحث مفاده: هل أسس العرب حقيقة نظرية للترجمة؟ وما مفهوم النظرية الترجمية؟ هل نفهمها على الطريقة الغربية؟ أم هناك طرق أخرى يمكن أن نصل بها إلى تحديد هذا المفهوم؟ قلت قبل هذا كله أود أن أقف عند ما قدمته حركة الترجمة اللبنانية مع جماعة المهجر عامة و الفنان جبران خليل جبران على وجه الخصوص.

- الإرساليات الأجنبية إلى بيروت.

بفضل الإرساليات الأجنبية و مدارسها و البعثات اللبنانية إلى أوربا بدأ الاتصال بالغرب ينمو و يتطور. و أخذت حركة التعريب تتوسع فنقلت إلى العربية مجموعة كتب تدعو إلى التحرر و المساواة من وحي مبادئ الثورة الفرنسية. و كانت ترجمة الكتاب المقدس حدثا مهما على هذا الصعيد إذ يسرت للكتاب آفاقا جديدة أثرت في طرق تفكيرهم. و كان للمعلم بطرس البستاني في هذه الحركة النهضوية دور الرائد الأكبر.

إن أهم المراكز التي أنشأتها الإرساليات الأجنبية هي الجامعة الأمريكية و جامعة القديس يوسف وقد سيطر الطابع التبشيري على برامجها في البدء ثم أخذ هذا الطابع يتقلص بعد ظهور الجامعة الوطنية الأولى التي وسمت التعليم بطابع علماني قومي. وقد تضمنت مناهج هذه الجامعة تعليم لغات عدة منها، بعد العربية، السريانية و الإيطالية و الفرنسية و الإنجليزية فضلا عن العلوم الطبيعية و الإنسانية و الرياضيات.

ثم نشأت معاهد عدة منها [الحكمة] التي درس فيها جبران العربية في أواخر القرن التاسع عشر.[69]

لقد أسهم كل من بطرس البستاني و ناصيف اليازجي و يوسف الأسير في ترجمة الكتاب المقدس، و قد أصدرت الجامعة الأمريكية هذه الترجمة كما أصدرت بالمقابل جامعة الآباء اليسوعيين ترجمة بروح كاثوليكية. و فد أسس الأول المدرسة الوطنية، ووضع قاموس محيط المحيط و أنشأ مجلة [الجنان] فاتحا الباب أمام أدب الحياة و أصدر دائرة المعارف في أجزائها الستة الأولى و هي أول موسوعة عربية وقد اتبع فيها صاحبها الأسلوب الحديث فرتب الألفاظ حسب الأبجدية و شرحها بدقة و نادى بتحرير المرأة عن طريق التعليم لينطلق المجتمع بجناحيه، وعرب [سياحة المسيحي] لجون بنيان التي تدعو إلى اكتشاف طريق الحق و السعادة بمجرد العودة إلى الكتاب المقدس باعتباره المرجع المسيحي الأول و الأخير.

لقد مارس أديب إسحق [1885/1856] الترجمة في عهده الأول فعرب بعض الروائع الفرنسية ثم كتب في السياسة الشرقية بالفرنسية و العربية معا.

لقد حرص بعض المترجمين مثل آرثر أربري A.Arberry على إيراد الأصل العربي مقابل الترجمة الإنجليزية.

---

[69] – أنظر : جبران في عصره و آثاره الأدبية و الفنية – د. جميل جبر – مؤسسة نوفل ش.م.م. بيروت – لبنان – ط1 – يونيو 1983 – ص: 16-17.

ونلاحظ هذا مجسدا في أعماله الترجمية، خاصة تلك المختارات الشعرية القديمة والحديثة والموجهة إلى الطلاب، وقد ترجم في كتاب واحد لنحو ثمان وعشرين شاعرا، من بينهم خمسة من المحدثين وهم على التوالي: أحمد فارس الشدياق وسامي البارودي وشوقي وخليل مطران ومعروف الرصافي.[70]

فمنذ أن بدأت عملية الترجمة هذه في ثمانينات القرن السابع عشر ظهر في الإنجليزية ما لايحصى من أسماء الشعراء العرب قديما وحديثا، بل يكاد لايوجد شاعر عربي بارز، قديما أو حديثا، دون أن يكون له ذكر في لغة الإنجليز.

بل يوجد أيضا شعراء مغمورين كثيرون لهم ذكر في هذه اللغة الديمقراطية التي لاتستحي من الأخذ عن غيرها. فمن بين الذين ترجم لهم جوزيف كارلايل في القرن الثامن عشر شعراء من طراز اسحق الموصلي وعبدالسلام بن رجبان وعلي بن منصور.

ومن بين الذين ترجم لهم آرثر آربري في القرن العشرين شعراء من طراز ابن الخياط وابن عنين وابن زكور وأحمد فارس الشدياق. والملاحظ على هؤلاء الشعراء –ما عدا الأخير– أنهم غير معروفين في الأدب العربي، أو أنهم لايمثلون أي اتجاه من الإتجاهات الأدبية العربية.

• [70] A. Arberry -Arabic Poetry: A. Primer for Students Cambridge, 1965.-

والملاحظ أن الترجمة الإنجليزية في كثير من الأحيان لم تكن تنتقي أرقى النصـــوص الشعرية، بل كانت تعتمد اعتمادا كليا على الهوى الشخصي للمترجم، إما بحكم جهلـــه للمدارس الشعرية العربية، أو لميل بسبب سهولة النص واقترابه من البناء القصيدي في اللغة افنجليزية.

ترجمة [النبي] لجبران خليل جبران.

جبران خليل جبران ولد في 6 يناير 1883 في بلدة بشراي شمال لبنان وتوفي في نيويورك 10 ابريل 1931 بداء السل ، سافر مع امه واخوته الى امريكا عام 1895 ، فدرس فن التصوير وعاد الى لبنان ، وبعد اربع سنوات قصد باريس حيث تعمق في فن التصوير ، عاد الى الولايات الامريكية المتحدة ، واسس مع رفاقه "الرابطة القلمية" وكان رئيسها .

ادبه :

كان في كتاباته اتجاهين ، احدهما يأخذ بالقوة ويثور على العقائد والدين ، والاخر يتتبع الميول ويحب الاستمتاع بالحياة .

مؤلفاته :

ألّف باللغة العربية :

دمعة وابتسامة .

الاروح المتمردة .

الاجنحة المتكسرة .

العواصف .

ألّف باللغة الانجليزية :

النبي (بالانجليزية The Prophet) مكون من 26 قصيدة شعرية وترجم الى ما يزيد على 20 لغة .

المجنون .

رمل وزبد (بالانجليزية .Sand and Foam)

يسوع ابن الانسان (بالانجليزية .Jesus, The Son of Man)

النبي :

النص الأصلي :

The Prophet

1. Gibran on Friendship

And a youth said, "Speak to us of Friendship."

Your friend is your needs answered.

He is your field which you sow with love and reap with thanksgiving.
And he is your board and your fireside.

For you come to him with your hunger, and you seek him for peace.
When your friend speaks his mind you fear not the "nay" in your own mind, nor do you withhold the "ay."

And when he is silent your heart ceases not to listen to his heart;
For without words, in friendship, all thoughts, all desires, all expectations are born and shared, with joy that is unacclaimed.

When you part from your friend, you grieve not;
For that which you love most in him may be clearer in his absence, as the mountain to the climber is clearer from the plain.

And let there be no purpose in friendship save the deepening of the spirit.
For love that seeks aught but the disclosure of its own mystery is not love but a net cast forth: and only the unprofitable is caught.
And let your best be for your friend.

If he must know the ebb of your tide, let him know its flood also.
For what is your friend that you should seek him with hours to kill?
Seek him always with hours to live.

For it is his to fill your need, but not your emptiness.
And in the sweetness of friendship let there be laughter, and sharing of pleasures.

For in the dew of little things the heart finds its morning and is refreshed.

2. Gibran on Love

Then said Almitra, "Speak to us of Love."

And he raised his head and looked upon the people, and there fell a stillness upon them. And with a great voice he said:

When love beckons to you follow him,
Though his ways are hard and steep.
And when his wings enfold you yield to him,
Though the sword hidden among his pinions may wound you.

And when he speaks to you believe in him,
Though his voice may shatter your dreams as the north wind lays waste the garden.

For even as love crowns you so shall he crucify you. Even as he is for your growth so is he for your pruning.

Even as he ascends to your height and caresses your tenderest branches that quiver in the sun,
So shall he descend to your roots and shake them in their clinging to the earth.
Like sheaves of corn he gathers you unto himself.

He threshes you to make you naked.
He sifts you to free you from your husks.
He grinds you to whiteness.
He kneads you until you are pliant;
And then he assigns you to his sacred fire, that you may become sacred bread for God's sacred feast.

All these things shall love do unto you that you may know the secrets of your heart, and in that knowledge become a fragment of Life's heart.

But if in your fear you would seek only love's peace and love's pleasure,
Then it is better for you that you cover your nakedness and pass out of love's threshing-floor,
Into the seasonless world where you shall laugh, but not all of your laughter, and weep, but not all of your tears.

Love gives naught but itself and takes naught but from itself.
Love possesses not nor would it be possessed;
For love is sufficient unto love.

When you love you should not say, "God is in my heart," but rather, I am in the heart of God."
And think not you can direct the course of love, if it finds you worthy, directs your course.

Love has no other desire but to fulfil itself.
But if you love and must needs have desires, let these be your desires:

To melt and be like a running brook that sings its melody to the night.
To know the pain of too much tenderness.
To be wounded by your own understanding of love;
And to bleed willingly and joyfully.

To wake at dawn with a winged heart and give thanks for another day of loving;
To rest at the noon hour and meditate love's ecstasy;
To return home at eventide with gratitude;
And then to sleep with a prayer for the beloved in your heart and a song of praise upon your lips.

3. Gibran on Marriage

Then Almitra spoke again and said, "And what of Marriage, master?"
And he answered saying:

You were born together, and together you shall be forevermore.
You shall be together when white wings of death scatter your days.
Aye, you shall be together even in the silent memory of God.

But let there be spaces in your togetherness,
And let the winds of the heavens dance between you.

Love one another but make not a bond of love:
Let it rather be a moving sea between the shores of your souls.
Fill each other's cup but drink not from one cup.

Give one another of your bread but eat not from the same loaf.
Sing and dance together and be joyous, but let each one of you be alone,
Even as the strings of a lute are alone though they quiver with the same music.

Give your hearts, but not into each other's keeping.
For only the hand of Life can contain your hearts.
And stand together, yet not too near together:
For the pillars of the temple stand apart,
And the oak tree and the cypress grow not in each other's shadow.

4. Gibran on Children

And a woman who held a babe against her bosom said, "Speak to us of Children."

And he said:
Your children are not your children.
They are the sons and daughters of Life's longing for itself.
They come through you but not from you,
And though they are with you, yet they belong not to you.

You may give them your love but not your thoughts.

For they have their own thoughts.

You may house their bodies but not their souls,
For their souls dwell in the house of tomorrow, which you cannot visit, not even in your dreams.

You may strive to be like them, but seek not to make them like you.
For life goes not backward nor tarries with yesterday.
You are the bows from which your children as living arrows are sent forth.
The archer sees the mark upon the path of the infinite, and He bends you with His might that His arrows may go swift and far.

Let your bending in the archer's hand be for gladness;
For even as he loves the arrow that flies, so He loves also the bow that is stable.

Best Regards

ترجمة النص إلى اللغة العربية.

1- الصداقة ...

ثم قال له شاب: هات حدثناعن الصداقة.

فأجاب و قال:

إن صديقك هو كفاية حاجاتك.

هو حقك الذي تزرعه بالمحبة و تحصده بالشكر.

هو مائدتك و موقدك.

لأنك تأتي إليه جائعا, وتسعى وراءه مستدفئا.

فإذا اوضح لك صديقك فكره فلا تخش ان تصرح بما في فكرك من النفي, او ان تحتفظ بما في ذهنك من الإيجاب.

وإذا صمت صديقك ولم يتكلم, فلا ينقطع قلبك عن الإصغاء إلى صوت قلبه;

لأن الصداقة لا تحتاج إلى الألفاظ والعبارات في إنماء جميع الأفكار والرغبات والتمنيات التي يشترك الأصدقاء بفرح عظيم في قطف ثمارها اليانعات.

وإن فارقت صديقك فلا تحزن على فراقه; لأن ما تتعشقه فيه, أكثر من كل شيء سواه, قد يكون في حين غيابه أوضح في عيني محبتك منه في حين حضوره.

لأن الجبل يبدو لمن ينظر إليه من السهل أكثر وضوحا مما يظهر لمن يتسلقه.

ولا يكن لكم في الصداقة من غاية ترجونها غير أن تزيدوا في عمق نفوسكم.

لأن المحبة, التي لا رجاء لها سوى كشف الغطاء عن أسرارها ليست محبة بل هي شبكة تلقى في بحر الحياة ولا تمسك غير النافع.

وليكن أفضل ما عندك لصديقك.

فإن كان يجدر به أن يعرف جزر حياتك.

فالأجدر بك أيضاً أن تظهر له مدها.

وما قيمة صديقك الذي لا تطلبه إلا لتقضي معه ما تريد أن تقتله من وقتك؟ فاسع بالأحرى إلى الصديق الذي يحيي أيامك ولياليك, لأن له وحده قد أعطي أن يكمل حاجاتك, لا لفراغك ويبوستك.

وليكن ملاك الأفراح واللذات المتبادلة مرفرفاً فوق حلاوة الصداقة.

لأن القلب يجد صباحه في الندى العالق بالأشياء الصغيرة, فينتعش ويستعيد قوته.

2- المحبة ...

حينئذٍ قالت المطرة: حدثنا عن المحبة.

فقال:

إذا المحبة أومت إليكم فاتبعوها,

وإن كانت مسالكها صعبة متحدرة.

إذا ضمتكم بجناحيها فأطيعوها,

وإن جرحكم السييف المستور بين ريشها.

إذا المحبة خاطبتكم فصدقوها,

وإن عطل صوتها أحلامكم وبددها كما تجعل الريح الشمالية البستان قاعاً صفصفاً.

لأنه كما أن المحبة تكللكم, فهي أيضا تصلبكم.

وكما تعمل على نموكم, هكذا تعلمكم وتستأصل الفاسد منكم.

وكما ترتفع إلى أعلى شجرة حياتكم فتعانق أغصانها اللطيفة المرتعشة أمام وجه الشمس,

هكذا تنحدر إلى جذورها الملتصقة بالتراب وتهزها في سكينة الليل.

المحبة تضمكم إلى قلبها كأغمار حنطة.

المحبة على بيادرها تدرسكم لتظهر عريكم.

المحبة تغربلكم لتحرركم من قشوركم.

المحبة تطحنكم فتجعلكم كالثلج أنقياء.

المحبة تعجنكم بدموعها حتى تلينوا,

ثم تعدكم لنارها المقدسة ,لكي تصيروا خبزاً مقدساً يقرّب على مائدة الرب المقدسة.

كل هذا تصنعه بكم لكي تدركوا أسرار قلوبكم, فتصبحوا بهذا الإدراك جزءاً من قلب الحياة.

غير أنكم إذا خفتم, وقصرتم سعيكم على الطمأنبنة واللذة في المحبة.

فالأجدر بكم أن تستروا عريكم وتخرجوا من بيدر المحبة إلى العالم البعيد حيثما تضحكون, ولكن ليس كل ضحككم ;وتبكون, ولكن ليس كل ما في ماقيكم من الدموع.

المحبة لا تعطي إلا ذاتها, المحبة لا تأخذ إلا من ذاتها.

لا تملك المحبة شيئاً, ولا تريد أن أحد يملكها.

لأن المحبة مكتفية بالمحبة.

أما أنت إذا أحببت فلا تقل: "أن الله في قلبي", بل قل بالأحرى: "أنا في قلب الله."

ولا يخطر لك البتة أنك تستطيع أن تتسلط على مسالك المحبة, لأن المحبة إن رأت فيك استحقاقاً لنعمتها, تتسلط هي على مسالكك.

والمحبة لا رغبة لها إلا في أن تكمل نفسها.

ولكن, إذا أحببت, وكان لا بد من أن تكون لك رغبات خاصة بك, فلتكن هذه رغباتك:

أن تذوب وتكون كجدول متدفق يشنف آذان الليل بأنغامه.

أن تخبر الآلام التي في العطف المتناهي.

أن يجرحك إدراكك الحقيقي للمحبة في حبة قلبك, وأن تنزف دماؤك وأنت راض مغتبط.

أن تنهض عند الفجر بقلب مجنح خفوق, قتؤدي واجب الشكر ملتمساً يوم محبة آخر.

أن تستريح عند الظهيرة وتناخي نفسك بوجد المحبة.

أن تعود إلى منزلك عند المساء شاكراً:

فتنام حينئذ والصلاة لأجل من أحببت تتردد في قلبك, وأنشودة الحمد والثناء مرتمسة على شفتيك.

3- الزواج ...

وقالت المطرة ثانية: حدثنا عن الزواج؟

فقال:

ولدتما معاً,وتظلان معاً.

حتى في سكون تذكارات الله.

ومعاً حين تبددكما أجنحة الموت البيضاء.

ولكن, فليكن بين وجودكم معاً فسحات تفصلكم بعضكم عن بعض, حتى ترقص أرياح

السموات بينكم.

أحبوا بعضكم بعضاً; ولكن, لا تقيدوا المحبة بالقيود, بل لتكن المحبة بحراً متموجاً بين شواطئ نفوسكم.

ليملأ كل واحد منكم كأس رفيقه; ولكن; لا تشربوا من كأس واحدة.

أعطوا من خبزكم كأس رفيقه; ولكن, لا تأكلوا من الرغيف الواحد.

غنوا وارقصوا معاً, وكونوا فرحين أبداً; ولكن, فليكن كل منكم وحده, كما أن أوتار القيثارة يقوم كل واحد منها وحده ولكنها جميعاً تخرج نغماً واحداً.

ليعط كل منكم قلبه لرفيقه ;ولكن, حذار أن يكون هذا العطاء لأجل الحفظ, لأن الحياة وحدها تسطتيع أن تحتفظ بقلوبكم.

قفوا معاً; ولكن, لا يقرب أحدكم من الآخر كثيراً, لأن عمودي الهيكل يقفان منفصلين, والسنديانة والسروة لا تنموالواحدة منهما في ظل رفيقتها.

4- الأولاد ...

ثم دنت منه إمرأة تحمل طفلها على ذراعيها وقالت له: هات حدثنا عن الأولاد.

فقال:

أولادكم ليسوا لكم

أولادكم أبناء الحياة المشتاقة إلى نفسها, بكم يأتون إلى العالم, ولكن ليس منكم.

ومع أنهم يعيشون معكم, فهم ليسوا ملكاً لكم.

أنتم تستطيعون أن تمنحوهم محبتكم ,ولكنكم لا تقدرون أن تغرسوا فيهم بذور أفكاركم,

لأن لهم أفكاراً خاصةً بهم.

وفي طاقتكم أن تصنعوا المساكم لأجسادكم.

ولكن نفوسهم لا تقطن في مساكنكم.

فهي تقطن في مسكن الغد, الذي لا تستطيعون أن تزوروه حتى ولا في أحلامكم.

وإن لكم أن تجاهدوا لكي تصيروا مثلهم.

ولكنكم عبثاً تحاولون أن تجعلوهم مثلكم.

لأن الحياة لا ترجع إلى الوراء, ولا تلذ لها الإقامة في منزل الأمس.

أنتم الأقواس وأولادكم سهام حية قد رمت بها الحياة عن أقواسكم.

فإن رامي السهام ينظر العلامة المنصوبة على طريق اللانهاية, فيلويكم بقدرته لكي

تكون سهامه سريعة بعيدة المدى.

لذلك, فليكن التواؤكم بين يدي رامي السهام الحكيم لأجل المسرة والغبطة.

لأنه, كما يحب السهم الذي يطير من قوسه, هكذا يحب القوس الذي يثبت بين يديه.

ترجمة النص إلى اللغة الفرنسية :

1- L'amitié
Et un jeune dit : parle-nous de l'amitié.
Et il répondit, disant :
Votre ami est votre besoin qui a trouvé une réponse.
Il est le champ que vous semez avec amour et moissonnez avec reconnaissance.
Il est votre table et votre foyer.
Car vous venez à lui avec votre faim, et vous cherchez en lui la paix.

Lorsque votre ami parle de ses pensées vous ne craignez
pas le "non" de votre esprit, ni ne refusez le "oui".
Et quand il est silencieux votre coeur ne cesse d'écouter son coeur;
Car en amitié, toutes les pensées, tous les désirs, toutes les attentes naissent et sont partagés sans mots, dans une joie muette.
Quand vous vous séparez de votre ami, ne vous désolez pas;
Car ce que vous aimez en lui peut être plus clair en son absence, comme la montagne pour le randonneur est plus visible vue de la plaine.
Et qu'il n'y ait d'autre intention dans l'amitié que l'approfondissement de l'esprit.
Car l'amour qui cherche autre chose que la révélation de son propre mystère n'est pas l'amour, mais un filet jeté au loin : et ce que vous prenez est vain.
Et donnez à votre ami le meilleur de vous-même.
Et s'il doit connaître le reflux de votre marée, laissez le connaître aussi son flux.
Car qu'est-ce que votre ami si vous venez le voir avec pour tout présent des heures à tuer ?
Venez toujours le voir avec des heures à faire vivre.
Car il est là pour remplir vos besoins, et non votre néant.
Et dans la tendresse de l'amitié qu'il y ait le rire et le partage des plaisirs.
Car dans la rosée de menues choses le coeur trouve son matin et sa fraîcheur.
2. L'amour
Alors al-Mitra dit : parle-nous de l'amour.
Il leva la tête et regarda la foule sur laquelle un grand silence s'était abattu.
D'une voix assurée, il dit:
Quand l'amour vous fait signe, suivez-le,
Bien que ses chemins soient raides et ardus.
Et quand il vous enveloppe de ses ailes, cédez-lui,
Même si l'épée cachée dans ses pennes vous blesse,
Et quand il vous parle, croyez en lui,
Même si sa voix brise vos rêves comme le vent du nord dévastant un jardin.
Car si l'amour vous couronne, il vous crucifie aussi. Et s'il est pour votre croissance, il est aussi pour votre élagage.
De même qu'il s'élève à votre hauteur pour caresser vos plus tendres branches frémissant dans le soleil,
Il descend jusqu'à vos racines et les secoue de leur adhérence à la terre.
Telles des gerbes de blé, il vous ramasse et vous serre contre lui.
Il vous vanne pour vous dénuder.
Il vous tamise pour vous libérer de votre enveloppe.
Il vous pile jusqu'à la blancheur.
Il vous pétrit jusqu'à vous rendre malléables;
Puis il vous assigne à son feu sacré afin que vous deveniez pain sacré au festin sacré de Dieu.
Tout cela, l'amour vous le fait subir afin que vous connaissiez les secrets de votre coeur et, au travers de cette connaissance, deveniez fragment du

coeur de la Vie.
Mais si, pusillanimes, vous ne recherchiez que la paix de l'amour et sa volupté,
Mieux vaudrait pour vous couvrir votre nudité et sortir de l'aire de l'amour,
Pour pénétrer dans le monde sans saisons en lequel vous rirez, mais pas de tout votre rire, et pleurerez, mais pas de toutes vos larmes.
L'amour ne donne que de lui même et ne prend que de lui-même.
L'amour ne possède pas et ne saurait être possédé.
Car l'amour suffit à l'amour.
Lorsque vous aimez, vous ne devriez pas dire : "Dieu est dans mon coeur", mais plutôt : "Je suis dans le coeur de Dieu."
Et ne croyez pas qu'il vous appartienne de diriger le cours de l'amour, car c'est l'amour, s'il vous en juge dignes, qui dirigera le vôtre.
L'amour n'a d'autre désir que de s'accomplir.
Mais si vous aimez et ne pouvez échapper aux désirs, qu'ils soient ceux-ci :
Vous dissoudre et être comme l'eau vive d'un ruisseau chantant sa melopée à la nuit,
Connaître la douleur d'une tendresse excessive,
Recevoir la blessure de votre conception de l'amour,
Perdre votre sang volontiers et avec joie,
Vous réveiller aux aurores, le coeur ailé, et rendre grâces pour une nouvelle journée d'amour,
Vous reposer à l'heure du méridien et méditer l'extase de l'amour,
Revenir à votre foyer le soir, avec gratitude,
Puis vous endormir avec au coeur une prière pour l'être aimé et sur vos lèvres un chant de louange.
3. Le mariage
Al-Mitra reprit la parole. Elle demanda : maître, que dire du mariage ?
Il répondit :
Ensemble êtes-vous nés et ensemble resterez-vous pour toujours.
Quand les blanches ailes de la mort éparpilleront vos jours, vous serez ensemble.
Oui, vous serez ensemble dans la mémoire silencieuse de Dieu.
Mais qu'il y ait des espaces dans votre entente.
Que les vents des cieux puissent danser entre vous.
Aimez-vous, l'un l'autre, mais ne faites pas de l'amour un carcan:
Qu'il soit plutôt mer mouvante entre les rives de vos âmes.
Remplissez, chacun, la coupe de l'autre, mais ne buvez pas à la même.
Donnez-vous l'un à l'autre de votre pain, mais ne partagez pas le même morceau.
Chantez et dansez ensemble, et soyez joyeux, mais que chacun demeure isolé,
Comme sont isolées les cordes du luth, bien que frémissantes de la même musique.
Donnez vos coeurs, mais pas à la garde de l'autre,
Car vos coeurs, seule la main de Dieu peut les contenir.

Et dressez-vous ensemble, mais pas trop près l'un de l'autre :
Car les piliers du temple se dressent séparément,
Et le chêne et le cyprès ne peuvent croître dans leur ombre mutuelle.
4. Les enfants
Une femme qui tenait un nouveau-né contre son sein dit : parle-nous des enfants.
Il dit :
Vos enfants ne sont pas vos enfants.
Ils sont les fils et les filles du désir de la Vie pour elle-même.
Ils passent par vous mais ne viennent pas de vous,
Et bien qu'ils soient avec vous, ils ne vous appartiennent pas.
Vous pouvez leur donner votre amour, mais pas vos pensées.
Car ils ont leurs propres pensées.
Vous pouvez loger leurs coprs, mais pas leurs âmes.
Car leurs âmes habitent la maison de demain, que vous ne pouvez visiter, pas même en rêve.
Vous pouvez vous efforcer d'être semblables à eux, mais ne cherchez pas à les rendre semblables à vous,
Car la vie ne revient pas en arrière et ne s'attarde pas avec le passé.
Vous êtes les arcs à partir desquels vos enfants, telles des flèches vivantes, sont lancées.
L'Archer vise la cible sur la trajectoire de l'infini, et Il vous courbe de toutes ses forces afin que les flèches soient rapides et leur portée lointaine.
Puisse votre courbure dans la main de l'Archer être pour l'allégresse,
Car de même qu'Il chérit la flèche en son envol, Il aime l'arc aussi en sa stabilité.

الباب الثاني :

التحليل الترجمي والمقاربات النصية.

الفصل الأول :

الترجمة وطرائقها.

- الفصل الأول : الترجمة و طرائقها.

إن نظريات الترجمة ولدت وترعرعت عبر حوارات عميقة مع المناهج التي غزت و تنوعت بتنوع النظرات النقدية التي سلطت على النص، بداية من مدرسة الشكلانيين الروس، مرورا بالمنهج البنيوي و السيميوطيقي، و نظريات التواصل عند فردينان دو سوسير، و المقاربات الموضوعاتية و النفسية و الشكلية للنص الابداعي.

تعتمد نظرية الترجمة على ثلاثة نقاط، أراها أساسية، و تتمثل في إمكانية انتاج النص أي دراسة ما وراء النص، أو ما أسميه شخصيا بما قبل النص، و في المناهج المذكورة آنفا الخلفية المرجعية للنص، و إمكانية تواصل هذا النص أو حياته في تماسه مع المحيط النصي، و تعاطيه مع النصوص المجاورة.

إنها الإشكالية التي سأحاول أن أقترب منها – خلال هذا الباب – و التي رأيت أنني لن أستطيع دخول غمار العملية التنظيرية دون محالة الربط بين هذه المحاور الثلاثة.

هي هكذا تأسست نظرية الترجمة في تلاقيها و تماسها مع مناهج متعددة، متفاعلة معها، لا يمكن أن تستمر أو أن تحيى دونها. لقد حاولت أن أتعرف على نظرية الترجمة و أن أتتبع تطورها عبر التاريخ و استنباط كنهها عبر مفاهيمها الذاتية و المستعارة. و أن يستفيد منها التأريخ للظاهرة أولا و تأويل النصوص ثانيا.

أولا : أنواع الترجمة.

إن الترجمة أربعة أنواع [Types]، يعتمد في تحديدها على النص المراد ترجمته، بين الشفوي و الكتابي. فهي إما ترجمة كتابية – كتابية [تحريرية – تحريرية] أو كتابية – شفوية أو شفوية – كتابية أو شفوية – شفوية، وعامل الزمن يلعب الدور الأساسي في

تعريف كل نوع من هذه الأنواع، ويختلف نوع الترجمة عن الطريقة [Méthodes] التي هي المراحل المتممة للفعل الترجمي والتي حددها بيتر نيومارك [Peter Newmarck] في ثمان طرق وهي :

- الترجمة كلمة بكلمة.

غالبا ما يشار إلى هذه الطريقة بالترجمة البينسطرية، حيث تكون كلمات الـــ [ل – هـــ] اللغة الهدف [Langue cible] تحت كلمات الـــ [ل – م] اللغة المصدر [Langue source] مباشرة، ويتم الإبقاء على ترتيب كلمات الـــ [ل – م]، وتترجم الكلمات إفراديا بمعانيها الأكثر شيوعا خارج السياق كما تترجم الكلمات الثقافية حرفيا.

تستعمل الترجمة كلمة بكلمة بشكل رئيسي لفهم ميكانيكيات اللغة المصدر، أو لتفكيك نص صعب كعملية سابقة للترجمة. أو كما أسميها بالرجمة القاموسية، أي أنها فعل قاموسي مؤسس لفعل الترجمة الحقيقي، حيث نتعرف من خلاله على المصطلحات و تعريفاتها عبر القاموس أو القواميس أو الفهم الشخصي للفظ بعيدا عن السياق الوارد فيه.

- الترجمة الحرفية.

تحول البنى القواعدية للـــ [ل – م] إلى أقرب مرادفاتها في ال [ل – هـــ]، إلا أن الألفاظ تترجم إفراديا أيضا خارج السياق، وكإجراء يسبق الترجمة، يدل هذا على المشاكل الواجب حلها فيها. حيث نلاحظ إدخال عنصر القواعد بحيث لا يحاول المترجم هنا أن يكتب بلغته الخاصة. أو أن يجتهد لكي ينتج نصا أجمل من النص الأصل.

- الترجمة الوفية.

تحاول الترجمة الوفية إعادة إنتاج المعنى السياقي الدقيق للأصل داخل حدود البنى النحوية للـــ [ل – هـــ]. كما تحول الكلمات الثقافية و تبقي على قدر من [الشذوذ] القواعدي اللفظي [أي : انحراف عن معايير ال [ل – م] في الترجمة، وتحاول أيضا أن تكون وفية وفاء تاما لمقاصد الكاتب وللتحقيق النصي.

إنها تخضع للإجبارات التي يفرضها النص الأصل من حيث الشكل و الكلمات و التراكيب التي تخضع لها في الأصل الترجمة الدلالية.

- الترجمة المعنوية.

تختلف الترجمة المعنوية عن الترجمة الوفية في شيء واحد فقط وهو أنها تعطي وزنا أكبر للقيمة الجمالية [أي الصوت الجميل والطبيعي] لنص ال [ل – م]، مع إبداء بعض التنازلات على حساب [المعنى] في الوقت المناسب، وبذلك لن يفسد السجع أو التلاعب اللفظي أو التكرار في الرواية الأخيرة للترجمة. وفوق هذا، يمكن لها أن تترجم الكلمات الثقافية ذات الأهمية القليلة بعبارات محايدة ثالثة أو وظيفية، ولكن ليس بمفردات ثقافية. قد تصبح البارة الفرنسية : [Une Nonne repassant un corporal] [راهبة تكوي قماشا عسكريا].

ويمكن أن تقدم تنازلات غير معتبرة أخرى للقراء، أما الفرق بين الترجمة الوفية والمعنوية هو أن الأولى لا تقبل المهادنة و جازمة، بينما الثانية أكثر مرونة، وتسمح باستثناء إلى حد 100 % من الأمانة و تفسح المجال للتغلغل البديهي للمترجم في الأصل.

- الترجمة الاقتباسية.

وهذه أكثر أشكال الترجمة حرية، وتستعمل بشكل رئيسي للمسرحيات [الكوميدية] و الشعر، إذ تبقي عادة على الموضوع والشخصيات و الحبكة، بينما تحول ثقافة ال [ل – م] إلى ثقافة ال [ل – هـ]، ويتم إعادة كتابة النص. وقد أدت الممارسة المقيتة لترجمة مسرحية أو قصيدة ما حرفيا ومن ثم كتابتها عن طريق كاتب مسرحي أو شاعر متمكن، أدت إلى إنتاج ترجمات اقتباسية ضعيفة كثيرة، إلا أن ترجمات أخرى قد [أنقذت] المسرحيات الآنية.

- الترجمة الحرة.

تعيد الترجمة الحرة إنتاج المحتوى دون الأسلوب، أو المضمون دون الشكل للأصل. و تكون عادة إعادة صياغة أطول من الأصل، ما يسمى [ترجمة ضمنلغوية]، وهي غالبا إسهاب طنان رنان، وليست ترجمة على الإطلاق.

- الترجمة الاصطلاحية

تقيد الترجمة الاصطلاحية إنتاج [فحوى] الأصل، لكنها تميل إلى إزهاق دقائق المعنى بتفضيل العاميات والمصطلحات التي لا وجود لها في الأصل [تميل شخصيات شهيرة عديدة مثل سيليسكوفيتش [Seleskovitch] و ستيوارت جيلبيرت [Stuart Gilbert] لهذا الشكل من الترجمة المفعمة بالحياة و [الطبيعة].

- الترجمة التخاطبية.

تسعى الترجمة التخاطبية إلى نقل المعنى السياقي الدقيق الأصل بحيث يكون المضمون واللغة مقبولين و مفهومين للقراء بيسر.[1]

إن الترجمتين المعنوية و التخاطبية وحدهما اللتان تحققان الهدفين الرئيسيين للترجمة: الدقة والاقتصاد، كما أن الترجمة المعنوية مكتوبة على المستوى اللغوي للكاتب بينما التخاطبية مكتوبة على المستوى اللغوي لجمهور القراء.

تستعمل الترجمة المعنوية لنصوص [تعبيرية] بينما تستعمل التخاطبية لنصوص [إعلامية]، [خطابية]، وتعالج كل منهما العناصر التالية :الاستعارات المتداولة والمندثرة - المتلازمات اللفظية المألوفة – المصطلحات الفنية – العاميات السوقية–الإعلانات المعمارية – الاجتماعيات –اللغة العادية.

أما المكونات التعبيرية للنصوص التعبيرية [كالبنى النحوية غير المعهودة، والمتلازمات اللفظية، والاستعارات و الألفاظ المستعملة على نحو غريب والمستجدات] فإنها تنقل على شكل مقترب إن لم نقل حرفيا.

ولكن حين ورودها في نصوص إعلامية أو خطابية، تترجم ترجمة عادية أو معتدلة، وتميل المكونات الثقافية إلى أن تترجم دونما تغيير في النصوص التعبيرية، وتحول وتشرح بعبارات حيادية ثقافيا في النصوص الإعلامية، وتستبدل بمرادفات ثقافية في النصوص الخطابية.[2]

---

[1] بيتر نيومارك ""الجامع في الترجمة"" تر، حسن غزالة ص ص 58 ، 59.

[2] م،ن ص ، 60.

خلاصة القول أن الإشكالية التي تطرح هنا من خلال أنواع الترجمة كما سبق و حددها بيتر نيومارك تتمحور أساسا في العلاقة الاعتباطية التي تربط الدال بالمدلول على حد شرح فيردينان دو سوسير خاصة في كتابه [محاضرات في علم اللسان العام] حيث يفصل القول في القضايا اللسانية التي تطرحها اللغة، أي لغة مهما كانت.

و إذا صح أن الترجمة تشتمل على أنواع مختلفة، صح معه أيضا أن ما دعوناه بالترجمة التلخيصية و الترجمة الشرحية و الترجمة التفسيرية هو على الحقيقة ضروب من النقل تندرج مع هذه الأنواع في باب الترجمة الحرة؛ فالأولى منها تقتنص المعنى و لا تبالي بطول ألفاظه الأصلية، بل تعمد إلى حذف ما ظهر أنه لا يجب إيجاد مقابل له، و الثانية تحصل المعنى الأصلي و تعني بتبليغه بأوضح تعبير، سواء زادت كلماته على كلمات الأصل أو نقصت عنها، أما الثالثة، فتأخذ المعنى الأصلي و تهتم بتوسيع الكلام فيه بالقدر الذي يسهل به إدراكه.[1]

و كذلك على المسائل التي تطرح سواء على المترجم نفسه أو على الطريقة التي يتعامل بها مع النص، حيث نلاحظ أن أغلب الذين اشتغلوا على التنظير للظاهرة الترجمية ركزوا في توصياتهم على عامل التأني في تناول الترجمة فهذا بيتر نيومارك يذكر طريقتين لتناول سير الترجمة مع وجود حلول وسطى كثيرة بينها. حيث يقول :

ابدأ الترجمة جملة بجملة للفقرة الأولى أو الفصل الأول مثلا، بغية التعرف على جو النص و نغمته الشعورية، ثم راجع الموقف، ثم اقرأ بقية نص الـــ [ل م].

---

[1] - د. طه عبدالرحمن – فقه الفلسفة 1– الفلسفة و الترجمة – المركز الثقافي العربي –بيروت – ط2 – 2000 – ص : 97.

اقرأ النص مرتين أو ثلاثة و تعرف على مراد النص و أسلوبه و نغمته، وعلم على الكلمات والمقطوعات الصعبة، أو ما يسمى بالكلمات المفتاح [Mots clés]، و ابدأ بالترجمة حينما تتيقن أنك قد تلمست طريقك.

ثانيا : مستويات النص.

إذا كان النص يقتضي من ذاته أن يكون موضع الترجمة لما يحمله من أسباب البقاء، فإن هذا الاقتضاء يصير شاملا للغة نفسها التي ورد بها هذا النص، فتكون كل لغة موجبة للترجمة إيجابا ذاتيا، بحيث تصبح الغاية من الترجمة هي التعبير عن العلاقة الحميمية التي تربط بين اللغات الإنسانية؛ و لا شأن لهذه العلاقة بما يثبته علم اللغة المقارن من صلات تاريخية و وشائج بنيوية تجمع بين الألسنة المصنفة في فصائل لغوية مختلفة، و إنما هي [قرابة] تعلو على الاشتراك التاريخي في بعض الأحداث و على الاشتراك اللغوي في بعض الخصائص، و تقوم أساسا على وحدة القصد بينها، فكل لغة تقصد بطريقها الخاص أمرا لا يتحقق إلا بإجتماع اللغات بعضها إلى بعض و بتعاون طرقها الخاصة على التوجه إليه، مكملة إحداها الأخرى كما تكمل قطع القارورة المنكسرة الواحدة منها الأخرى عندما نضم بعضها إلى بعض؛ و ليس هذا الأمر لغة كلية و لا لغة طبيعية، و إنما هو الوجود اللغوي بما هو كذلك، أو ما يسميه بنيامين[1] باسم [اللغة الخالصة]؛ فاللغة الخالصة عبارة عن حقيقة لغوية لا توجد باستقلال عن الألسن الخاصة، و إنما توجد في أفق تكامل طرقها في الاستعمال و تظافر وجوهها في القصد، فتكون

[1] - BENJAMIN, W. La tache du traducteur - dans Mythes et violence I, traduction de DE GANDILLAC, M., edit. Denoël, Paris, 1985 – p, 262.

مهمة المترجم أن يعمل في نقوله على تحرير هذه اللغة الخالصة من أسر اللغة المنقولة و فكها من إطار النصوص الواردة بهذه اللغة.

يرى بنيامين أن الترجمة هي [صورة] بمعنى [شكل] لا بمعنى [نسخة]، بحيث تصير الترجمة لا شيئا طارئا على الأصل أو وصفا عارضا له، و إنما حقيقة جوهرية نابعة منه؛ و هذا يعني أن الأصل هو الذي يوجب من ذاته الدخول في ترجمته، فتكون [قابلية الترجمة] صفة لا تنفك عنه، سواء وجد المترجم الذي يتولى نقله إلى غير لغته أو لم يجد من يقوم بهذا الأمر الذي ينطوي فيه انطواء ذاتيا.[1]

إن المستوى الأساسي في الترجمة هو النص، وهذا هو مستوى ترجمة اللغة المصدر حرفيا إلى اللغة الهدف. أما مستوى الترجمة الرديئة فيستلزم من المترجم التخلص منه، بيد أنه يؤدي دور المعدل للإسهاب، و المقلم للمرادفات اللفظية. بهذا يكون نصف ذهن المترجم على مستوى النص، بينما النصف الأخر في مكان آخر. فالترجمة هي بجلاء المهنة التي تحتم على المترجم التفكير بأشياء عدة في الوقت نفسه.

سواء كان النص فنيا أم أدبيا أم مؤسسيا، فعلى المترجم أن يقرأ الجملة و يراها و يحسها على المستوى الإشاري، و أن يصدر قرارا على نحو موجز أو مستمر بشأن ما يدور النص حوله. وإلى ماذا يرمي، وما هي البصمات التي تركها الكاتب.

و بهذا تعتبر الترجمة محاولة توفيقية بين النص و الحقائق. إذ يرى الدكتور طه عبدالرحمن أن العلاقة بين الفلسفة و الترجمة تتجسد في أربعة وجوه مختلفة و هي

[1] - أنظر BENJAMIN, W. La tache du traducteur - dans Mythes et violence I, traduction de DE GANDILLAC, M., edit. Denoël, Paris, 1985 – p, 262.

ترجمة الفلسفة و تتمثل في ممارسة نقل بعض النصوص الفلسفية من لغتها الأصلية إلى لغات غيرها باستخدام الطرق المتبعة و المقررة عند أرباب الترجمة. و فلسفة الترجمة و هي النظر في الترجمة من جوانبها الثلاثة – الجانب الوجودي و الجانب المعرفي و الجانب الأخلاقي أي هي النظرة في بعض الخصائص الكلية للترجمة، بما أن من حق الفيلسوف أن يتفلسف في أي موضوع شاء، أو قل، باختصار، إن فلسفة الترجمة هي عبارة عن النظر الفلسفي في الترجمة. و الترجمة الفلسفية و التي هي ممارسة الترجمة باتباع منهج يستمد مبادئه أو خصائصه من بعض التقريرات المنهجية و الحقائق التأملية التي تتميز بها الفلسفة. الفلسفة الترجمية و هي النظر في القضايا الفلسفية باتباع طريق يستمد أصوله أو أوصافه من بعض التجارب التطبيقية و القوانين النظرية للترجمة[1]

يسير المستوى الإشاري جنبا إلى جنب مع المستوى النصي، فلكل اللغات ألفاظ متعددة المعاني و بنى نحوية يمكن حلها في النهاية على أساس المستوى الإشاري، بدءا ببعض الافتراضات المسبقة والروابط المتعددة الأغراض، والخاصة بحروف الجر والأدوات، من خلال أسماء الفاعل و المفعول المستعملة بكثرة [بينما يقرأ reading الصحيفة، نبح الكلب بصوت عال] وانتهاء بالكلمات العامة.

يتكون المستوى الإشاري الذي يحلل النص فيه ذهنيا على أساس توضيح الصعوبات اللغوية كلها، وكذلك المعلومات الإضافية من [الموسوعة] و هو الرمز الذي يستعمله بيتر نيومارك للإشارة إلى أي مرجع أو مقرر دراسي – إذا اقتضى الأمر ذلك. لذا في العبارة الفرنسية [Pour le passage de Flore] [لمرور فلور] تجد أن فلور / فلورا

[1] - أنظر : د. طه عبدالرحمن فقه الفلسفة 1 – الفلسفة و الترجمة – المركز الثقافي العربي – ط2 /2000، ص : 105/104.

كانت آلهة الزهور والحدائق الإيطالية، و بما أنها في كلوديل فإنه يجب أن تترجم كما يلي : [لكي تمر الآلهة فلورا] ويترك الباقي للقارئ. هذا وعلى المترجم أن يكون الصورة الإشارية في ذهنه حينما يحول نص ال [ل – م] إلى نص ال [ل – هـ]، بما أنه محترف فهو مسؤول عن حقيقة هذه الصورة.[1]

إنه المستوى الذي يربط بين المستويين الأول و الثاني، ويسير و بنية النص و صيغه النحوية : البنية من خلال الكلمات الربطية [الأدوات و التعدادات والتكرارات و أداة التعريف و الكلمات العامة و المرادفات الإشارية و علامات الترقيم] وذلك لربط الجمل، في تدرج من المعلومة المعروفة [الموضوع – Thème] إلى المعلومات الجديدة و أيضا الفرضية و النقيض و التركيب و التكرار و العكس و الخاتمة – وعلى سبيل المثال أو الطرح و النقيض و التركيب و هكذا تتبع البنية سلسلة الأفكار و تحدد مثلا [اتجاه] معنى العبارة الفرنسية [d'ailleurs] [من ناحية أخرى] [بالإضافة إلى ذلك] [علاوة على ذلك] [على أية حال] في النص و تؤكد أيضا أن علامة الترقيم [النقطتين] مدلولا، ذلك أن كلمة [ultérieur] [فيما بعد] ذات إشارة لاحقة وأن هناك تعاقب الزمن و المسافة و المنطق في النص.

العامل الثاني في المستوى الربطي هو الصيغة النحوية والذي يعني تتبع خيط النص من خلال مقاطعه المليئة بالقيم الواقعية والخيالية منها أيضا. يجب على المترجم أن يفرق بين الإيجابي و الحيادي في [يقدر] و [يقيم] ؛ [مهيب] و [مذهل] ؛ [مرتب] و [منظم] ؛ [رحل] إشارة إلى قيمة الشخص و [مات] ؛ [عاهل] و [حاكم].

---

[1]- بيتر نيومارك "" الجامع في الترجمة"" (م،س) ص 6.

غالبا ما تكون هذه الفروق دقيقة للغاية. غالبا ما يوجد في معظم اللغات كلمات مثل [مقبول] ؛ [معتدل] [في الألمانية : mäbig، وفي الفرنسية [passable – Assez bien] حيث لا يمكن دائما تحديد قيمتها في السياق. [en définitive] [ختاما] ؛ [en fin] في الأخير] ؛ [à la fin] [أخيرا] ؛ [en somme] [خلاصة القول] ؛ [en tout état de cause] [على كل حال]. ومن هنا تظهر الصلة الوثيقة لاكتشاف التحليل النصي [analyse du discoure].

على المترجم أن يتأكد من أن ترجمته ذات معنى و أنها تنساب بشكل طبيعي، ومكتوبة بلغة عادية، وقواعد معروفة، ومصطلحات و كلمات تصلح في ذات التواضع بالذات. خاصة في النصوص الفلسفية [نذكر هنا نصوص هايدغر وسارتر و هاسيرل] و النصوص الروائية الرومانسية منها والواقعية.[1]

إن الكلام يعني في المرتبة الأولى قول شيء ما. فلماذا لا تتكلم الحيوانات؟ يجيبنا هومبولت لأنه ليس بفعل [Legei] الذي معناه القول و الكلام. ونتبين هذه الصلة الوثيقة بين العقل والقول من خلال مقارنة اللفظة الخاصة بكل منهما في الهولندية وفي الألمانية: فكلمة Vernunft (عقل) الألمانية تعني بالهولندية Rede هذه بدورها في الألمانية تعني الكلام.[2]

إن الإنسان بالدرجة الأولى كائن ناطق ولا تقتصر اللغة على مجرد التوصيل والتبليغ، مما نعلم أنه يحدث لدى النحل والنمل، عدا عن الدلافين وسائر الحيوانات

---

[1] - أنظر نفسه ص : 28.

[2] -أنظر: هلموت بلسنر-الإنسان بوصفه كائنا حيا-مقال-فكر وفن-عدد:13-ترجمة:1969-ص:4.

والكائنات"الاجتماعية" التي لازلنا نجهل الكثير عن دلالة إشاراتها ووسائل تفاهمها، وإنه ليبدو-على وجه الافتراض- أن كيفية ارتباط التنبيه بالتعبير، وإشراك الآخر في مجال التنبيه عن طريق التعبير والإشارة، ثم وسيلة اشتراط مركب بمركب آخر، إنما تخضع لتغيرات كبيرة، وعليه لا يجوز تفسيرها شكليا، على أساس البنية الخاصة بالتوصيل اللغوي.

ثالثا : أساليب الترجمة.

كانت الترجمة في عصر المأمون علمية إلى حد بعيد، وقد كان الكتاب يترجم كثيرا وذلك حتى تبقى الترجمة أقرب إلى معنى النص الأصل. فالأمانة العلمية كانت الشغل الشاغل الذي حرص المترجمون على احترامها. فهذا حنين بن إسحاق يصف أسلوبه في العمل الترجمي وهو منكب على نقل كتاب جالينوس من السريانية إلى العربية:ط ثم إني ترجمته، وأنا حدث من أبناء عشرين سنة أو أكثر قليلا-لمتطبب من أهل جنديسابور يقال له (شيرشوع بن قطرب) من نسخة يونانية كثيرة الإسقاط. ثم سألني بعد ذلك وأنا من أبناء أربعين سنة أو نحوها "حبيش" تلميذي

إصلاحه بعد أن كانت قد اجتمعت له عندي عدة نسخ يونانية، فقابلت تلك بعضها ببعض حتى صحت منها نسخة واحدة ثم قابلت بتلك النسخة [التي ترجمها إبن شهدا ترجمة سيئة النص] السرياني وصححته، وكذلك من عادتي أن أفعل في جميع ما أترجمه."[1]، و نلاحظ عموما أن الترجمة عند العرب ومنذ بداياتها الأولى، سلكت أسلوبين.

---

[1]-د.م.ع. مرحبا –من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية- ص:316.

أسلوب الترجمة اللفظية.

وفيها يعمد المترجم إلى النص، ويقوم بنقله كلمة بكلمة وحرفا بحرف، وهذه الترجمة الحرفية مرذولة لأن الترجمة تأتي مفككة ليس بين كلماتها كبير ارتباط أو سياق يحكم وحدتها، فضلا عن أن كثيرا من الكلمات الفنية ليس لها مصطلحات تقابلها في العربية، أضف إلى هذا أن التعابي ذات الصبغة المجازية لا يتيسر لمترجم أن يقوم بنقلها بعينها إلى اللغة المترجم إليها، لأن ثمة فارقا كبيرا بين الحقيقة والمجاز. وكان على رأس هذه الطريقة: يوحنا بن البطريق، وعبد المسيح الحمصي، والخطير في هذه الطريقة أن الترجمة كانت تتم أولا من اليونانية إلى السريانية، ثم تقع من السريانية إلى العربية، ففي هذه الدورة –ولا شك– يقع إبتعاد عن الأصل المترجم عنه.

أسلوب الترجمة المعنوية.

ويعمد فيها الكاتب أو المترجم إلى تفهم عبارة النص ثم يقوم بترجمة فحواها إلى العربية، وهو بذلك يكون أكثر سدادا لأن المقصود ليس الألفاظ، ولكن المقصود هو الفكرة الدقيقة التي يريدها المؤلف، وكان عميد هذا الاتجاه: حنين بن اسحق.[1]

رابعا : في مفهوم النص.

إن المنظر الغربي عموما تملكه هاجس النقد والترجمة والتغيير في الأساليب المتبعة، وعليه جاء إلى النص ودرس خصوصياته من جميع النواحي، واستقر على نظرة جديدة أثارت جدلا واسعا واستقرت على محاور ومناهج جديدة تفرعت فيما بعد إلى اتجاهات مختلفة

[1]-أنظر: كارم السيد غنيم –عالم الفكر –م.س. –ص:57.

رغم ما تعانيه هذه الاتجاهات من اختلاف، مما ولد القيمة النقدية العلمية من جهة والارتباك والتذبذب اللذان كان أهمهما السيطرة المطلقة على النقد أولا وعلى الترجمة ثانيا.

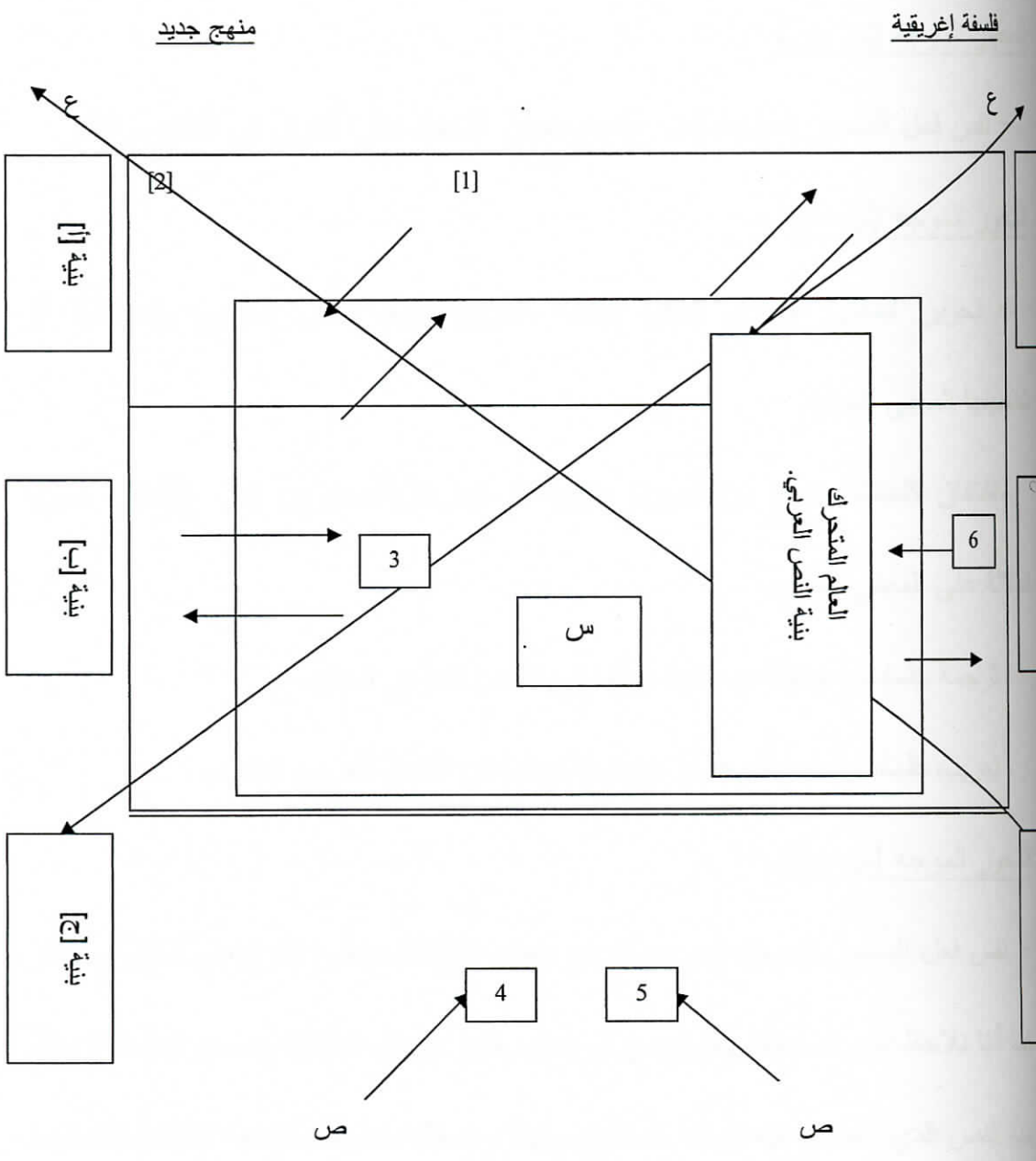
يلاحظ مثلا أن المترجمين الإنجليز في القرن السادس عشر ومعظم السابع عشر كانوا يأخذون جانب الحرفية في نقل الأشعار الأجنبية، فكانوا كما يقول دينهارم: [يحتفظون بالرماد ويفوتهم اللهب" إلى أن جاء در يدان فحرر الترجمة الشعرية – خاصة – من قيودها وكان الابتهاج بالحرية الجديدة ينذر بخطر الإغراق في التصرف إلى حد غير مستساغ بحيث أصبحت فيما بعد كلمة "الترجمة" مرادفة لكلمة "التصرف"، إلى أن جاء دور وضعت فيه الحدود التي يستطيع ضمنها المترجم أن يتخذ صفة الكاتب الأصلي فكتب روزكومون [Roscommon] مقالة " في الشعر المترجم" نصح فيها المترجم أن يتفهم قبل كل شيء أحاسيس شاعره ومعانيه ومن ثم يحاكي أسلوبه وطريقته فيرتفع حين يرتفع ويسف عند الإسفاف ونسي الكاتب أن الترجمة إنما هي صراع بين عبقرية المترجم وعبقرية الشاعر وأن على الأول أن يأتي دائما بما هو خير من الأصل فيرتفع فوقه إن استطاع[1]، على ضوء هذه الصيرورة ظهرت هذه الموجة النقدية التنظيرية الموجّهة، لتملأ الفجوات التي تركها النقد الترجمي في العصور السابقة.

وإذا كانت هذه الإسقاطات تطرح أشكال المنهج أو المناهج التي سلكها الناقد الترجمي والمترجم خصوصا، والمشتغل على النص عموما واستفاد منها فهو يتعامل مع النص في انغلاقه وانفتاحه على محيطه السوسيولوجي والتاريخي، الذي يثبت جذوره في أعماق الفلسفة التي ترتبط بالبنيات المكونة التي يعيش ضمنها صاحب النص والمشتغل عليه

---

[1] -أنظر: د.صفاء خلوصي–م.س.–ص:3.

والتي نجد صداها في البنيوية التكوينية الفرنسية، وفي كل الدراسات النقدية التي تنحى هذا المنحى، مرة باسم لوسيان غولدمان (1964)، وجاك لينهاردت(1973)، وجاك بيريدا، وأمبرطو إيكو...ولتوضيح هذه الإشكالية، نتأمل المخطط التالي.



يتضمن المخطط محاور إشارية تتطلب منا توضحا حيث أن:

المحور الموجه (س ع)

- لتغيير بعض الألفاظ الوافدة وعدم إلحاقها بأبنية النص العربي.

- تغيير بعض الألفاظ الوافدة وإلحاقها بأبنية النص العربي.

- ترك بعض الألفاظ كما هي.

المحور الموجه (س ص)

- نفس فعل المحور الموجه (س ع)،مع بعض التحفظ نظرا للفرق في التأثير والتأثر.

المحور الموجه (س ع)

- تحوير المعنى اللغوي القديم للكلمة العربية-لبنية النص العربي-وإعطائها أو تضمينها المعنى الجديد.

- اشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية أو معربة [المحورين (س ع)]،(س ص)، للدلالة على المعنى الجديد.

- ترجمة كلمات أعجمية بمعانيها وبثها في النص العربي الجديد.

- تعريب كلمات أعجمية وعدها صحيحة وبثها في النص العربي الجديد.

المحور الموجه [س صَ]

- نفس فعل المحور الموجه (س صَ)، مع بعض الإخلاف نظرا للفرق في التأثير والتأثر.

كما أننا نلاحظ بأن المخطط يتكون من مربعين: كبير ويمثل البنيات وصغير(بداخله) يمثل بنية النص الذي تنعكس فيه بنيات المجتمع ولهذا وضعت خطوط متقطعة كامتداد للخطوط المتواصلة التي تفصل بنيات المربع الكبير حيث نلاحظ العلاقات التالية :

علاقات مستمرة من المجتمع المادي المحسوس نحو بنية النص[(1)،(2)،(3)،(4)،(5)،(6)] قد تكون انعكاسية ، ولكن إلى بنيتين من المجتمع

المادي وهما بنية (أ) وبنية (ب)، والإنعاس هو ما رمز له بالسهم المتقطع أما بنية (ج) فهي التي لا تكون فيها العلاقات انعكاسية مثل (4) و(5).

ولذلك لابد للعمل الفني من بنية"مكانية" تعد بمثابة المظهر الحسي الذي يتجلى على نحوه الموضوع الجمالي، كما لابد أيضا من بنية"زمانية" تعبر عن حركته الباطنية ومدلوله الروحي بوصفه عملا إنسانيا حيا.[1]

من خلال ما تقدم يمكن أن نستنتج أن جمالية النص الأدبي شعري أو نثري تكمن في عناصر ثلاثة أساسية هي وظفها النقاد و المشتغلون في حقل الترجمة في شكل أبنية منذ القديم -:

1- البنية المكانية: وهي الفضاء اللساني الذي يتحرك فيه النص، سواء أكان تزامنيا أو تعاقبيا.

2- البنية الزمانية: وهي الفضاء اللساني الذي يتحرك فيه النص، سواء أكان متمثلا في أزمنة النص أو في تموضع هذا – النص بين النصوص الأخرى.

3-البنية اللغوية: وهي الفضاء اللساني الذي يتخرك فيه النص، بلاغيا وأسلوبيا.

إن تلاقي هذه البنى في علاقات تفاعلية يكون النظام البنيوي العام، الذي على دارس البنية سواء الناقد أو المترجم أن يتفطن إلى هذه العناصر، حيث عليه أن يبرز بنيات هذه التراكيب النصية من خلال الأدوات الموضوعة قيد الدراسة –الحروف والجمل والعبارات وما تولده هذه من أصوات– في تناسقها وتفاعلها وامتزاجها وتلاحمها. يقول محمد بنيس:" إن المتن الشعري المعاصر بالمغرب يؤسس بلاغة الغموض اعتمادا على أبعاد

[1] -أنظر:-د. زكريا إبراهيم-مشكلة الفن-ص:37.

مختلفة، تسعى جميعها لتفجير الإيحاء داخل النص الشعري، مما أكسبه انفتاحا يخالف بنية الكلام النثري"[1]، إن الذي لفت انتباهي في هذا القول هو استعمال لفظي"بلاغة الغموض" من جهة و" بنية الكلام النثري" من جهة ثانية، وهو يحاول أن يوازن بين النص وبلاغته الغامضة والكلام بلاغته الواضحة، وإن كان هذا الحكم الأخير اعتمده كنظير للحكم الأول فقط، فإذا كانت بلاغة النص غامضة، فطبيعي أن يكون واضحا، وكأني بالباحث يريد أن يقول أن النص المعاصر يعتمد أساسا على الإبهام، لأنه- حسب الباحث- عاجز على قراءة الواقع كما هو في حقائقه الثقافية وصراعاته الأيديولوجية، إنه نص يحاول أن يرسم جانبا واحدا من هذا الزخم التناقضي الواقعي، وما دام يتعامل مع جانب واحد فأكيد أن الصراع ينتفي، وهذا ما يتناقض وقوانين المجتمع مهما كان هذا المجتمع.

هذا من حيث التعامل مع النص في لغته ومكوناته الداخلية، أما من حيث التعامل معه في إطار الترجمة والنقل فإننا نعرف أنه من أصعب وسائل التعبير الترجمية.

خامسا : البنية النصية.

عندما يقرر المترجم ترجمة عمل ما، يراهن على قدرة لغته على استيعاب شكل أجنبي غريب عنها، وخلقه من جديد بأدواتها الخاصة. ويستعين في هذا الشأن بذاكرة هذه اللغة وتاريخها ، وقدرته هو على الإبداع.

والإدراك الأدبي هو الدعامة الثانية لعملية الترجمة، ويعتبر نقطة تتضح عندها إحدى المعطيات الأخلاقية الأساسية، ألا وهي تحيز المترجم للكاتب الذي يترجم عمله ولنص ذلك

[1] -محمد بنيس-ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب،مقاربة بنيوية تكوينية،-م.س.-ص:198.

العمل، وتحيزه أيضا لما يريد الكاتب أن يوصله للقارئ والمتلقي عامة، وللوسائل التي استخدمت في هذا الصدد.

على المترجم أن يتبين أولا نوعية اللغة التي استخدمها الكاتب: قديمة أو حديثة، عامية أو فصحى، مألوفة أم غريبة، مما يدل على أن معرفة اللغة الأجنبية وحدها لا تكفي.

على المترجم أن يبادر بالدخول في المجال الأدبي، مجال الكتابة ويأتي بعد ذلك" الأسلوب" أي انتظام اللغة وفقا لقواعد معينة وإيقاع معين. فالكتابة إيقاع، لكن، كثيرا ما ينسى المترجمون ذلك، وينسون أيضا أهمية الأصوات، خاصة في النصوص القديمة المكتوبة شعرا. ولنذكر بأن الكلمة تتكون دائما من صوت ومعنى وبأن موقع الكاتب يتحدد دائما بالنسبة للغة ومجموعة الكتاب والأدباء التي تمثل ثقافته.

ومن ثم يتحتم على المترجم وصفه في المجال الخاص به. تقول س.زنس: (أرى أن المبدأ الأخلاقي الوحيد الذي يمكن تطبيقه عند نقل العمل الأدبي يتمثل في فهم النص وخواصه، أي المكان الذي يشغله في تاريخه الثقافي.) ولذلك ترفض الترجمة "الحرفية" التي تنقل أبنية اللغة الأجنبية، وتعتبرها ترجمة لغوية لا ترجمة أدبية."[1]

إن سوسيولوجية النص وبنائيته تتحددان من موقف الكاتب ومكانته في المجتمع، وإن كانت علاقة الجانب السوسيولوجي بالنص ظاهر فإن البنية عكس ذلك، تتطلب دراسة و تمحيصا قصد إبراز العلاقة التي تربطها بالمجتمع المنتمي إليه المبدع.

---

[1]-سامية أسعد-عالم الفكر-م.س.-ص:24-25.وانظر Zins-Actes des deuxième assises de la traduction litteraire-Arles: 1985-p:51.

ومن خلال المثال الذي أوردته يمنى العيد يمكن أن نتعرف أكثر على اللفظ ودلالاته، واختلاف هذه الدلالات والتي على المترجم أن يعيها، وذلك بوضع النص في موضعه التاريخي كي يتسنى له معرفة نوعية اللغة التي يتعامل معها أثناء الترجمة. إن (الماء) رمز في القصيدة العربية، قيمة هذا الرمز ودلالته في بنية نص شعري جاهلي غير قيمته ودلالته في بنية نص شعري للسياب في البنية، في كل الذي له نسقه، يكتسب الرمز قيمته وليس العكس صحيحا، أي أننا لا نتبين نسق بنية القصيدة السيابية على مستوى هذا العنصر، وفي استقلاله الذي هو"الماء" بل نتبين هذا النسق في البنية ككل.[1]

إذن فبساطة اللفظ، رغم أن يمنى العيد تستعمله كرمز– وهو كذلك– إلا أن دلالاته الموحية تختلف بين الزمن القديم والزمن الحداثي. وهنا يكمن سر العملية الإبداعية من جهة والعملية الترجمية من جهة ثانية، ومن خلالها المبدع الحقيقي الذي يبسط الأمور بساطة جميلة تجعل المترجم عندما يقف عندها يندهش، ويدفعه هذا الاندهاش إلى الترجمة ورصد هذه الصور في قالب وبنية جديدين بلغة متفاعلة تصاعديا، قصد إدهاش القارئ في هذه اللغة، وعلى المترجم كذلك أن يحاول المحافظة على الخط الرابط بين المصطلحات والرموز المستعملة، عبر الحقب الزمنية والمكانية.

نبقى مع يمنى العيد حيث توضح أنه من الصحيح أن "ندرس هذه العناصر في نطاق العلاقة القائمة فيما بينها، كأن ندرس مثلا رمز "الجماعة" كمكون في قصيدة سعدي يوسف " تحت جدارية فائق حسن" بين علاقته بمكونات أخرى في القصيدة، أو كأن ندرس الصورة الشعرية على مستواها اللغوي، ونكشف الدلالات التي ينتظمها المحور الأفقي وهي دلالات

---

[1]–أنظر:يمنى العيد–في معرفة النص–م.س.–ص:33.

تتعلق بالجذر التركيبي، ثم الدلالات التي ينتظمها المحور العمودي وهي دلالات تتعلق بالتداعيات أو بالإيحاءات .أوضح ذلك بالنظر في المفردة"المعلب" على المحور الأفقي، أورد مثلا- علب، التعليب، علب، والمعلب المخبأ، المورد... على المحور الثاني العمودي أورد: التسويق، التجارة، الربح، الاستغلال، الرأسمالية."[1]

فهي وإن تحدثت عن الرمز، وبطريقة رياضية هندسية، فقصدت من خلال إيراد هذه المقولة، هو هذا الشعور في تخطي اللغة والنظرة الكلاسيكية لها،والتي لا تزال تخلد في ضمائر بعض المشتغلين على اللغة، ومنهم المترجمين، والذين لم يستطيعوا تخطي عتبة اللغة القاموسية، والتعامل ببساطة معها.

إن الإنسان في نظر هذا المنهج" فاقد لأي دور مبدع ونشيط، وينظر إليه بوصفه نسقا من العلاقات والترابطات التي تعكسه. وبهذا المعنى فإن البنيوية تبتلع الإنسان، أو تقود إلى الانحلال (فوكو) دون النظر إليه بوصفه كائنا مبدعا، بوصفه موجودا اجتماعيا ذاتيا للتاريخ"[2] من خلال هذا المفهوم يمكن أن نستخلص شيئا مهما رئيسيا يتمثل أساسا في الإنسان وموقف البنيوية منه، حيث تعتبره نسقا من العلاقات والترابطات، وأعتقد أن هذا هو الصواب، كونه لا يمثل في الأصل إلا أداة موصلة، أو واسطة بين عالم من التناقضات والتداخلات المرجعية، التي ركنت في زاوية أو في زوايا المخيلة المرجعية، وبين المتلقي الذي يحمل هو كذلك تلك الخلفية المرجعية، مع تفاوت بينهما.

---

[1]-ن.م.س. -ص:36.

[2]-ت.أ.ساخاروفا-من فلسفة الوجود إلى البنيوية-ص:168.

إذن ليست المفاهيم المعبر عنها باللغة الواحدة، إنما طريقة التعامل مع هذه اللغة لإبراز هذا المفهوم أو ذاك هي التي تختلف من مبدع إلى آخر، ومن مترجم إلى آخر، وهذا الاختلاف يأتي من ذلك الفيض اللغوي الذي يأتي به المبدع من أعماق نفسه، أي إلى ما يحمله المبدع بين جنبيه من رؤى مختلفة، وما يحتضنه في الذاكرة والخيال من مشاهد و تأثرات واحتياجات احتفظت بنفسها وقوتها.

إن هذا الفيض، والرؤى المختلفة والخيال والمشاهد والتأثيرات هي عناصر يرى البنيويون أنها تكون الخلفية المرجعية للباث، ومنها وبإيعاز إلهامي يبدع الفنان فنه، ويتلقى المترجم، ولأنه فنان " فإلى جانب اطلاعه اللغوي ينبغي أن يكون متحليا بروح الفن ومطلعا على الموضوع الذي يقوم بترجمته، فليس اللغة مجرد ألفاظ ميتة تحتويها القواميس بل تعابير اصطلاحية ونقاط دقيقة في التركيب ومدلول الكلمات، مما لا يمكن الإحاطة به إلا بالمطالعة البسيطة المستفيضة والنظرة الفاحصة الناقدة.

وتتضمن الترجمة إلى جانب ترجمة الألفاظ والمعاني ترجمة أسلوب الكاتب وروحه، وعلى هذا ينبغي للمترجم أن يقرأ النص عدة مرات قبل أن يقدم على ترجمته لتتشرب روحه بروحية المؤلف الأصلي ولتستقر معانيه في ذهنه فتتفتح نفسه لترجمة القطعة التي بين يديه."[1]

إن إشكالية دراسة النص العربي بعيدا عن معرفة اللغات الأوربية الأخرى، ومعرفة هذه اللغات وتعلمها يجعل الفكر العربي ينفتح على المناهج الغربية واكتسابها، لأنها قدمت الطرق الواضحة للغوص في عملية وعي النص، وما المنهج الذي تحدثنا عنه آنفا إلا

---

[1]-د.صفاء خلوصي-م.س.-ص:15.

نموذجا من نماذج المناهج الكثيرة التي تزخر بها اللغات الأوربية، يقول الدكتور طه حسين:"...وكيف السبيل إلى درس الأدب الغربي إذا لم ندرس اللغات الأوربية الحية، ونتبين تأثيرها في أدبنا الحديث؟ ثم كيف السبيل إلى درس الأدب العربي إذا لم نأخذ بمناهج البحث العلمي الحديث، وندرس آدابنا كما يدرس الفرنسيون والإنجليز والألمان آدابهم؟"[1]

هكذا يتضح لنا أن النقد العربي من جهة والترجمة من جهة أخرى، تنظر إلى اللغة على أنها وسيلة وليست غاية، وهي الفكرة التي تجعل النص ضعيفا لأن الهدف ليس الإشتغال على اللغة في حد ذاتها، أو بمعنى آخر، لم توضح اللغة كدرس مختبري خاصة في العصر الحديث، بل استعملت وسيلة لنقل الرسالة فقط.

في تعليمية الترجمة.

وبمقارنة بسيطة يمكن ضبط الفارق الكبير بين الطريقة الغربية والطريقة العربية في تناول النص، ولإظهار هذا الفارق نسوق هذا النموذج الخاص بكيفية تقديم درس تطبيقي حول موضوع الترجمة، كإشكالية تعليمية تختلف عن نمط تقديمها في المنظومة التربوية العربية.

Traduction professionnelle

Introduction à la traduction.

Plan de cours

Définition et critères de la traduction ; modes et genres. Principes de base, processus et méthode. Exercices d'application.

Objectifs généraux.

- Donner à l'étudiant des aperçus des principes et des réalités de la traduction professionnelle.
- Faire connaître les principaux instruments de travail.
- Rendre l'étudiant apte é déceler et à résoudre les principaux types de difficultés de transfert.

---

[1]-طه حسين-في الأدب الجاهلي-م.س.-ص:18.

- Faire acquérir une méthode de travail à la fois rigoureuse et souple.

Objectifs spécifiques.

A la fin du cours, l'étudiant devrait être capable :

- De définir la traduction et d'en apprécier l'importance ;
- De distinguer les différents modes et les genres de traduction ;
- D'énumérer et d'expliquer les principaux critères d'évaluation des traductions ;
- De définir les principaux concepts liés au processus de traduction ;
- De résoudre différents types de problèmes de traduction ;
- D'appliquer une méthode de travail en traduction.

Principaux thèmes abordes

- Origine et importance de la traduction dans le monde.
- La traduction professionnelle au Canada.

Différente définition de la traduction.

- Genres de traduction
- Modes de traduction.
- Critères d'évaluation des traductions
- Typologie des difficultés de traduction et résolution de difficultés spécifiques.

Traduction commerciale

Plan de cours

Simulation, dans un cadre contrôlé, de l'activité de traduction professionnelle, menée

Sur des textes commerciaux. Réflexion sur la démarche appliquée. Optimisation en vue

D'accroître la vitesse d'exécution en préservant la qualité.

Objectifs généraux

- Faire acquérir un niveau de compétence professionnel dans le domaine de la traduction commerciale.

Objectifs particuliers

- Connaître l'organisation générale du domaine commercial.
- Connaître les sources documentaires particulièrement utiles au traducteur commercial, leurs points forts et leurs défauts
- Connaître les difficultés classiques afférentes à la traduction commerciale
- Maîtriser le style commercial.

- Mener efficacement la démarche visant à faire un appoint de connaissances conceptuelles et langagières lors de la phase de préparation
- Savoir se limiter dans la phase de préparation.

Thèmes abordés

- Choix d'un ou de plusieurs grands thèmes et situation dans l'ensemble du domaine Commercial.
- Articulation des grands thèmes choisis
- La documentation commerciale et la constitution d'un corpus d'apprentissage bilingue.
- La constitution de fichiers adaptés aux besoins du traducteur des textes commerciaux.
- Démarche systématique propre à la traduction commerciale
- Les difficultés classiques de la traduction commerciale.

Modalités d'enseignement

- Cours magistral. Animation d'atelier conjuguée au tutorat.

Modalités d'évaluation

- Examen de contrôle des connaissances (20%) travaux pratiques (40%) épreuves de traduction en temps limité (40%)

الترجمة المهنية

مدخل للترجمة

تصميم الدرس

تعريف ومميزات الترجمة؛ صنف ونوع، مبادئ أساسية، مسار و منهجية. تمارين تطبيقية.

الأهداف العامة

- إعطاء المتعلم نظرة عن المبادئ و حقائق الترجمة المهنية.
- التعريف بأدوات العمل الأساسية.
- جعل الطالب أهلا لفهم و حل الأنماط الأساسية لمشاكل التحويل.

- استخلاص طريقة عمل طيعة و بسيطة.

الأهداف الخاصة

في نهاية الدرس يجب على الطالب أن يتمكن من :

- تعريف الترجمة و تلمس أهميتها.
- تمييز مختلف أصناف و أنواع الترجمة.
- عد و شرح الخواص الأساسية لتطور الترجمات.
- تعريف أهم المفاهيم المرتبطة بمسار الترجمة.
- حل مختلف أنواع مشاكل الترجمة.
- تطبيق منهجية عمل في الترجمة.

أهم المواضيع المعالجة

- أصل و أهمية الترجمة في العالم.
- الترجمة المهنية في الجزائر.
- تعاريف الترجمة المختلفة.
- أنواع الترجمة.
- أصناف الترجمة.
- معايير تطور الترجمات.

علم أنواع صعوبات الترجمة و حلول الصعوبات الخاصة.

سادسا : مقاربات ترجمية تطبيقية.

إن أولى الأشياء التي علينا أن نؤكدها هي أن الترجمة فن تطبيقي، و أنا أستعمل كلمة فن بالمعنى العام أي للدلالة على المراس و الحرفية المستندة إلى الملكة و الموهبة.

تنقسم الإشكالات التي أعتزم تناولها إلى مسائل تخص الألفاظ Lexique و مسائل خاصة بالتراكيب Syntaxe . وتجتمع في الإشكالية التي تطرحها الجملة في الترجمة، إذ يرى البعض أن يكون النقل حرفيا فتخرج الجملة صورة طبق الأصل من النص المترجم عنه. و يرى البعض الآخر أن يكون النقل جملة بمعنى نقل قصد المؤلف فلا تنبو الجملة عن ذوق اللغة المنقول إليها، و من أهل الترجمة من يقف موقفا وسطا فيرى الجمع بين الطرفين، ولا يتوفر هذا إلا لقلة من العاملين في الحقل.[1]

و بالنسبة للمترجم، فإن هندسة الجملة، مع التقديم والتأخير حسب الاقتضاء، من صميم عمله ومن أشد الصعوبات التي تعتريه و ترتفع به أو تنزله. غير أنه، و لحسن الحظ، معظم الجمل الفرنسية مثلا تترجم إلى العربية بشتى الأساليب، كلها صحيحة بالتساوي، مما يدل على ثراء اللغة العربية و رحابة صدرها و إمكانية عطائها.[2]

و نحن و خلال هذا القسم التطبيقي سنحاول الوقوف، و هذا من خلال النصوص التي اخترناه،ا من بين جملة من النصوص التي رأيت أنها تؤدي الغرض اللساني و الترجمي، و تحاول أن تجيب عن بعض الانشغالات التي طرحتها عرض هذا البحث، و المتمثلة

---

[1]- أنظر : د. محمد الديداوي – الترجمة و التعريب بين اللغة البيانية و اللغة الحاسوبية – المركز الثقافي العربي – ط 1 – 2002 – ص : 27.

[2]- أنظر : ن.م.س. ص : 28.

أساسا في عقبة الاختلاف الثقافي و الحضاري، أي اختلاف الدلالة في اللغة العربية عنها في اللغة الفرنسية.

هكذا سنقوم بتقريب نظامين لغويين، أحدهما معبر عنه و مجسد في النص، و الثاني لا يزال كامنا مخفيا و يستدعي التكييف و المطابقة قدر الحمولة اللغوية مع الأول، فبعد أن نتبين وحدات الترجمة في إطار النص، و نطرح و نعالج الإشكالات التي يطرحها المصطلح نستعمل مفاتيح الترجمة منفردة أو مشتركة، هذه المفاتيح هي أساسا العوامل التقنية للترجمة [Les procédés techniques de la traduction] :

- الترجمة المباشرة [La traduction directe ou traduction oblique] :

1- الاقتباس

2- الاستعارة.

3- الترجمة شبه الحرفية.

- الترجمة غير المباشرة [بالتصرف] [La traduction indirecte] :

1- التبديل.

2- التقريب.

3- المعادلة .[1]

1- L'emprunt.

2- Le calque.

3- La traduction littérale.

4- La transposition.

5- La modulation.

[1] - J.P. VINAY et J. DARBELNET - Stylistique comparée du français et de l'anglais – Méthode de traduction – nouvelle édition revue et corrigée – 1972 – P : 50-55.

L'équivalence. -6

L'adaptation. -7

1- الاقتراض.

2- النسخ.

3- الترجمة الحرفية.

4- النقل.

5- التبديل.

6- التكافؤ.

7- الاقتباس – أو – التصرف.

Procédé n° 1 : L'emprunt : Est le plus simple de tous les procédés de traduction. Ce ne serait même pas un procédé de nature à nous intéresser, si le traducteur n'avait besoin, parfois, d'y recourir volontairement pour créer un effet stylistique. Par exemple pour introduire une couleur locale, on se servira de termes étrangers, on parlera de « vestes » et de « tequila » et de « tortillas » au Mexique, etc. Une phrase telle que « the coroner spoke » se traduit mieux par un emprunt : « Le coroner prit la parole », que par la recherche plus ou moins heureuse d'un titre équivalent parmi les magistrats français.

Il y a des emprunts anciens, qui n'en sont plus pour nous, puisqu'ils sont rentrés dans le lexique et deviennent des servitudes : « alcool », « redingote », « paquebot », « acajou », etc. Il est à remarquer que souvent les emprunts entrent dans une langue par le canal d'une traduction, ainsi que les emprunts sémantiques ou faux amis, contre lesquels il faut se prémunir soigneusement.[1]

الاقتراض : هو أبسط طرائق الترجمة، إذ به تسد فجوة مفاهيمية لا عهد بها للغة المترجم إليها. وكثيرا ما يحدث هذا للحديث عن العادات و التقاليد و لإضفاء نكهة محلية

[1] - J.P. VINAY et J. DARBELNET - Stylistique comparée du français et de l'anglais – Méthode de traduction – nouvelle édition revue et corrigée – 1972 – P : 47.

على الكلام بإيراد تعابير أو مفردات غير مألوفة تظل على أصلها. من أكثر حالات الاقتباس التعابير المصطلحية و المصطلحات المستجدة، التي قد تستعصي في بداية الأمر على النقل، و تظل كما هي إلى أن يأتي من يروضها و يكيفها و يقربها إلى الإفهام و المدارك. و من أكثر و سائل الاقتباس شيوعا التعريب، أي نسخ المصطلح على المنوال العربي مع الحفاظ على جذوره الأصلية.

تستعمل الألقاب كمتلازمات مثل :

- معالي وزير التعليم العالي.
- سيادة قاضي المحكمة الابتدائية.
- فضيلة شيخ الأزهر.
- سماحة مفتي الديار المقدسة.
- فخامة رئيس الجمهورية.
- سعادة السفير.

و قد يحمل المصطلح الواحد عدة معاني حسب الأماكن التي يستعمل فيها : فمثلا مصطلح شيخ يعني في الجزائر عامة الأستاذ و في الشرق الجزائري يتعدى هذا المعنى إلى الدلالة على الأب و في بلاد الخليج يطلق على من يحكم و هو الأمير، و في القاموس يعني الكبير في السن.

و من أصعب الترجمات ترجمة الأسماء التي على المترجم أن يعجمها أو أن يعربها، و الأصعب من كل ذلك رد الأسماء المكتوبة بالعربية إلى أصلها.

و فيما يلي بعض الاستدلالات على ذلك، و الخاصة بترجمة هذه الوكالة الخاصة و التي حررها أحد الموثقين.

مكتب التوثيق

الأستاذ س.س.

مكتبه كائن بـــ س.س.

هاتف :

وكالة خاصة.

أمام الأستاذ س.س.، موثق بـــ س.س.، الممضي أسفله،

حضرت :

السيدة س.س. ابنة س.س. الساكنة بـــ س.س. حي س.س. الحاملة لبطاقة التعريف الوطنية رقم س.س. الصادرة عن ولاية س.س. بتاريخ س.س. من جنسية جزائرية.

التي و هي تتمتع بكامل قواها العقلية و بموجب هذا العقد صرحت بأنها تفوض تفويضا خاصا:

بصفتها وكيلة السيد س.س. المولود في س.س. الساكن بـــ س.س. المالك للسيارة المعينة أسفله، و هذا بموجب وكالة محررة من طرف الأستاذ س.س. موثق بـــ س.س. بتاريخ س.س. الوكالة المذكورة لم تلغى ولم يتراجع عنها لغاية تاريخ هذا العقد، للضمانات العادية و القانونية في مثل هذا الشأن. وكيلها الذي يتعهد بتطبيقها، تضع تحت تصرف :

السيد س.س. المولود في س.س.، الساكن في س.س.، الحامل لرخصة السياقة رقم س.س. الصادرة عن ولاية س.س. في س.س.

من جنسية جزائرية.

الحاضر.

كذا الموكل يعطيه السلطة باسمه من أجل :

اقتناء سيارة و سياقتها حتى التراب الوطني، و هذا طبقا لشهادة العطب الصادرة عن وزارة س.س.، مديرية تعويض الضرر، ملف المعاش رقم س.س.، رقم المعاش س.س.، رقم التسجيل س.س.، نسبة العطب س.س. %، رمز وطني س.س.

من أجل القيام بهذا يجب عليه :

إنجاز كل العمليات الإدارية الضرورية، تسوية الوضعية إداريا للسيارة المذكورة أما مصالح الجمارك و الولاية والبلدية و الشرطة و الدرك الوطني، من أجل الحصول على البطاقة الرمادية، و كذا سياقتها داخل التراب الوطني.

دفع مصاريف النقل و غيره، تقديم كل تصريح ضروري، ملء الوثائق، و إمضائها أمام المصالح المعنية.

إعطاء إبراء، و عموما القيام بكل ما يراه صالحا و ضروريا.

وكالة مفوضة مقبولة من الطرفين الحاضرين هنا، و اللذان تعهدا بتنفيذها في حدودها.

التسجيل :

حقوق التسجيل تسدد بواسطة ختم ندي يوضع على هامش يحمل الملاحظة التالية : حق الطابع على الدولة طبقا للمادة 60 من المرسوم رقم 95/27 المؤرخ في 1995/12/30 المتضمن قانون المالية لسنة 1996.

إثباتا لما ذكر.

حرر و انعقد بمكتب التوثيق الكائن بـــ س.س.

في سنة س.س.

وفي س.س.

بعد التلاوة وقع الطرفان مع الموثق.

الأستاذ س.س.

ختم يحمل : الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية – مكتب التوثيق بـــ س.س. – الأستاذ س.س.

ترجمة النص إلى الفرنسية .

Signé le notaire : Maître XX.....

Sceau portant : République Algérienne Démocratique et Populaire – Etude notariale à XX - Maître XX. .....

Etude Notariale.....

Maître XX.....

Son étude sise //.....

Tél : //.....

PROCURATION SPECIALE.....

Par-devant Maître XX, notaire à XX, soussigné,.....

O NT COMPARU :.....

Madame : XY, fille de X née à XX le XX, demeurant à XX, cité XX, XX, titulaire de la carte nationale d'identité n° XX délivrée par la préfecture de XX le XX.....

De nationalité algérienne.....

Laquelle étant en possession de sa parfaite capacité a, par ces présentes, déclaré avoir constitué pour mandataire spécial :.....

En sa qualité de mandataire de Monsieur YY né à XX, en XX, demeurant à XX, propriétaire du véhicule que dessous désigné, et ce en vertu d'une procuration établie par Maître XX, notaire à XX, en date du XX, la dite procuration n'a pas été résiliée ni annulée à la date des présentes, en s'obligeant de toutes les garanties ordinaires et de droit en pareille matière, son mandataire s'engage à l'appliquer, il met à la disposition de :.....

Monsieur XX, né à XX le XX, demeurant à XX, titulaire du permis de conduire n° XX, délivré par la préfecture de XX le XX.....

De nationalité algérienne.....

Ici présent,.....

Ainsi le constituant lui donne pouvoir de pour lui et en son nom de :.....

Acheter un véhicule et le conduire jusqu'au territoire national, et ce conformément à l'attestation d'invalidité délivrée par le Ministère des XX, direction des réparations des préjudices de la préfecture de XX, datée du XX, sous le numéro XX, dossier de pension numéro XX, numéro de la pension XX, n° d'enregistrement XX, taux d'invalidité XX%, code national XX. .....

Pour se faire il doit : .....

Effectuer toutes les opérations administratives nécessaires, régulariser administrativement la situation du dit véhicule auprès des services de douane, de la préfecture, de la commune, de la

police et de la gendarmerie nationale, pour obtenir la carte grise, ainsi le conduire sur le territoire national. .....

S'acquitter des frais de transport et autres, faire toute déclaration nécessaire, remplir les documents, les signer et les présenter auprès des services concernés. .....

Donner quitus, élire domicile, et généralement effectuer tout ce que jugera utile et nécessaire le constituant. .....

Procuration délégataire acceptée par les deux parties ici présentes et qui s'engagent à l'appliquer dans ses limités. .....

Enregistrement .....

Les droits d'enregistrements sont acquittés par l'apposition en marge d'un sceau humide portant la mention : droit de timbre perçu sur état, Conformément à l'article 60 du décret n° 27/95 du 30/12/1995 portant loi de finance de l'année 1996. .....

Dont acte .....

Fait et passé en l'étude notariale sise à XX, ...

L'an XX .....

Et le XX .....

Après lecture faite les deux parties ont signé avec le notaire. .....

Signé le notaire : Maître XX .....

Sceau portant : République Algérienne Démocratique et Populaire – Etude notariale à XX - Maître XX. .....

رواية نجمة بين ترجمة ملكة أبيض عيسى و محمد قوبعة

سنأخذ كمثال لدراسة و معاينة فعل الترجمة رواية [نجمة] لكاتب ياسين، و سنحاول تحديد ما هي المقاربات و المفارقات حينما ترجمت هذه الرواية ترجمتين الأولى قامت بها ملكة أبيض عيسى و الثانية قام بها محمد قوبعة. سنعتمد بعض المقاطع من النص الروائي.

يقول كاتب ياسين في أحد المقاطع من روايته:-

النص الأصلي

« Vers la fin de la nuit, les trois manœuvres quittent la chambrée, à bonne distance l'un de l'autre; ils se regroupent le long de la route, tournant le dos à la carrière; ils piétinent sur le sol jonché de branches nues; le vent du nord les pousse à travers la broussaille, et ils s'enfoncent dans la brume; l'absence itinéraire abolit la notion du temps; sans fatigue, au bout de la matinée, ils ont atteint un douar d'un dizaine de chutent. Le village est maintenant invisible. Les trois manoeuvres marchent vers le douar d'un commun accord. Les paysans les voient venir. Ils les invitent chez leur vétéran dès qu'ils constatent que les nouveaux venus sont des citadins; on les laisse seuls devant la galette, les dattes, le lait caillé, afin qu'ils n'aient pas honte de leur appétit. Le vétéran vient ensuite prendre le café avec eux; il les questionne sur les salaires; en ville et au village, sur la récolte de blé; de vigne et d'olives. Mais le vétéran n'a pas l'air satisfait de voir les trois jeunes gens songer à s'attarder dans la foret; il parle de la battues policières, d'élections et de représailles. Enfin le vétéran conseille de porter des fagots aux vieilles femmes du douar, qui se chargeront de la vente au village et dans les environs, tant que le garde forestier ne fera pas irruption dans le secteur. Pour le reste... »[1]

ترجمة ملكة أبيض العيسى.

" كان الليل يقارب النهاية عندما غادر العمال الثلاثة الحجرة الصغيرة على فترات متباعدة، ثم تجمعوا على طول الطريق، وهم يديرون ظهورهم للورشة. وها هم يدوسون الأرض المغطاة بالأغصان العارية، تدفعهم ريح الشرق خلال الأدغال، وهم يوغلون في الضباب. لم يكونوا يشعرون بالزمن لعدم وجود خطة لسيرهم. وما كادت الشمس ترتفع حتى كانوا قد بلغوا "دوارا" صغيرا يتألف من عدة أكواخ. لم تعد القرية التي غادروها منذ قليل تبدو لأعينهم. وراح العمال الثلاثة يسيرون نحو "الدوار" بخطى متسقة. ورآهم الفلاحون يقتربون. وما أن تبينوا أن القادمين من أبناء المدينة حتى دعوهم عند كبيرهم. وهناك، تركوا وحدهم أمام الخبز، والتمر، واللبن الرائب، لئلا يخجلوا من شهيتهم للطعام. وما لبث كبير القوم أن جاء لتناول القهوة معهم؛ وراح يسألهم عن الأجور في

- [1] Kateb Yacine -Nedjma -Edition du Seuil - 1956 -p: 32-33.

المدينة والقرية، وعن محصول القمح، والكرمة، والزيتون. ولم تبد على الشيخ علائم الإرتياح عندما رأى هؤلاء الشبان الثلاثة يفكرون أن يتخلفوا بعض الوقت في الغابة؛ وطفق يتحدث عن ملاحقات الشرطة، عن الإنتخابات، عن الثارات..فيطمئنه رشيد. وأخيرا أشار عليهم بأن يحملوا حزم الحطب إلى عجائز "الدوار" اللواتي يتكلفن ببيعها في القرية، وفي النواحي القريبة، وسيكونون في مأمن ما لم يبرز حارس الغابة في القطاع. أما الباقي..[1]

ترجم محمد قوبعة :-

"غادر العمال الثلاثة الغرفة في الهزيج الأخير من الليل، ملتزمين مسافة كبيرة تفصل كل واحد منهم عن الآخر، ثم تجمعوا بعد ذلك أثناء الطريق، مولين ظهورهم للمقطع؛ وكانت أرجلهم تطأ الأرض وقد غطتها أغصان مجردة من أوراقها، وكانت ريح الشمال تدفعهم وسط العليق؛ وأوغلوا في الضباب...ولم تكن لهم طريق مرسومة ولا وجهة معلومة، فما كانوا يشعرون بمرور الوقت، ولا تعبوا، عندما وصلوا ضحى، إلى دوار فيه حوالي عشرة أكواخ. واختفت القرية التي غادروها. وتوجه العمال الثلاثة إلى دوار بعد أن اتفقوا على ذلك. فرآهم الفلاحون وهم يقتربون وما أن علموا أن الطارئين عليهم من أهل المدينة حتى دعوهم إلى شيخهم؛ وخلوا بينهم وبين الخبز الرقاق والتمر واللبن الرائب حتى لايحس الأضياف بالحرج إن إنفتحت شهيتهم للأكل، ثم جاء الشيخ ليتناول معهم القهوة، وراح يسألهم عن الأجور بالمدينة وبالقرية، وعن صابة القمح والكروم والزيتون. ولم يبد الإرتياح على الشيخ عندما علم أن الشبان الثلاثة ينوون البقاء بعض الوقت في

• [1] -كاتب ياسين -نجمة -ترجمة: ملكة أبيض العيسى - المؤسسة العربية للدراسات والنشر -لبنان -بيروت -ط:2- سنة 1980-ص:56.

الغابة، فتحدث إليهم عن تمشيط الشرطة للمنطقة، وعن الإنتخابات، وعن عمليات انتقامية. فطمأنه رشيد. فأشار عليهم الشيخ بأن يأتوا بحزم الحطب إلى عجائز الدوار اللائي يتكلفن ببيعها في القرية وفي الأماكن القريبة منها، طالما لم يفاجئهم حارس الغابة في المكان الذي يكونون فيه. أما الباقي..."[1]

أما الآن فنقارن بين النصوص الثلاثة :

النص الأصل	ترجمة ملكة أبيض العيسى	ترجمة محمد قوبعة
Vers la fin de la nuit	كان الليل يقارب النهاية	في الهزيج الأخير من الليل
les trois manoeuvres quittent la chambrée	عندما غادر العمال الثلاثة الحجرة الصغيرة	غادر العمال الثلاثة الغرفة
à bonne distance l'un de l'autre	على فترات متباعدة	ملتزمين مسافة كبيرة تفصل كل واحد منهم عن الآخر،
ils se regroupent le long de la route	ثم تجمعوا على طول الطريق	ثم تجمعوا بعد ذلك أثناء الطريق،
tournant le dos à la carrière	وهم يديرون ظهورهم للورشة.	مولين ظهورهم للمقطع؛
ils piétinent sur le sol jonché de branches nues	وها هم يدوسون الأرض المغطاة بالأغصان العارية	وكانت أرجلهم تطأ الأرض وقد غطتها أغصان مجردة

[1] -كاتب ياسين -نجمة -ترجمة:محمد قوبعة -المؤسسة الجزائرية للطباعة -ديوان المطبوعات الجامعية -الجزائر -1987 -ص:30-31.

		من أوراقها،
le vent du nord les pousse à travers la broussaille	تدفعهم ريح الشرق خلال الأدغال	وكانت ريح الشمال تدفعهم وسط العليق؛
et ils s'enfoncent dans la brume	وهم يوغلون في الضباب.	وأوغلوا في الضباب...
l'absence d'itinéraire abolit la notion du temps	لم يكونوا يشعرون بالزمن لعدم وجود خطة لسيرهم	ولم تكن لهم طريق مرسومة ولا وجهة معلومة، فما كانوا يشعرون بمرور الوقت،
sans fatigue		ولاتعبوا،
au bout de la matinée	وما كادت الشمس ترتفع	عندما وصلوا ضحى،
Ils ont atteint un douar d'une dizaine de chutent.	حتى كانوا قد بلغوا "دوارا" صغيرا يتألف من عدة أكواخ	إلى دوار فيه حوالي عشرة أكواخ.
Le village est maintenant invisible	لم تعد القرية التي غادروها منذ قليل تبدو لأعينهم.	واختفت القرية التي غادروها.
Les trois manoeuvres marchent vers le douar d'un commun accord	وراح العمال الثلاثة يسيرون نحو "الدوار" بخطى متسقة.	وتوجه العمال الثلاثة إلى الدوار بعد أن اتفقوا على ذلك.

Les paysans les voient venir	ورآهم الفلاحون يقتربون.	فرآهم الفلاحون وهم يقتربون
Ils les invitent chez leur vétéran	حتى دعوهم عند كبيرهم	حتى دعوهم إلى شيخهم
dès qu'ils constatent que les nouveaux venus sont des citadins	وما أن تبينوا أن القادمين من أبناء المدينة	وما أن علموا أن الطارئين عليهم من أهل المدينة؛
On les laisse seuls devant la galette, les dattes, le lait caillé, afin qu'ils n'aient pas honte de leur appétit.	وهناك، تركوا وحدهم أمام الخبز، والتمر، واللبن الرائب،لئلا يخجلوا من شهيتهم للطعام.	وخلوا بينهم وبين الخبز الرقاق والتمر واللبن الرائب حتى لايحس الأضياف بالحرج إن انفتحت شهيتهم للأكل،
Le vétéran vient ensuite prendre le café avec eux	وما لبث كبير القوم أن جاء لتناول القهوة معهم؛	ثم جاء الشيخ ليتناول معهم القهوة،
il les questionne sur les salaires; en ville et au village, sur la récolte de blé; de vigne et d'olives.	وراح يسألهم عن الأجور في المدينة والقرية، وعن محصول القمح، والكرمة، والزيتون.	وراح يسألهم عن الأجور بالمدينة وبالقرية،وعن صابة القمح والكروم والزيتون.
Mais le vétéran n'a pas l'air satisfait de voir les trois jeunes gens songer à s'attarder dans la forêt	ولم تبد على الشيخ علائم الإرتياح عندما رأى هؤلاء	ولم يبد الإرتياح على الشيخ عندما علم أن الشبان الثلاثة

	الشبان الثلاثة يفكرون أن يتخلفوا بعض الوقت في الغابة؛	ينوون البقاء بعض الوقت في الغابة،
il parle des battues policières, d'élections et de représailles.	وطفق يتحدث عن ملاحقات الشرطة، عن الإنتخابات، عن الثارات..	فتحدث إليهم عن تمشيط الشرطة للمنطقة، وعن الإنتخابات، وعن عمليات انتقامية.
Rachid le rassure.	فيطمئنه رشيد.	فطمأنه رشيد.
Enfin le vétéran conseille de porter des fagots aux vieilles femmes du douar, qui se chargeront de la vente au village et dans les environs	وأخيرا أشار عليهم بأن يحملوا حزم الحطب إلى عجائز "الدوار" اللواتي يتكلفن ببيعها في القرية، وفي النواحي القريبة،	فأشار عليهم الشيخ بأن يأتوا بحزم الحطب إلى عجائز الدوار اللائي يتكلفن ببيعها في القرية وفي الأماكن القريبة منها،
tant que le garde forestier ne fera pas irruption dans le secteur.	وسيكونون في مأمن ما لم يبرز حارس الغابة في القطاع.	طالما لم يفاجئهم حارس الغابة في المكان الذي يكونون فيه.
Pour le reste...	أما الباقي..	أما الباقي...

النص الثاني :

Texte de Kateb Yacine.

« Lakhdar s'est échappé de sa cellule.

A l'aurore, sa silhouette apparaît sur le palier; chacun relève la tête, sans grande émotion.

Mourad dévisage le fugitif.

Rien d'extraordinaire. Tu seras repris.

Ils savent ton nom.

J'ai pas de carte d'identité.

Ils viendront te choper ici.

Fermez-la. Ne me découragez pas.

Plus question de dormir. Lakhdar aperçoit la bouteille vide.

Vous avez bu?

Grâce au Barbu. Il sort d'ici.

Et moi, j'ai pas le droit de me distraire?

Ecoutez, propose Mourad. On va vendre mon couteau.

On trouvera bien un gosse pour nous acheter du vin. Personne n'ira imaginer que c'est pour nous.

Ils entrent dans le plus piteux des cafés maures, Lakhdar en tête. Les clients leur font des signes d'intelligence. Beaucoup les invitent. Ils montrent le couteau à un tatoué. Il offre cinquante francs.

Soixante-quinze, dit Mourad.

Bon. »[1]

ترجمة ملكة أبيض العيسى

" لقد فر الأخضر من زنزانته.

لاح خياله، عند الفجر، على أعلى الدرج. ورفع الكل رؤوسهم دون انفعال كبير.

- [1]-Kateb Yacine - NEDJMA -Ed. du Seuil -1956- p:11-12.

وألقى مراد ببصره على الهارب:

_ليس في هذا شيء خارق للعادة. سيأخذونك من جديد.

_إنهم يعرفون إسمك.

_لاأحمل بطاقة هوية.

_سيأتون لالتقاطك من هنا.

_إقفلوا أشداقكم هذه...لاتثبطوا من عزيمتي.

لم يعد هناك مجال للنوم. وأدار الأخضر عينيه فرأى الزجاجة الفارغة.

_هل شربتم؟

_نحن مدينون بذلك لذي اللحية. لقد خرج على التو من هنا.

_وأنا..ألا يحق لي أن أرفه قليلا عن نفسي؟

واقترح مراد:

_إسمعوا سنبيع مديتي.

_سنجد صبيا يشتري لنا الخمر. لن يخطر ببال أحد أن ذلك من أجلنا.

ودخل الرفاق إلى أحقر مقهى مغربي، يتقدمهم الأخضر. واستقبلهم رواد المقهى بإشارات تحمل المودة، وراح كثير منهم يدعونهم. زها هم يعرضون المدية على رجل موشوم، فيقدم خمسين فرنكا ثمنا لها.

_خمسة وسبعون، قال مراد.

_حسنا."[1]

• [1] -كاتب ياسين -نجمة -ترجمة: ملكة أبيض العيسى -م.س. -ص:25-26.

ترجمة محمد قوبعة.

" فر (الأخضر) من زنزانته...

وبدا عند الفجر شبحه على العتبة فارتفعت رؤوس الحاضرين تستطلع الأمر دون أن يبدو عليهم كبير تأثر.

تفحص (مراد) الهارب.

_لم تأت شيئا عجبا، وسيقبضون عليك ثانية.

_إنهم يعرفون إسمك.

_ليست لي بطاقة هوية.

_سيأتون إلى هنا لإيقافك...

_أسكتوا...ولاتثبطوا عزيمتي...

_انتفى النوم...ولمح الأخضر الزجاجة الفارغة، فسأل:

_أشربتم خمرا؟

_نعم والفضل في ذلك لذي اللحية.لقد خرج الساعة من هنا.

_أو ليس لي الحق، أنا أيضا، أن أترفه؟

فقال مراد، مقترحا: إسمعوا، ما رأيكم لو بعنا سكيني؟

فأيده أحدهم وقال: لابد أننا واجدون صبيا يشتري لنا الخمر، ولن يتصور أحد أن ذلك لنا...

ودخل الجماعة إلى أحقر مقهى شعبي، يسبقهم الأخضر، فأومأ الحرفاء إليهم بإشـــارات تنم عن معرفتهم بهم ودعاهم العديد منهم للجلوس معهم، وقدم الجماعة الســـكين لرجـــل موشوم، فعرض عليهم خمسين فرنكا ثمنا له.

فقال مراد: بل خمسة وسبعون.

_حسنا."[1]

النص الأصل	ترجمة ملكة أبيض العيسى	ترجمة محمد قوبعة
Lakhdar s'est échappé de sa cellule.	لقد فر الأخضر من زنزانته.	فر "الأخضر" من زنزانته...
A l'aurore, sa silhouette apparaît sur le palier; chacun relève la tête, sans grande émotion.	لاح خياله، عند الفجر، على أعلى الدرج. ورفع الكل رؤوسهم دون انفعال كبير.	وبدا عند الفجر شبحه على العتبة فارتفعت رؤوس الحاضرين تستطلع الأمر دون أن يبدو عليهم كبير تأثر.
Mourad dévisage le fugitif.	وألقى مراد ببصره على الهارب.	تفحص "مراد" الهارب.
Rien d'extraordinaire. Tu seras repris.	–ليس في هذا شيء خارق للعادة. سيأخذونك من جديد.	–لم تأت شيئا عجبا، وسيقبضون عليك ثانية.

[1] -كاتب ياسين -نجمة -ترجمة محمد قوبعة -م.س.-ص:6-7.

Ils savent ton nom.	–إنهم يعرفون إسمك.	–إنهم يعرفون إسمك.
J'ai pas de carte d'identité.	–لاأحمل بطاقة هوية.	–ليست لي بطاقة هوية.
Ils viendront te choper ici.	–سيأتون لإلتقاطك من هنا.	–سيأتون إلى هنا لإيقافك...
Fermez-la. Ne me découragez pas.	–إقفلوا أشداقكم هذه...لاتثبطوا من عزيمتي.	–أسكتوا...ولاتثبطوا عزيمتي...
Plus question de dormir. Lakhdar aperçoit la bouteille vide.	لم يعد هناك مجال للنوم. وأدار الأخضر عينيه فرأى الزجاجة الفارغة.	إنتفى النوم...ولمح الأخضر الزجاجة الفارغة، فسأل:
Vous avez bu?	–هل شربتم؟	–أشربتم خمرا؟
Grâce au Barbu. Il sort d'ici.	–نحن مدينون بذلك لذي اللحية. لقد خرج على التو من هنا.	–نعم والفضل في ذلك لذي اللحية. لقد خرج الساعة من هنا.
Et moi, j'ai pas le droit de me distraire?	–وأنا..ألا يحق لي أن أرفه قليلا عن نفسي؟	–أو ليس لي الحق، أنا أيضا، أن أترفه؟
Ecoutez, propose Mourad. On va vendre mon couteau.	واقترح مراد: –إسمعوا، سنبيع مديتي.	فقال مراد، مقترحا: إسمعوا، ما رأيكم لو بعنا سكيني؟

On trouvera bien un gosse pour nous acheter du vin.	-سنجد صبيا يشتري لنا الخمر.	فأيده أحدهم وقال:لابد أننا واجدون صبيا يشتري لنا الخمر،
Personne n'ira imaginer que c'est pour nous.	-لن يخطر ببال أحد أن ذلك من أجلنا.	ولن يتصور أحد أن ذلك لنا...
Ils entrent dans le plus piteux des cafés maures, Lakhdar en tête.	ودخل الرفاق إلى أحقر مقهى مغربي،يتقدمهم الأخضر.	ودخل الجماعة إلى أحقر مقهى شعبي، يسبقهم الأخضر،
Les clients leur font des signes d'intelligence.	واستقبلهم رواد المقهى بإشارات تحمل المودة،	فأومأ الحرفاء إليهم بإشارات تنم عن معرفتهم بهم
Beaucoup les invitent.	وراح كثير منهم يدعونهم.	ودعاهم العديد منهم للجلوس معهم،
Ils montrent le couteau à un tatoué.	وها هم يعرضون المدية على رجل موشوم،	وقدم الجماعة السكين لرجل موشوم،
Il offre cinquante francs.	فيقدم خمسين فرنكا ثمنا لها.	فعرض عليهم خمسين فرنكا ثمنا له.
Soixante-quinze, dit Mourad.	-خمسة وسبعون، قال	فقال مراد: بل خمسة

	مراد.	وسبعون.
Bon.	-حسنا.	-حسنا.

التعليق على الترجمتين :

إن الترجمة هي دوما نشاط ثقافي إبداعي فهو يتساوى مع وضع كتب أصيلة. و كل ما يتصل بالترجمة له، بالنسبة إلى الثقافة المتلقية، صلة و معنى يختلفان عما هو قائم عند الثقافة المانحة. فالقرار بترجمة شيء ما و تقرير الوقت وما الذي يترجم فيه و كيف يتم ذلك و تقبل الشيء المترجم – كل هذا تقره الثقافة المتلقية و من ثم فهذه جميعها لها هدف بالنسبة إلى هذه الثقافة. و المثل الذي نقدمه هو ترجمة غالون Galland الفرنسية لـ ألف ليلة و ليلة و ترجمة فيتزجيرالد FitzGerald الانجليزية لـ رباعيات عمر الخيام. هاتان الترجمتان ترمزان إلى لحظات إبداعية في الأدبين الفرنسي و الإنجليزي و ليس في الأدب العربي أو الفارسي.[1]

من خلال هذا التقطيع و المقابلات يتبين الاختلاف و الاتفاق بين الترجمتين على الرغم من أن تعليقنا يعتبر قراءة ثالثة للنص نفسه.

- ترجمة الكتاب المقدس.

" ومن الإنصاف حقا أن نقرر أن الترجمة العربية للعهد القديم التي ظهرت سنة 1897 قد حافظت على بساطة الأصل وطابقت ما ذكره المترجمون في المقدمة(...) وقد جاءت

[1] - أنظر : غوتاس ديميتري – الفكر اليوناني و الثقافة العربية – حركة الترجمة اليونانية العربية في بغداد و المجتمع العباسي المبكر – ترجمة و تقديم الدكتور نقولا زياده – المنظمة العربية للترجمة – مركز دراسات الوحدة العربية – ط1 – بيروت – لبنان – يونيو /2003. ص : 307.

الترجمة متقنة لأنها نقلت عن العبرية واليونانية وقوبلت مع مثيلتها في السريانية واللاتينية وهكذا فإن الترجمة تزداد دقة عندما تقابل مع ترجمات أخرى في لغات مختلفة ولعل "الكتاب المقدس" هو الكتاب الوحيد الذي طبقت عليه هذه الطريقة الفريدة."[1]وقد إرتأيت أن أقف عند بعض المقاطع المترجمة من كتاب " La vérité qui conduit à la vie éternelle" "الحق الذي يقود إلى الحياة الأبدية" وهو مكتوب باللغة الفرنسية، ومترجم إلى اللغات العالمية ومن بينها اللغة لعربية، وقد توفر لدينا بهاتين اللغتين (الفرنسية والعربية).

Le Texte en Français:

« Tout homme normal désir la vie et la santé. Nous cherchons a être soulagés de nos douleurs causées par la maladie, et nous voudrions échapper à l'affaiblissement du corps qui accompagne la vieillesse. Nous souffrons aussi lorsque nous voyons que cela arrive à ceux qui nous sont chers. C'est pourquoi certains sont amenés à se poser ces questions: « Est-ce là le dessein de Dieu? Lorsque Dieu créa l'homme, voulait-il que ce dernier vieillisse et devienne sourd ou aveugle, que sa peau se ride, que son coeur et ses autres organes se détériorent? Franchement, Dieu a-t-il fait l'homme pour que celui-ci meure? »[2]

المقطع النصي مترجم إلى اللغة العربية:

"إن كل ذي عقل سليم يرغب في الحياة والصحة الجيدة. ونحن نطلب الراحة من الأوجاع والآلام التي يجلبها المرض، ونرغب في سبيل للنجاة من الأثر المضعف الذي تتركه الشيخوخة في أجسادنا. ويحزننا أيضا أن نرى أولئك الذين نحبهم مصابين بهذه الأمور. ولذلك يسأل كثيرون، "هل كان كل ذلك جزءا من قصد الله الأصلي؟ وعندما

• [1] -د.صفاء خلوصي -عالم الفكر -م.س.-ص:56-57.

• [2]-La vérité qui conduit à la vie éternelle- International Bible Students Brooklyn , New York , U.S.A.1968- p:27.

خلق الله الإنسان، هل كان قصده أن يكبر الإنسان، ويصاب بالصمم أو العمى؟ وهل أراد لجلد الإنسان أن يتجعد مع الأيام، ولقلبه أن يصاب بالمرض، ولباقي أعضائه أن ينحط؟ هل صنع الله الإنسان ليموت؟"[1]

قراءة في ترجمة المقطع.

النص الأصل	النص المترجم
Tout homme normal désir la vie et la santé	إن كل ذي عقل سليم يرغب في الحياة والصحة الجيدة.
Nous cherchons a être soulagés de nos douleurs causées par la maladie,	ونحن نطلب الراحة من الأوجاع والآلام التي يجلبها المرض،
et nous voudrions échapper à l'affaiblissement du corps qui accompagne la vieillesse.	ونرغب في سبيل للنجاة من الأثر المضعف الذي تتركه الشيخوخة في أجسادنا.
Nous souffrons aussi lorsque nous voyons que cela arrive à ceux qui nous sont chers.	ويحزننا أيضا أن نرى أولئك الذين نحبهم مصابين بهذه الأمور.
C'est pourquoi certains sont amenés à se poser ces questions:	ولذلك يسأل كثيرون،
Est-ce là le dessein de Dieu?	هل كان كل ذلك جزءا من قصد الله الأصلي؟

[1] -الحق الذي يقود إلى الحياة الأبدية – International Bible Students Brooklyn, New York, USA- Association.– ط1- ص:27.–(لم يذكر إسم المترجم أو المترجمين).

Lorsque Dieu créa l'homme, voulait-il que ce dernier vieillisse et devienne sourd ou aveugle,	وعندما خلق الله الإنسان، هل كان قصده أن يكبر الإنسان، ويصاب بالصمم أو العمى؟
que sa peau se ride,	وهل أراد لجلد الإنسان أن يتجعد مع الأيام
que son coeur et ses autres organes se détériorent?	ولقلبه أن يصاب بالمرض، ولباقي أعضائه أن ينحط؟
Franchement, Dieu a-t-il fait l'homme pour que celui-ci meure.	هل صنع الله الإنسان ليموت؟.

سامي الدروبي و الترجمة.

يقول الدكتور سامي الدروبي في مقدمة ترجمته لرواية (الفقراء . المثل – قلب ضعيف–) للكاتب المشهور دوستويفسكي:"...إن بين خالقي التراث الإنساني قمما يجب أن تنقل آثارها إلى اللغة العربية كاملة، وأن تنقل نقلا يتصف بالأمانة والدقة مثلما يتصف بنصاعة البيان ونقاء الأداء، لتجيء الترجمة صورة تمثل الأصل تمثيلا صادقا، ولتكون بذلك ترجمة أخيرة إليها يرجع وعليها يعتمد، فلا حاجة بعد إلى إعادة ترجمتها، كلها أو بعضها، مرة بعد مرة، في هذا القطر أو ذاك من أقطار الأمة العربية.

وإذا كانت الترجمة المثلى هي التي تنقل عن لغة الكاتب رأسا بغير وسيط من لغة أخرى، فليس بين أصحاب الأقلام في الوطن العربي الآن من يملك ناصية اللغة الروسية إلى الحد الذي يكفل نقل عيون الفكر الروسي عن اللغة الروسية بلسان عربي مبين، فكان لابد من لغة أخرى يتم النقل عنها وسيطا بيننا وبين تلك اللغة.

وكانت اللغة الفرنسية هي ذلك الوسيط الذي اعتمده المترجم في نقل أعمال دوستويفسكي الأدبية التي نقدمها الآن. ونحن نحسب مع ذلك أن الترجمة العربية تملك مزيتي كمال الأمانة وجمال البيان ما يجعلها خليقة بأن تعد نهائية، ونحسب أن الكاتب العربي سيجيء في المستقبل مؤهلا بإتقان اللغتين الروسية والعربية لنقل أمهات كتب الأدب الروسي سيشعر حين يضاهي بين هذه الترجمة وبين الأصل الروسي، أنه ليس عليه أن يعيد الترجمة، وأنه لايحتاج إلى أكثر من تنقيحات يسيرة يجري بها قلمه على كلمة هنا أو جملة هناك.

ذلك أن الترجمة التي نقدمها الآن قد كان الوسيط بين صاحبها وبين الأصل الروسي ترجمات فرنسية اختارها ألكسندروف سولوفييف، وتمت مراجعتها على الأصل الروسي في الطبعة الروسية التي ظهرت سنة 1889 في إثنى عشر مجلدا، وفي الطبعة السوفياتية التي ظهرت بين 1956 و1958 في عشر مجلدات، وتم تنقيحها وتصحيحها على ما تقتضيه الأمانة والدقة والمقدرة التي يتصف بها أستاذ من كبار أساتذة الأدب الروسي في العالم، مثل سولوفييف، الأستاذ بجامعة جنيف، متعاونا في هذا العمل مع عالم من أبرز علماء الأدب والنقد هو جورج هالداس.

ولقد ظهرت الترجمة الفرنسية في ستة عشر مجلدا عن دار النشر السويسرية (Rencontres)، مصدرة بنبذة عن حياة دوستويفسكي اعتمدها المترجم ولكنه لم يقتصر عليها ولاتقيد بها كاملة، وكذلك فيما يتصل بالمقدمات التي تمهد لكل عمل من الأعمال في صدر كل مجلد.

وقد رأى سولوفييف أن يتقيد بالطبعة السوفياتية التي صدرت عامي 1956-1958، فاقتصرت طبعته الفرنسية على « الأعمال الأدبية"، لذلك لم ينشر من "يوميات كاتب"، وهي مجموعة شتى من المقالات والكتابات، إلا ما هو أدب، إلاما هو حكايات وأقاصيص، مثل "بوبوك" و "الفلاح ماري" وغيرهما.

وكذلك لم ينشر "الدفاتر" التي تتضمن ما كان يخطه قلم دوستويفسكي إعدادا لكتابة أعماله المختلفة، ولانشر رسائل دوستويفسكي. ولكنّ المجلد التاسع عشر من الطبعة العربية التي ستنشرها دار "الكاتب العربي" تباعا، سيشتمل على مختارات من رسائل دوستويفسكي، وإنما جاء الحرص على نشر مختارات من هذه الرسائل، لما لها من قيمة أدبية أولا، ولأنها تلقي أضواء على مؤلفات دوستويفسكي ثانيا، ولأنها بعد هذا وذاك تسجل أطرافا من حياة دوستويفسكي الحافلة وترسم صورة الشخصية الفنية، وترتبط بأعماله أنواعا من الإرتباط على كل حال."[1]

[1] -دوستويفسكي -الفقراء. المثل -قلب ضعيف-،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر-دار الكاتب العربي للطباعة والنشر -1967-ترجمة: الدكتور سامي الدروبي-ص:5-6.

الباب الثاني :

التحليل الترجمي والمقاربات النصية.

الفصل الثاني :

بنية النص والترجمة.

الفصل الثاني : بنية النص و الترجمة.

- مقاربة النص الأدبي و الترجمة

إن مقاربة النص الأدبي تتحقق بعدة طرق، ولقد تصدى تودوروف في مقالته "كيف نقرأ" لشتى المقاربات الممكنة في دراسة الأدب والكتابة عنه حيث يبدأ بتذكيرنا بثلاث مقاربات تقليدية يسميها: **الإسقاط والتعليق والشعرية**.

يقول [ياوس] و هو يطرح إشكالية تاريخية العمل الأدبي و المفاهيم التي يعتمد عليها في تشكيل نظريته [إن العلاقة بين العمل و القارئ تتقدم في مظهر مزدوج، جمالي و تاريخي][1].

من حيث تتبني نظرة أخرى بالتركيز أساسا على الوقع الاستيتيقي المعتمد على العناصر الثلاثة – النص – القارئ – تفاعلهما. إن بسط العملية القرائية، هو تفسير و توضيح لمدى الوقع و التلقي من خلال بناء المعنى و بناء الذات.

قد تظهر الفكرة غامضة، و لكن بالتدقيق في الاشكالية و بسط التفاعلات التي تصاحب فعل القراءة و فعل الكتابة و فعل الترجمة، يمكن أن نصل إلى فهم هذه النظرية في مدى الوقع الجمالي و كيف يمكن أن يتعامل معه المترجم أو الناقل؟.

- **الإسقاط :**

طريقة في القراءة عبر النصوص الأدبية باتجاه المؤلف، أو المجتمع، أو شيء آخر يهم الناقد. بعض أنواع النقد السيكولوجية (كالنقد الفرويدي) والنقد السوسيولوجي (كالنقد الماركسي) تقدم لنا أمثلة عن الإسقاط النقدي.

---

[1] - H.R.Jauss – Pour une esthétique de la réception – Gallimard – 1976 – p45.

- **التعليق:**

وهومكمل للإسقاط فكما يسعى الإسقاط إلى التحرك عبر وخلف النص، يسعى التعليق إلى البقاء داخل النص، والشكل الأشد شيوعا للتعليق هو ما ندعوه تفسيرا أو قراءة دقيقة. إن الحد الأقصى للتعليق هو إعادة الصياغة- والحد الأقصى لإعادة الصياغة هو تكرار النص نفسه.

- **الشعرية:**

وهي " التي تبحث في المبادئ العامة التي تتجلى في الأعمال الخاصة. والشعرية يجب ألا تختلط بالرغبة في رؤية الأعمال الخاصة أمثلة محضة للقانون العام. إن الدراسة الشعرية لأي عمل خاص لابد أن تقود إلى نتائج تكمل أو تعدل الفرضيات الأدبية للدراسة. أما السعي إلى العثور على الأنماط النموذجية أو أي نموذج بنيوي موطد، فإنه ليس ممارسة للشعرية، بل تقليد مضحك لها.[1]

فعل القراءة.

إن ما يهمنا في هذا التحليل هو أن يعي مترجم النص الأدبي هذه المقاربات وعيا تاما، حين يقرأ النص الذي يأتي إلى ترجمته، حتى لا يسقط في الهفوات التي تحول النص الأصلي عن معناه.

لكي يتبين المترجم ماذا يفعل عندما يقارب نصا خالصا، فعليه أن يستخدم ويعتمد أساسا على نظرية تودوروف في القراءة، وعلى تصورات رولان بارط، وخاصة

---

[1]-أنظر:-روبرت شولز-البنيوية في الأدب-ترجمة: حنا عبود-منشورات اتحاد الكتاب العرب-1984- ص:163.

تلك التي ضمنها مقالته (سين- زد) التي درس من خلالها قصة قصيرة لبلزاك ثم مناقشة شروح النصوص الروائية لـــ رولان بارط و جيرار جينيت كأمثلة عن النقد العملي البنيوي.

إن ما يميز أي نص إذن هو أن معناه ينبني وفق قوعد و قوانين تؤسس في غمار القراءة. و هذا ما يفسر عدم وجود معنى جاهز. و هذا الغياب هو ما يميز علاقة النص بالقارئ، إذ يدفع هذا اللاتحديد بالإضافة إلى حدوثية العلاقة « contingence »، إلى إقامة ذلك اللاتناسب بين النص و القارئ، أي السماح بقيام التواصل ذاته؛ إن ذلك هو ما يسميه [إيزر] [الفراغ الباني] « le vide constitutif »[1] و يبين على غرار أمبرطو إيكو كيف يتم ملء البياضات أو الفراغات، التي تتقدم في النص من طرف القارئ و عليه أن يملأها، بمثل ما يقوم به المترجم.

ثمة بعض القضايا الطرائقية في هذه المحاولة الأخيرة أود أن أشارك فيها القارئ في أي كتاب، كهذا الكتاب، الذي هو إلى حد ما عن كتب ظهرت، تتحدث هي أيضا عن كتب أخرى، مما يهدد بالابتعاد عن موضوعه المرتجى، ولا نستطيع أن نقدر الشعور الذي ينتاب المرء حين يقرأ كتبا عن كتاب عن كتب، ولكن ذاك ما يحدث الآن، فنحن نتحدث عن كتب تتحدث عن كتب، وتغدو القضية أشد حدة عندما نتحدث عن كتب في النقد العلمي.[2] حيث يقول هرمان هيسه في [Gesamelte Werke]

---

[1] - أنظر إيزر : Acte de lecture, Théorie de l'effet esthétique – P. Margada : 85 / P : 210-211

[2] -أنظر: ن.م.س.-ص:162.

Und ich sah die blangruene glatsee berite, mit Kleinen Lichtern durchwirkt, in der Sonne liegen, und imdichtenKranz um sic die jauchen Berge... Und an ihrem Fluss die schrägen, lichten Matten, mit Obstbäumen, Hütten, und grauen Alpkuchen bezetzi [1]

وقد قام بترجمة هذا المقطع النصي الأستاذ عبده عبود، وعلق عليه وقارنه بترجمة الأستاذ مصطفى ماهر، وهي الترجمة التي نوردها فيما يلي:.

" ورأيت سطح البحيرة الأملس الأخضر الزرقة مستلقيا في الشمس، توشيه أضواء صغيرة، وتحيط به جبال شديدة الانحدار في إكليل كثيف... وعند سفوحها المراعي الماثلة الوضاءة، وقد غطتها أشجار الفاكهة والأكواخ وأبقار الألب الرمادية."[2]

ترجمة الأستاذ مصطفى ماهر:

" ولكني كنت أرى صفحة البحيرة الملساء، الزرقاء في خضرة، وكنت أرى الجبال الوعرة التي تتخللها أنوار صغيرة تحيط بالبحيرة كالتاج الكثيف، وأرى عند أسفلها بسطا وضاحة ماثلة تقوم فيها أشجار الفاكهة والأكواخ وبقر جبال الألب الرمادي."[3]

حيث يعلق الأستاذ عبده عبود عن ترجمة الأستاذ مصطفى ماهر قائلا:

" إن أول ما نلاحظه أن في هذه الترجمة خطأين دلاليين معجميين، يتعلق أولهما بكلمة Kranz"" والثاني بكلمة"Metten"، فمعادل الكلمة الأولى بالعربية هو" إكليل" ومعادل الكلمة الثانية هو"مراع"، ولكن لسبب غير معروف تحول"الإكليل" على يد مترجمنا إلى"تاج" وتحولت"المروج"إلى "بسط"، والغريب في الأمر أن المترجم قد

---

[1]-انظر:-Hermann Hesse-Gesamelte Werke-Frankfurt .a.M.-1970-p:343-(3)-عبده عبود-عالم الفكر-م.س.-ص:142.

[2]-عبده عبود -عالم الفكر -م.س. -ص:142.

[3]-هرمان هيسه-قصة شاب-ترجمة وتقديم:د. مصطفى ماهر-دار الكتاب العربي-القاهرة-1968-ص:14.

عرب كلمة"Metten"" هذه إلى "مروج" بعد سطور قليلة من ترجمتها إلى "بسط". أولا يدل هذا على أنه لم يكلف نفسه عناء توحيد ترجمة المفردة الواحدة؟.

ومن الملاحظ كذلك أن"الأنوار الصغيرة" أصبحت في الترجمة العربية " تتخلل الجبال الوعرة" بدلا من أن تتخلل"صفحة البحيرة". أما " أبقار جبال الألب" فتقوم عند أسفل الجبال، وكأنها مبان أو أشجار، وهذه أخطاء دلالية مردها عدم استيعاب النص الأصلي بصورة دقيقة، والتسرع في نرجمته كيفما اتفق. وطبيعي أن تشوه أخطاء دلالية كهذه معنى النص، إن لم تفقده معناه وتجعله سخيفا.

ولكن هذه الأخطاء، على فداحتها، ليست المعضلة الأساسية لترجمة [قصة شاب]، فالمعضلة الحقيقية تكمن في الجانب الأسلوبي، والتحديد في ذلك الإفقار الأسلوبي والجمالين الذي جعل من هذه الترجمة نصا غير أدبي، وبالتالي غير قابل للتذوق جماليا، وتلك أكبر كارثة يمكن أن تلحق بعمل أدبي، عندما يهاجر من أدب قومي إلى أدب قومي آخر عبر الترجمة. فحياة العمل الأدبي تكون في هذه الحالة بيد المترجم، الذي يستطيع أن يبعث في ذلك العمل حياة جديدة،أو أن يقتله."[1]

إن فعالية القراءة قبل الترجمة، يمكن أن تتضح بربطها بوقفتين نقديتين أخريين وثيقتي الصلة بها: التفسير والوصف. فتفسير نص من النصوص يشتمل استبدال نص آخر بالنص الذي نقرأه.

هذا البحث عن المعاني المخبوءة ذو تاريخ طويل، من التفسيرات المجازية للقدماء وحتى أنواع معينة من النقد التفسيري الحديث، ولا تعني نكرة النص إضافة

---

[1] -عبده عبود-عالم الفكر-م.س.-ص:142.

خصائص غريبة عن فكرة القراءة. فبالنسبة إلى القارئ ثمة مستوى واحد لا يمكن استبداله بآخر(مثلا "المخبوء" بدلا من "الحرفي") أو بالأحرى العلاقة بين المستويات تصبح نقطة الاهتمام من غير أن يصنف مستوى آخر. إن النص متعدد الجوانب.

وفي مقاربة نص معقد، لابد من أن يختار القارئ التأكيد على بعض النواحي التي تبدو له حاسمة. وهذه مسألة تتعلق بالمحاكمة الشخصية.

ليس ثمة أية قراءة "صحيحة" لأي عمل أدبي معقد، والحقيقة أن تنوع القراءات للعديد من الأعمال يعود إلى قضية اختيار النواحي الحاسمة التي يخلقها تنوع القراء جيث يقول تودوروف أنه فيما يتعلق بالقراءات النقدية لعمل من الأعمال لا نتحدث عن القراءات التي هي أكثر غنى، ومدى نجاح أو فشل براعة التخطيط وتطبيقه.[1]

- **أشكال النص والتعبير.**

إن الفنان المبدع المجدد لم يرفض القديم رفضا، كما يحلو للبعض، فهو يتعامل مع النص القديم ولكن في الصورة الحداثية، أي أنه يأخذ حريته من القيود–مثلا– العروضية التي أقرتها النصوص الشعرية أو القاعدة الشعرية القديمة، لكنه لم ينف نفيا قاطعا ونهائيا هذه البنى القديمة، ولهذا نراه يحافظ على جزئيات النص القديم، كأن يحافظ مثلا على الثقافية، فهو لم يتنصل من الشعر التقليدي الخليلي الأوزان، وإنما ربط الصلة به، وتجسد ذلك في استعماله التفعيلة.

إذ لم ينفر بدافع الطيش أو بدافع إثبات الشخصية، بل الموجة التجديدية هي التي فرضت نفسها عليه ودفعته إلى تكسير في قالب القصيدة القديمة، فجوهر النص هو

[1] -أنظر: روبرت شولز–البنيوية في الأدب–ترجمة:حنا عبود–م.س.–ص:164.

جوهر الإنسان، يمتثل دائما للتغيير المستمر، والتجاوز الأبدي سواء للمضمون أو للشكل.

وهنا تنصب المناقشة التي نعتقد أنها تخدم بحثنا هذا، والتي لا أظن أنها تتجسد فقط بين الموازنة من حيث الشكل وكيفية نقله إلى لغة أخرى، بل يتعداه إلى البنية والمضمون، إلى بناء المعنى و الدلالة، إلى التحقيق « La concrétisation »، إلى الخلفية التأويلية، إلى نظرية الأنظمة المفتوحة و المغلقة « Systèmes ouverts et clos »، إلى إلى سجل النص « le répertoire du texte »، أو إلى دور السجل « le rôle du répertoire »، إلى الاستراتيجيات التي تعتمدها عناصر العملية التواصلية الشفوية و المكتوبة « l'opération communicative orale et écrite »، إلى تبلور فكرة الذات القارئة.

إن همنا يتمثل في التعامل مع النص وكفى، لأن الحكم على أي شكل من الأشكال التعبيرية كونه يستوعب أو لا يستوعب الصور والمعاني والمضامين، هو حكم نسبي لا يقاس عليه.

- **لغة العرب.**

[لقد كان العرب يغيرون الحروف الأعجمية إلى حروف عربية، ومما لوحظ مثلا أنهم كانوا يبدلون صوت الباء فاء والهاء قافا أو جيما، فيقولون في: بستة- فستق، وفي بالوذة – فالوذج، ويقولون في -paradius فردوس، وفي إستبره – إستبرق، وربما قلبوا الخاء هاء كما في دراخمة التي صارت درهم، وهناك أمثلة كثيرة على إبدال أصوات أخرى، ولكن المتتبع للتبدلات الصوتية يجد أنها لم تجر على لسان الأقدمين

على قاعدة مطردة، ويبدو أن العامل الذي يتحكم فيها متغير في كثير من الأحوال، ومن ثم لم تطرد قاعدتها، غير أن هناك مقاييس عامة استقر عليها الأقدمون يمكن الاحتكام إليها في معرفة اللفظ الأعجمي، سواء عرب أم بقيت له عجمة ومن ذلك أنهم قالوا

- لم تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية، فمتى جاءتا في كلمة فاعلم أنها معربة، ومن ذلك كلمة (جر ندق): اسم
- لا تجتمع الصاد والجيم في كلمة عربية، فإذا اجتمعتا في كلمة فهي معربة، مثل : الجص. ولا في كلام العرب زاي قبلها دال و لذلك قالوا مهندز: مهندس
- ليس في أبنية العرب نون بعدها راء، وما جاء في ذلك معرب، مثل: نرجس.
- ليس في كلام العرب وزن فعلان، كـــ: خرا سان
- ولا وزن فاعيل، كـــ: قابيل و هابيل.
- ولا وزن فعاويل، كـــ: سراويل."[1]

إن الكتابة عمل تأسيس حضاري لم تتعرف عليه الشعوب البدائية، وبفضـــلها تـــدخل الأمم التاريخ من بابه الواسع، و الاشتغال على اللغة وبنية اللفظ من الأشـــياء التـــي

---

[1] -كارم السيد غنيم- عالم الفكر-م.س.-ص:58.

وانظر كذلك:-

-كتاب "المعرب" للجواليقي.

-كتاب "شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل" للشهاب الخفاجي.

-كتاب "الطراز المذهب في الدخيل والمعرب" لمحمد تمامي.

-كتاب "الدليل إلى مرادف العامي والدخيل" لرشيد عطية.

تظهر التقدم العلمي، والفكر المتفتح على المحيط، مما يدل دلالة قاطعة على أن الأمة تريد أن تصنع لسانية خاصة بها.

كان للمراحل الأولى للإسلام كتبة، أين تعلموا؟ وممن تعلموا؟ هل كانت لهم مدارس؟ بل كان هناك كتبة للرسول، يكتبون إلى الملوك ويجيبون على رسائلهم ويترجم بالفارسية والرومية والقبطية والحبشة"[1]

وقد اقترب الفكر العربي من الفكر اليوناني، فاعتقد العرب– مثلما اعتقد اليونانيون– أن الشعر "ديوانهم" ولهذا كان اليونانيون يرون أن أوميرس هو نموذج "التراث"، ولم يحد العرب عن هذا المعتقد، إلا حين رسخت لديهم العلوم ودربتها.

أما اليونانيون فقد تغير المفهوم لديهم قليلا بعد عصر الفلسفة، ولم يضع العرب واليونان حدودا فارقة في الشكل بين الشعر والنثر بحيث يفترقان في الجوهر والأصل، كلاهما ضرب من الكلام، يفرق بينهما الوزن، أو الوزن والقافية، حيث اختلطت صورة الشعر بصورة الخطابة لدى العرب منذ عهد مبكر، وقد حدث هذا في الأدب اليوناني ولكنه تأخر في الزمن نسبيا.

ونلاحظ أن بين قصص ألف ليلة وليلة والحكايات اليونانية مشابهة، إذ تعتمد كلتاهما على تجاوب محبين يطاردهما القدر، ويحكم على المحبين بالانفصال حتى يتاح للقصة أن تتحدث فيما بعد عن التئام شملهما أكثر من حديثها عن تطور عواطفهما.

ويلعب القدر هنا الدور الأكبر في الحالين، إذ يجعل من المرء ألعوبة مسخرة لتقبل النتائج، وفي التفصيلات خروج عن مقتضى [الحكاية] اليونانية، ونزوع إلى المفهوم

---

[1]-ناصر الدين الأسد– مصادر الشعر الجاهلي– دار المعارف– القاهرة– مصر– ط3–1966–ص:29.

الإسلامي حول تقلب الحظوظ وعدم ثبات الدنيا على حال، واستشعار الخضوع للقدر بدلا من الثورة عليه."[1]

وليس من شك في أن ما نسبه حنين إلى أوميرس وجده منسوبا كذلك، وأن إصطفن كان أمينا في ترجمته، وأن الاضطراب يعود أولا إلى المصادر التي اعتمدا عليها، فقد كانت من عادة النساخ إذا رتبوا أقوالا لأحد الحكماء أن يبدأوا باسمه عند أول قوله ثم يضعون بعد ذلك كلمة مثل"وقال" أو "وله" فإذا جاء ناسخ قليل الاعتناء وحذف الجملة الأولى، اضطربت النسبة، وأصبح كل ما يجيء بعد ذلك منسوبا إلى قائل آخر.

وإذا صح أن كلا من حنين و إصطفن قد ضللته المصادر الأصلية، فقد كانت صورة أوميرس الشاعر الحكيم توكيدا قويا لذلك التضليل، وهذا أمر لم يقتصر على أوميرس وحده[2]

- **بين الترادف و التطابق.**

إن مصطلح الترادف الذي لا يعني التطابق ، نجده في كثير من الأحيان يرد بنفس المعنى الدقيق، على الرغم من أن علماء اللغة والمشتغلين في حقول الترجمة، كانوا قد فصلوا القول في الفرق بين الترادف والتطابق. فلا يوجد كلمات متطابقة في اللغة الواحدة، فكيف يمكن أن نجدها بين لغتين أو أكثر، وهذه الإشكالية هي التي أثارت نقاشا حادا خلال الملتقى الثالث حول "الترجمة والاختلاف" والذي يقام سنويا في جامعة

---

[1] -أنظر: د.إحسان عباس- ملامح يونانية في الأدب العربي-م.س.-ص:178-182.

[2] -نفسه: ص:52.

وهران- الجزائر-[1]، والتي أدت إلى حد القول باستحالة الترجمة.[2] وهي الفكرة التي رسخت إشكالية تعدد الترجمات للنص الواحد. تقول سامية أسعد في هذا الصدد: إن العمل الأدبي الأصلي يحمل في طياته مشروع المستقبلية، إذ تعتبر ترجمته "قراءة" له، ومن ثم، تختلف باختلاف قرائه. وتلك هي القاعدة، من الناحية النظرية على الأقل.

لكن الترجمة الإبداعية حقا، ترجمة الكتاب الخلاقة، تعطي للنص صورة ثابتة يصعب التفوق عليها، وتبلغ بالنص المترجم مرتبة تجعله يبدو أجمل من النص الأصلي.

ولا تنتج مثل هذه الحالة الاستثنائية إلا عن التحام وانسجام تام بين الكاتب والمترجم."[3]

خلاصة القول تتمثل في أن النص الأصل يحمل في طياته كل دلالات النصوص الهدف، ومنه نثبت أن لاوجود لكلمات متطابقة بل يوجد كلمات مترادفة، فإذا جئنا إلى علم الرياضيات مثلا يمكن أن نقابل المصطلحين بالتشابه والتطابق، فنقول أن المثلث يشابه المثلث الآخر إذا احتكما لجملة من الخصائص والتي تختلف عن تلك التي بمقتضاها يتطابق المثلثان.

إن المفهوم في اللغة يقترب كثيرا من المفهوم في الرياضيات. والمخطط التالي يوضح ذلك:

المثلث (أ ب ج) يطابق المثلث (أ ب ج): لأن الزوايا أ ، ب ،ج تنطبق على بعضها. وأن الأضلاع: أب ، ب ج ، ج د ، تنطبق على بعضها، من هذا نستلزم أن المثلث هو نفسه يتكرر مرتين. ونفس الشيء في اللغة، فالمصطلح ينطبق على

---

[1] -يعقد هذا الملتقى مرة في كل سنة ابتداء من ماي 1995.وهو في عدده الخامس(ماي 1999).

[2] -أنظر:-Le Quotidien d'Oran-journal-du

[3] - سامية أسعد-عالم الفكر-مقال-ترجمة النص الأدبي-م.س.-ص:21.

نفسه، وإذا قمنا بعملية انسحاب- في نفس المستوي أو في مستو آخر- للمثلث أب ج، يتشكل لدينا المثلث أ بَ جَ، حيث يقول الرياضيون أن هذا الأخير ينطبق على المثلث الأول ويشابهه في آن واحد، واللفظ في اللغة كذلك ينطبق على نفسه ويشابه نفسه في آن واحد.

- **بين التشابه و التطابق.**

المثلث أب ج يشبه المثلث أدهـ ، انطلاقا من الخصائص التالية-: الزاوية أ مشتركة بين المثلثين.

القاعدة ب ج توازي د هـ . ومنه: الزاوية د تساوي الزاوية أب ج.

والزاوية هـ تساوي الزاوية أب ج.

نستنتج مما سبق:

أن المثلث أب ج يشابه المثلث أدهـ.

نلاحظ بأن المثلثين أب ج ، أدهـ غير متساويين، لأن الضلع أب من المثلث أب ج لا يساوي الضلع أد من المثلث أدهـ ، وكذلك الحال بالنسبة للضلع أ ج لا يساوي الضلع أهـ.

هذا ما يقابل عندنا في علم اللغة مصطلح الترادف، حيث إن اللفظ قد يشترك مع اللفظ الآخر في بعض الحروف ويكون مرادفا له، وقد يراد فه، وقد لا يشترك معه في أي حرف ويكون مرادفا له. وهي سمات خاصة باللغة، وبالنص الأدبي.

تقول سامية أسعد :

تعدد المعاني في النص الأدبي: فكلما كان العمل الأدبي غنيا تعددت معانيه وتفسيراته واختلف باختلاف قرائه، على عكس النص العلمي أو الفني الذي لا يحمل إلا معنى واحدا وتفسيرا واحدا،لأن لكل كلمة فيه معنى محدد.

عدم ارتباط النص الأدبي بزمن معين:فالأعمال الأدبية الكبرى تتخطى حاجز الزمان والمكان. وإذا كانت تترجم بصفة دورية أحيانا فمن أجل الحفاظ على معانيها بتجديد شكلها. ومن الناحية الثقافية،ترتبط الترجمة دائما بزمن وببيئة بعينها. نقل النص الأدبي لقيم عالمية شأنه في ذلك شأن أي عمل فني، وهذه الميزة هي التي تجعله يقاوم الزمن، فنحن لا نقرأ الأعمال الأدبية المترجمة لأنها تشتمل على قيم جمالية فحسب، وإنما نقرأها أيضا لأنها تعالج قيما عامة لا تبلى كالحب، والموت، والدين، وشقاء الإنسان وقلقه...][1]

- **الصورة بين النص و الترجمة.**

إن لكل نص خصائص يتميز بها، ومن المستحيل أن نطبق طريقة واحدة حين دراسة عدة نصوص، أو ترجمتها، وإلا انصاع الدارس أو المترجم إلى عملية الإسقاط من الخارج إلى الداخل، وتصبح الدراسة أو الترجمة تقريرية سطحية إنشائية بصيغ مألوفة،لا يبذل الدارس أو المترجم أي مجهود لإظهار خبايا النص.

وهذا ما طبع الكثير من الدراسات النقدية وبعض الترجمات من اللغات الأوربية إلى اللغة العربية، بطابع تزييني زخرفي تكلفي فيه الكثير من الصنعة، ويبعد عنه

---

[1] -سامية أسعد-ن.م.س.-ص:16-17.

لجانب الخلاق الإبداعي، والأمانة الترجمية، بدلا من الصبغة التجديدية على الجوانب اللغوية والإيقاعية في النص العربي.

انطلقت الصورة، في النص الإبداعي، تبحث عن ذاتها في فضاء إنساني كبير، يعكس صفاء الذات الإبداعية حيث " يجري الكاتب عملياته بواسطة المفاهيم بينما يجريها الناقد بواسطة العلامات وأن بين المجموعتين اللتين يستخدمانهما تفاوتا على محور التقابل بين الطبيعة والثقافة لا يدرك إذ أن واحدا على الأقل من وجوه التقابل بين العلامة والمفهوم يقوم على أن المفهوم يريد أن يكون شفافا تماما اتجاه الواقع في حين إن العلامة تقبل لا بل تتطلب أن يندمج الواقع ببعض الكثافة الإنسانية.[1]

وهو النوع القليل جدا في التراث الإنساني فعمق الأشياء يعيش في داخل المبدع والمترجم فكلما كانا بسيطين يحاوران نفسيهما بكل حرية وواقعية، كانا إنسانيين يعكسان الواقع الموجود في حدوده الجغرافية، ويتعدى في الوقت نفسه إلى حدود أخرى إنسانية عالمية فيذوب المبدع في الآخر وتصل العملية الإبداعية أوجها، ويذوب المترجم في صاحب النص وتخلص الترجمة إلى اكتمالها، فحينها نلمس الجديد انطلاقا من الموروث الإنساني واعتمادا عليه، كخلفية مرجعية ارتكازية.

ورغم هذا الاعتماد والارتكاز إلا أن الدارس والمترجم يقف كل واحد على حقيقة جديدة غير ثابتة، انطلاقا من عملية التفجير الطاقوي للكلمة قصد الوصول واستكشاف الخفايا التي يحملها اللفظ لحظة الإبداع ولحظة الترجمة.

---

[1]-جان ماري أوزياس وآخرون-البنيوية-ترجمة: ميخائيل فحول-منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي-1972-دمشق-سوريا-ص:350.

الجانب الخلاق الإبداعي، والأمانة الترجمية، بدلا من الصبغة التجديدية على الجوانب اللغوية والإيقاعية في النص العربي.

انطلقت الصورة، في النص الإبداعي، تبحث عن ذاتها في فضاء إنساني كبير، يعكس صفاء الذات الإبداعية حيث " يجري الكاتب عملياته بواسطة المفاهيم بينما يجريها الناقد بواسطة العلامات وأن بين المجموعتين اللتين يستخدمانهما تفاوتا على محور التقابل بين الطبيعة والثقافة لا يدرك إذ أن واحدا على الأقل من وجوه التقابل بين العلامة والمفهوم يقوم على أن المفهوم يريد أن يكون شفافا تماما اتجاه الواقع في حين إن العلامة تقبل لا بل تتطلب أن يندمج الواقع ببعض الكثافة الإنسانية.[1]

وهو النوع القليل جدا في التراث الإنساني فعمق الأشياء يعيش في داخل المبدع والمترجم فكلما كانا بسيطين يحاوران نفسيهما بكل حرية وواقعية، كانا إنسانيين يعكسان الواقع الموجود في حدوده الجغرافية، ويتعدى في الوقت نفسه إلى حدود أخرى إنسانية عالمية فيذوب المبدع في الآخر وتصل العملية الإبداعية أوجها، ويذوب المترجم في صاحب النص وتخلص الترجمة إلى اكتمالها، فحينها نلمس الجديد انطلاقا من الموروث الإنساني واعتمادا عليه، كخلفية مرجعية ارتكازية.

ورغم هذا الاعتماد والارتكاز إلا أن الدارس والمترجم يقف كل واحد على حقيقة جديدة غير ثابتة، انطلاقا من عملية التفجير الطاقوي للكلمة قصد الوصول واستكشاف الخفايا التي يحملها اللفظ لحظة الإبداع ولحظة الترجمة.

---

[1]-جان ماري أوزياس وآخرون-البنيوية-ترجمة: ميخائيل فحول-منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي-1972-دمشق-سوريا-ص:350.

إن اللغة لا تعتمد على الخرق الآلي الواعي، وإنما هي تفجير للطاقة الإبداعية الأولى والطاقة الإبداعية الثانية والمتمثلة في الترجمة، حين تتعدى – اللغة – المعنى السطحي القاموسي الذي وضعت فيه، وهي ظاهرة يكتسبها كل من المبدع والمترجم انطلاقا من التجربة الشعورية الإحساسية بالأشياء. فمهما كان الموضوع بسيطا طبيعيا فالمبدع يجعله متعد إلى عوالم أخرى، بخلاف الإنسان العادي الذي يرى الأشياء في مادتها الجامدة. ويمكن أن أعبر عن ذلك بأن المبدع والمترجم كل يحس المادة وما وراء المادة، فمحمود درويش يرى غصن الزيتون ويجسده في السلام والأمن و الاستقلال و الإنعتاق والحرية، بخلاف الفلاح العادي–الإنسان العادي – الذي يراه منتجا لحبات الزيتون – فالعلاقة بين الشاعر المبدع والغصن تختلف اختلافا كليا عن العلاقة بين الفلاح وغصن الزيتون.

الفلاح___الإنتاج__غصن الزيتون___الشاعر___السلام___المترجم.

يرى الفلاح غصن الزيتون من خلال الإنتاج المادي. ويرى الشاعر السلام من خلال غصن الزيتون، (لحظة الإبداع) فالسلام يتم انطلاقا من استعمال الرمز غصن الزيتون، ولا يزال واقعا ماديا عند الفلاح، رغم أن كلا منهما يعتمد الإنتاج المادي في حياته.

يرى المترجم السلام فقط ، وما قد يحمه السلام من مرادفات لغوية، في إطار الحقل الدلالي.

من هنا يمكن أن نستنتج أن العملية الإبداعية– الشعرية هنا– لا تتم في قصد محدد يغلب عليه جانب الوعي بالملموس فقط، بل تتم في روح من التسامي والعفوية

والإلهام اللاواعي، وهنا تتجسد – كذلك – فكرة الإبداع، بكل أبعادها، ومن خلالها إشكالية الترجمة، وهنا كذلك يمكن أن نصنف الفئات الكبيرة من الفنانين الذين غطوا المساحة الإبداعية عبر التاريخ الإنساني، باعتمادهم على عملية الانسجام التام سواء على مستوى اللغة، انطلاقا من الحرف والكلمة والجملة أو على مستوى الإيقاع الموسيقي الذي يتجسد في أرقى صوره التي لا تعتمد التكلف والصنعة.

وعموما فإن على الباحث أن يخلص من خلال دراسته إلى نقاط مضيئة لها أبعادها الإبستمولوجية التي إذا خلا منها النص صنف في خانة اللا نص." فالحديث المستفيض عن الورد والزهر والينابيع والأشجار ومواطن الذكريات الغزيرة في الشعر الأندلسي، لا يشكل خصوصية فريدة، تخرج به عن دائرة الشعر المشرقي أو العالمي، وأيضا فإن الحديث عن الحانات والقيان والخمرة، والغزل الداعر في الشعر العباسي لا يشكل تلك الخصوصية التي اعتدناها من خلال قراءاتنا لبعض كتب تاريخ الأدب التي تعتمد التفرقة والخصوصية في التقسيم والتبويب.[1]

إن الجدير بالملاحظة هنا هو ليس الموضوع في حد ذاته فقط الذي تريد أن تظهر الدراسة أو الترجمة في النص، وإنما ما يثيره عمق الحدث من انفجارات لفظية بطاقة خلاقة، تبني النص بناء معماريا جميلا، فوقفة الشاعر الجاهلي على الطلل، أو وقفة الشاعر العباسي على باب كأس خمرة يرتشفها أو يتصور ارتشافها فقط، حيث يرى من خلالها عوالم أخرى قد تصل إلى فلسفة الواقع وما وراء الواقع، أو وقفة شاعر أندلسي يناجي حمامة تقف في نافذة زنزانته.

---

[1]-د.أحمد الطريسي أعراب-الرؤية والفن في الشعر العربي الحديث بالمغرب-ص:312.

فسواء عند دارس النص أو مترجمه، فكل هذه الموضوعات تطرح إشكاليات وجب استكشافها بأبعادها الدلالية، استنادا إلى التاريخ، وإلى المناهج التي تختص في عمليات التفكيك وإعادة التركيب، أو إلى الأسلوبيات التي تعتمد النصوص على اختلافها كقاعدة منطلق درس مقارن بين اللغات.

إنه ورغم تناقص وتباعد المواضيع فحين ننظر إلى البناء المعماري للقصيدة نكتشف مدى إلحاق النظرة الجمالية التكسيرية للغة، هي التي ينبني عليها الحكم القطعي، ويترك الباقي لمؤرخ الأدب ليستكشف عوالم العلاقة بين الحياة الطبيعية العادية الواقعية وما قدم كمضمون في قصيدة ما.

فللشاعر كامل الحرية في اختيار الشيء الذي يرتكز عليه لتبيان صورة من الصور، فيمكن أن يختار الوردة كما يمكن أن يختار الناقة أو الصحراء أو البحر، فلا دخل لدارس أو مترجم النص في ذلك، فما هو مهم ذلك العمق الذي يتوغله الشاعر قصد الوصول إلى الصورة من خلال اللغة، وعليه"اعتبر دو سوسير أن العلاقة بين الدال والمدلول أحد المبادئ الأساسية للبنيوية، هذا المبدأ يقع في أساس بنية الأنثروبولوجية لدى ليفي ستروس. والأفكار القبلية التاريخية عند فوكو، واللاشعوري لدى لاكان، ونظرية (الموضة) لدى بارط، هذه الأنماط المختلفة يوحدها البحث العقلاني في منظومة الدلالات ونماذج الأدوات المنطقية – المنهجية، هذا الطرح العقلاني – العلمي هو المدخل لوضع وحل المشكلات الفلسفية

الأساسية: مشكلة الإنسان وعلاقته المتبادلة بالعالم، وتناقضات البنية- التاريخ، الذات – الموضوع...[1]

تتدعم هذه الفكرة و تتضح حسب اعتقادي أثناء وقفة القارئ المترجم أمام النص مندهشا من الصورة المستقلة الغريبة، التي شكلها المبدع بعيدا عن الظروف الزمانية التي تولدت فيها، وعن الظروف المكانية التي ساهمت بطريقة أو بأخرى، في تأسيسها.

هذا الإدهاش يجب أن ينطلق من أعماق النص، بعيدا حتى عن صاحبه الذي كان هو السبب في وجوده، ومنه لا يستطيع هذا القارئ أن يرد هذا الإبداع إلى صاحبه أو إلى الفترة التي ولد فيها أو إلى الظروف التي قيل فيها. فهو لا يرى انحدارها الزمني أو المكاني، بل يرى انحدارها اللغوي الذي ساهم في البناء الكامل المتجسد في النص الكامل، ومنه تتولد العلاقة بين الإنسان والواقع – أي الإنسان وأي واقع – وهنا تكمن الحقيقة الإنسانية الكاملة، لا الحقيقة الخصوصية.

و لتتضح الفكرة أكثر نأخذ نموذجا من التوظيف الذي اعتمده الكثير من الشعراء، ويتمثل في توظيف الأسطورة في الأشعار، وهو موضوع يجب أن يؤخذ من باب الإضافة و الاستكشاف، فالمبدع لا يسمى كذلك إلا إذا أضاف معنى جديدا لهذا التوظيف الأسطوري ، مثلا، وليس مجرد أسماء أساطير في قصيدة ما، إذ الأمر يتعلق بقصيدة الرمز أو قصيدة الأسطورة عندما يكون المبدع شاعرا، ولا يتعلق أبدا بالأسطورة أو الرمز أيا كان، لأنه يمكن تلمس ذلك مباشرة من هذه الأسطورة

[1] ت.أ.ساخاروفا-من فلسفة الوجود إلى البنيوية-ص:167.

أو من هذا الرمز، وهذا هو مفهوم النسق الذي يتحد " في نظرنا للبنية ككل، وليس في نظرتنا إلى العناصر التي تتكون منها وبها البنية، ذلك أن البنية مجموع هذه العناصر، بل هي هذه العناصر بما ينهض بينهما من علاقات تنتظم في حركة. العنصر خارج البنية غيره داخلها. وهو يكتسب قيمته داخل البنية وفي علاقته ببقية العناصر أو بموقعه في شبكة العلاقات التي تنظم العناصر والتي بها تنهض البنية فتنتج نسقها".[1]

من هنا يظهر جليا أن البنية الشعرية أو بنية النص الشعري، لا تعتمد العنصر خارجا عنها، وعلى القارئ وعلى المترجم أن يعتمداه كذلك، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أرى أن البنية لا يمكن أن تعتمد عناصر رئيسية وأخرى ثانوية، بل يجب مراعاة كل العناصر المكونة للنص، وأن ينظر إليه في شموليته كاملة،لأنه – حسب اعتقادنا واطلاعنا– إن النظريات التجزيئية للنص أثبتت عجزها في فهمه أو فهم بنائه المعماري.

نخلص إذن إلى أنه لكي ندرس النص قصد الترجمة أو قصد النقد، وجب اعتماد ثلاثة مستويات بنائية وهي:

الرمز الصورة الموسيقى

وهي التي تضبط نسق النسيج اللغوي، وعلى المترجم أن يتبع الخطوات العلمية قصد الوصول إلى هدفه المتوخى، يدخل إلى النص بدء بأول خطوة والمتمثلة في التحضير للعمل أو خطوة ما قبل الدخول إلى المختبر، وفي خطوته الثانية يتعمق

---

[1]-بنى العيد-في معرفة النص-دار الآفاق الجديدة-بيروت-ط3-شباط198-ص:32.

في تحليل البنية معتمدا على الملموس وعلى الفضاءات التي توصل إلى النتيجة، اعتمادا على معرفة القوانين التي يرتكز عليها لكي ينتقل من باب إلى باب ولا يجب أن ينفي على أي نص بنيته"فكل شيء إلا أن يكون معدوم الشكل تماما له بنية"[1] وهنا وجب أن نشير إلى إمكانية المترجم في تعامله مع النص، وما هي حدوده المفروضة؟" حيث يجب على المترجم ، حيثما يرى النص الأصلي غامضا أو مشكوكا في معناه أو محتملا لمعنيين، أن يختار المعنى الأنسب لسياق الكلام في القطعة بكاملها والأقرب إلى مزاج الكاتب الأصلي، أما محاولة تقليد غموض الأصل وإبهامه فأمر معيب قد يدل على عدم فهم المترجم للنص الأصلي على وجهه الصحيح.

ويجوز للمترجم أن يضيف إلى المعنى الأصلي شيئا من عنده لتقويته وهو ما يعرف بالمعنى المضاف إضافة تركيبية (Supperadded ideal) ، أو يحذف معنى ثانويا لا رئيسيا فيما إذا وجد أن ذلك يضعف من قوة النص الأصلي وعلى المترجم في مثل هذه الأحوال أن يستعمل الحكمة في الزيادة والحذف، وأن يتخذ دور المؤلف الأصلي الذي يحاول تنقيح كتاباته لإخراجها بحلة جديدة."[2]

هي ذي مهمة المترجم، والذي أسميه بالمبدع الثاني، فهذا التصرف في النص – إن صح التعبير– لا يعتبر خيانة له بالمفهوم الإيطالي المعروف الذي مفاده أن كل ترجمة خيانة، ومنه يمكن أن نلتمس أن النص سواء في القديم أو في الحديث،

---

[1]-جان ماري أوزياس وآخرون-البنيوية-ص:10.

[2]-د.صفاء خلوصي-م.س.-ص:15-16.

يتكون حقيقة من بنية شاملة ومن مضمون شامل أيضا، فالبنية القديمة اعتمدت العناصر المعروفة المتمثلة في الجوانب البلاغية، فكل خروج ولو جزئي عن كلية النص يخرج بالترجمة عن جادتها، وتبعد المترجم عن الوقوف على كافة العناصر التي تدخل في البناء الكلي للعمل الإبداعي. ذلك أن النص إذا وقف به صاحبه- مبدعه – عند عنصري الانعكاس والتركيب فإن خصائص الواقع ستظهر بارزة من خلال توظيف اللغة بعناصرها.

ويصبح النص بالتالي لونا من الكشف عن الأعماق الكلية، قد يجد كماله عند المترجم الناقد الحاذق، حيث يبرز في شكل عناصر معقدة متشكلة من واقع الإنسان الشامل، فانطلاقا من الخلفية الحضارية التي تعتبر من العوامل الأساسية، والركائز الجديدة التي دعت إلى بروز النص الجديد- الشعري والروائي على وجه الخصوص – في البلاد العربية، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، حيث احتك المثقف العربي كثيرا بالمثقف والثقافة الأوربية.

إن المترجم فرد من المجتمع، يتأثر بما يتأثر به أفراده، ويهدف إلى ما يهدفون، فهو يعبر عن مشاعره التي هي في الأصل مشاعر مواطنيه والتي تختلف جذريا عن مشاكل المجتمع القديم، وهو بذلك جاء إلى شكل جديد في النص، أو إلى أشكال جديدة، انطلاقا من مضامين جديدة، وقوالب ومنظومات جديدة.

إذن فالخلفية الحضارية بالنسبة للمجتمع هي الواقع المادي أساسا، إضافة إلى الواقع النفسي والفكري، وكلها تعتمد على الخلفية الحضارية البعيدة، التراثية خاصة، رغم التباين، فإن الأمر استلزم في نظر الكثير من المشتغلين على علم المعرفة وعلى

الإبداع استلزام تعبير جديد تمثل في النص الحر في الشعر وفي القوالب النثرية الأخرى، التي تعتبر انعكاسا للمجتمع العربي المعاصر في النص العربي الذي أصبح يبحث من جديد عن نفسه وعن ذاته الأدبية وسط هذا التفاعل والغليان العالميين في مجال الإبداع وتطوره السريع، وكسره للحدود القائمة بين أجناسه، أي في ظل هذه التحولات التي طرأت على الفكر الإنساني.

ففي فرنسا، خاصة مع بحوث بنيكو، و لوفيفر، و لوسيان غولدمان، وبعض أساتذة السوربون و بوردو وجامعات أخرى، وانطلاقا من الأدب المقارن والترجمة واللذان لعبا دورا هاما في التعريف بالآداب الأخرى، حيث لا يجب أن نغفل الدور الذي لعبه جون بول سارتر، والذي أولى اهتماما بالغا للظروف الاقتصادية والاجتماعية وعلاقتها بالنص الأدبي، عندما بحث وعمق فكره الفلسفي في إشكالية النص.

وهي الإشكالية التي لا مفر منها بالنسبة للمترجم المشتغل على النص الأدبي، وهنا تكمن المفارقة لأن الإشتغال على النص الأدبي من منظور النظرية الترجمية هو اشتغال على النص اللا أدبي، إن صح هذا التعبير، فيجب على المترجم خاصة مترجم النص الأدبي، أن يعتمد على المفاهيم والمصطلحات المستعملة في النقد الأدبي وفي الأدب المقارن. مهما كانت هذه المصطلحات لسانية أو بنيوية أو أدبية.

ولهذا يؤكد المختصون التربويون على دمج مادتي النقد الأدبي والأدب المقارن وعلى أن يخصص مجال واسع للدراسات الحداثية المتمثلة في الإشكاليات التي طرحها ويطرحها عامل المصطلح على ميدان الترجمة، ولم لا تخصص حصصا

تدريبية للطلبة قصد التمكن من ما وصل إليه هذا الموضوع الذي ما زال يشغل الساحة المهتمة بالترجمة على الصعيد العالمي، إذ على المترجم أن يعي- المصطلحات النقدية الأدبية واللسانية والبنيوية وخصوصيات درس الأدب المقارن، ومنها يقترب من ثلاث صور نجدها متكاملة في النصوص الإبداعية :

الصورة الرؤي / الصورة النموذج / الصورة الوثيقة.

وهي الصور التي تجمع قواعد النص الإبداعي بكيفية مستمرة تتألف وتتآلف وتتجدد بتجدد وتعدد القراءات النقدية والترجمة. إنه وحسب اعتقادي، لون من التشكل الجديد الذي يحمل الثراء في الصورة التعبيرية الفنية وفي القوالب الإلزامية. حيث تبلغ الصورة عند الإنسان المبدع حد الروعة والإدهاش من خلال العلاقات والرموز والاستعارات والكنايات والتشبيهات التي تتميز ببنائها الخاص ومنطقها المتميز وعوالمها الفريدة.

إن الإبداع كشف عن الحقيقة، وإن الترجمة كشف ثان عن هذه الحقيقة، وهي- الترجمة- بحث مستمر عن المعنى لا ينتهي أبدا, هي عملية خيانة أو عملية أمانة جزئية.

فكلنا يرى الشجرة أو الوردة أو البحر، ولكن المبدع هو الذي يراها حقيقة، فالوردة ليست وردة وكفى، بل هي الحبيبة والأم والوطن...سواء جسد هذا الرمز في النص الشعري أو في أي نص آخر ما عدا النص الذي يتناولها على حقيقة الدرس العلمي التشريحي، والذي يسميه منظرو الترجمة النص البراغماتي.

4- تشاكلات وأسس حركة النص.

إن الأداة الطبيعية تعرف سمات التغير والثبات في محيطها، وهي تتمرس على النحو"الصحيح" بوسائطها" كما تتعلم السلوك بما تقتضيه موضوعات البيئة الغريبة عليها. وإنها لتجيد، ولابد لها من أن تجيد هذا اللون من التوافق العلمي لما تفرضه طبيعة الموقف الموضوعي. فالفهد يهم بالقفز على فريسته بعد أن يقدر البعد الذي يفصله عنها. والطيور تهتدي إلى عشها. وكذا النحل إلى خليته التي ربما تزحزحت بعض الشيء أثناء غيابه عنها. ولكن هذا كله لا علاقة له بالإدراك الموضوعي للأشياء المحيطة بالطير أو الحيوان. فهو وإن تكافأ مع السلوك الواجب اتباعه إزاء موضوعات البيئة – ولولاه ماذا يكون مصير الطير والحيوان؟- إلا أنه لا يساوي ذلك السلوك. فالقدرة على الإدراك الموضوعي تقتصر على الكائن الحي الناطق.

إن كل لغة قفص ننظر كالمساجين من وراء قضبانه إلى عالم خارجي خداع. وكل ترجمة – كما يقال بالإيطالية – تخون الأصل[1].Traduttore traditore فإذا كنا نتسامح مع بعض من حملوا هذه الفكرة فإننا لن نرضى أن يكون المترجم كذلك إذ عليه أن يعرف النص بجميع جوانبه خاصة اللغوية.

وإذا كانت هذه النظرة سائدة فهذا مرده إلى الظروف التاريخية التي عاشتها هذه الرقعة الجغرافية ، ومدى تأثيرها على الظروف الثقافية. ولكن هذه الحركة بدأت تتململ وتحاول أن تساير العصر من خلال اشتغالها على مراجعة الوثائق القديمة، مثلا

---

[1]-أنظر: هلموت بلسنر-الإنسان بوصفه كائنا حيا-مقال-ترجمة: مجدي يوسف-فكر وفن-عدد:13-1969-ص:6.

مراجعة القواميس الإبداعية في إطار اللغة العربية، وتعاملهم مع المدارس اللغوية الحديثة التي عمت نظرياتها ومناهجها العالم.

وأعتقد أن الفكرة السوسيرية المتمثلة في الثنائية:التعاقبية Diachronie و التزامنية Synchronie أتت أكلتها، وتأكد لدى المشتغلين على النص في الوطن العربي إلى ضرورة نبش التراث وإعادة قراءته، ونفضوا الغبار أو بدءوا ينفضونه عن تراثهم المدفون بين دفات الكتب الصفراء، تتآكل حواشيه ومضامينه.

ومن جهة أخرى استوعبوا فكرة" أن الواقع الاجتماعي هو الذي يحدد الواقع الأدبي وبالتالي النوع الأدبي السائد، باعتبار الأدب انعكاسا للشروط التاريخية و الاجتماعية والمرحلة الحضارية المعاشة."[1]

إن تحديد الواقع الأدبي بهذا الشكل، أي اعتمادا على الواقع الاجتماعي، هو منظور نقدي قائم بذاته، وله آلياته التي يشتغل بها، ارتكز عليها النقد الأدبي العربي منذ نشأته وإلى الآن. ورغم ذلك فأعتقد أن العملية الإبداعية ومن ورائها العملية الترجمية تتنبأ بالواقع الاجتماعي، أي أنها تسبقه من حيث الزمن، ولنا في الآداب العالمية عبرة ومثالا (ثورة 17 أكتوبر في روسيا)، وهو كذلك ما حدث في الأدب العربي، وهو الذي تعرض لتحديين واجها المجتمع، وبالتالي الفرد.

الأول يتمثل في التحدي الاستعماري الذي استهدف الذات والكيان العربي، وحاول تدميره، أما الآخر فتمثل في التحدي الاجتماعي، والمتجسد خاصة في الفقر والجهل،

---

[1]-محمد عزام-م.س.-اتجاهات القصة المعاصرة في المغرب-مطبعة اتحاد الكتاب العرب.

وما يترتب عنهما من ظواهر اجتماعية، أساءت اجتماعيا وبلورت أفكارا إبداعية من جهة ثانية.

و في ظل هذين التحديين دأب الأدب العربي إلى مقاومة الدخيل، حيث ظهرت إبداعات كثيرة، تحت أسماء صريحة وتحت أسماء مستعارة، تظهر الظلم الاستعماري وتردي الأوضاع الاجتماعية نتيجة ذلك الظلم. وكمثال عن ذلك رمزيات الدكتور طه حسين وثورته على القديم، خاصة في عمليه " في الأدب الجاهلي" وفي "جنة الشوك"، حيث يتعرض في هذا الأخير إلى غياب العدالة، وسوء التعليم المتمثل في النظام السيئ والعدوان الاستعماري على الحريات الفردية والجماعية، وتفرق كلمة الشعب التي كانت موحدة.

إن أغلب الآداب الرائدة في البلاد العربية تعتمد السهل الممتنع، فما موقف الترجمة من هذا الأسلوب؟ تقول الدكتورة صفاء خلوصي:" وعندنا إن ترجمة الكلام المزخرف أيسر من ترجمة " السهل الممتنع " لأن في الأول خصائص تبرز للعيان فيتشبث بها المترجم بينما في الثاني تكون المميزات خفية لا يشعر بها إلا من أوتي إدراكا خاصا لهذا اللون من النثر.

وهناك نوع من الإيجاز يصعب ترجمته وهو ما يعرف "بالإيجاز ذي الثغرات Laconic brevity حيث لا تجد أي حشو وفي الوقت ذاته لا تشعر بأية حاجة إلى المزيد من الألفاظ وليس بمقدورك أن ترفع لفظة أو تزيد أخرى دون أن تخل بجمال التركيب أو روعة المعنى. ومن هذا النمط هو القرآن، ولنا رأي خاص في ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية إذ أن الترجمات الحالية لا تفي بالغرض فيجب والحالة هذه أن يترجم

ترجمة تفسيرية Paraphrastical ولاسيما في المواضع التي تضيع فيها روعة الأصل لعدم تحمل اللغة المنقول إليها بلاغة القرآن وإعجازه."[1]

وتعليقا على هذه الفقرة نقول: إن النص الإبداعي مهما كان، نجد حين قراءته فجوات بيضاء، تركت عن قصد أو عن دون قصد، من قبل المبدع وعلى القارئ أن يملأها. هذه الفجوات التي تتأتى من العلاقات القائمة بين الأديب والحياة المحيطة به كما سبق وأن وضحت.

إن الإفصاح والكشف عن الذات وعن المشاكل المرتبطة بالواقع، والسعي لتحسينه، بطريقة شاملة وجذرية، حيث واقع النص الإبداعي عاجز أمام الوضع العام على توفير الحل أو رسمه أو التعبير عنه بصفة كاملة، بل العكس يبقى النص مفتوحا للقراءات وللترجمات وما هي إلا مكملا للنص الأصل.

إن التشاكلات المكونة لهذا الفضاء هي الأسس التي تحرك الفن، وترسم الخلفيات الحضارية، والترسبات الفكرية التي يمكن أن تظهر كبنيات سردية في النص الإبداعي، بجميع أشكاله، الشعرية و القصصية و الروائية و المسرحية.

وهي التي يسميها الدكتور عبدالسلام المسدي، سلم المضمون النقدي الذي يجسده في استحداث مقولات الاستكشاف عند تحديد موضوع المباشرة النقدية في النص المنقود، ونضيف إلى هذا سلم المضمون الترجمي ثم استنباط قوالب النقد والترجمة المتمثلة في الوصف وفي أجهزة التشخيص وأدواته بغية رسم معالم الخطاب الأدبي، وبغية إيصال هذا الخطاب عن طريق الترجمة إلى الآخر في اللغة أو اللغات الأخرى.

---

[1]-د.صفاء خلوصي-م.س.-ص:49.

وبعد ذلك ينتهي السلم إلى ابتكار أدوات المزاوحة بين التحليل والتأليف، حتى يتسنى إجراؤهما على بنية النص بفك انتظامه الظاهري ثم إعادة بنائه أو تشاكله طبقا لعناصر الجهاز النقدي المبتكر[1].

ويظل هكذا البناء الفني، بين مد وجزر، بين قبول ورفض، من حيث تحديده، بين النقاد من جهة والمترجمين من جهة أخرى. فهذا فريق يحاول جهده الوقوف عند بعض العناصر التي تجعله محدودا بمعالم، يفترض في المبدع معرفتها مسبقا، قبل الولوج في العملية الإبداعية، وهي فكرة واعية عقلية، وفريق آخر يرفض القوانين أو تقنين القواعد التي تعتمد من قبل المبدع، ولا يريد هذا الفريق تقييد المبدع، أو تعبيد طريقه، والحكم على كل من نزح عنها أنه ابتعد عن فن الإبداع.

إنهم يعتمدون مبدأ الحرية، الذي يترك المجال مفتوحا للإبداع في قوال يختارها الفنان بكل حرية دون التقيد بالمصطلحات القديمة، المتداولة بين النقاد كلاسيكيي النظرة، وبين المترجمين المعتمدين على الترجمة القاموسية الاصطلاحية الجافة.

إن الموقف النقدي من جهة والترجمي من جهة ثانية يؤكد شيئا- أراه أساسيا في العملية الإبداعية – وهو أن العناصر الفنية ليست قواعد مسلم بها، متفق عليها بين المبدعين من ناحية والمترجمين من ناحية أخرى، بل هي حاجات النص، ومتطلباته الآنية قصد إثراء الفكرة، وملء الفجوات البيضاء، وهي تبدأ مع بداية النص وتنتهي مع نهايته التي هي بالنسبة للمشتغل عليه بداية أخرى لنصوص أخرى.

---

[1]-أنظر:د.عبدالسلام المسدي-النقد والحداثة-دار الطليعة-ط:1-بيروت-ديسمبر 1983-

أعتقد أن هذا الطرح يبقى ناقصا إذا لم نتطرق إلى البنية السردية ووحداتها الأساسية والمتمثلة أساسا في الحوار والمونولوج، وكذلك من حيث البنية الزمنية والمكانية، إلا أننا نلمس اجتهادا أو تطورا نقديا يطمح إلى إثارة الجدل حول الحدود الفضائية للنص الأدبي.

يقول عباس محمود العقاد حين عرض نهجه في ترجمة قصة فكاهية للكاتب الأمريكي مارك توين Mark Twain أما طريقتنا في الترجمة فهي مراعاة الأصل غاية المراعاة ما لم يكن حشوا لا محل له من باب المعنى من الوجهة الفنية، ففي هذه الحالة نكتفي بالمفيد، ولا نلتزم الحشو وهو لا يزيد في الكتاب كله على بضعة أسطر...وقد أردنا ترجمة صادقة في نقل العبارة بمعانيها وظلالها، ولم نرو نسخا كنسخ الوراقين Copyism من لغة إلى أخرى. فمن سمى ذلك نسخا أو مسخا، فقد أصاب التسمية."[1]

هذا الرأي يقودنا إلى التعمق في إشكاليات وتصنيفات خطاب النص الأدبي الذي نعتبره فضاء متحركا انطلاقا من خلفيات مرجعية متداخلة، بقوالب غير مليئة بالحشو والإطناب الذي يعتبر عنصرا من العناصر الجميلة المكونة للنص الأدبي، أو الخطاب بشكل عام، والذي يدخل ضمن الفن السردي بعنصره المركزي المتمثل في اللغة والدلالات التي تحملها، فهو– الخطاب الأدبي– خلق لغة من لغة أخرى، أي أن صانع الأدب ينطلق من لغة موجودة فيبحث فيها عن لغة وليدة هي لغة الأثر الفني، ويعتبر

[1]-عباس محمود العقاد-ألوان من القصة الصغيرة في الأدب الأمريكي-القاهرة-1954-المقدمه-(القصة في الضفدعة النطاطة المشهورة.)

هذا التعريف فكا لإشكالية الوجود و العدم، فالحدث الأدبي "خلق" ولكن الخلق متعذر إذ لاشيء يخلق ولاشيء يفنى، وكل موجود متحول، فالخطاب الأدبي تحويل الموجود.

- عمر فروخ و عملية النقل عند العرب.

يقسم عمر فروخ عملية النقل عند العرب إلى طريقتين:-

أ- الطريقة اللفظية:

وهي طريقة يوحنا بن البطريق وعبدالمسيح بن الناعمي الحمصي، وذلك أن يأتي الناقل إلى النص وينظر في كل كلمة بمفردها ثم يضع تحتها مرادفها حتى ينتهي من جملة ما يود نقله.

هذه الطريقة رديئة لوجهين:

أحدهما إن كثيرا من الكلمات في كل لغة لامرادف لها في سائر اللغات، ثم إن لكل لغة تركيبا إسناديا (تركيبا للجمل) يخالف سائر اللغات، أضف إلى ذلك أن المجازات والتشابيه والإستعارات تختلف بين لغة ولغة.

وكانت المشكلة الكبرى أن النقلة لم يكونوا يستطيعون النقل من اليونانية إلى العربية رأسا، فكان بعضهم ينقل الكتب من اليونانية إلى السريانية، ثم يأتي آخرون ينقلونها من السريانية إلى العربية من جديد. ولكي ندرك سيئات هذه الطريقة نضرب المثل التالي: للروائي الإنجليزي مسرحية إسمها هملت فيها شطر من الشعر سننقله بالطريقة اللفظية، ننقله إلى الإفرنسية ثم من الإفرنسية إلى العربية (كما كانت الكتب الفلسفية تنقل أحيانا من اليونانية إلى السريانية ثم من السريانية إلى العربية).

To be, or not to be: that is the question.

Être ou ne pas être : c'est la question.

سؤال الـــــ هو هذا الكون لا أو الكون.

إن النقل اللفظي لايؤدي المعنى هنا أبدا، كيفما أردت أن تركب هذه الكلمات، حتى لو اقتضت الحال أن تبدل بعضها...أما المعنى الذي قصده الشاعر فهو:

"القضية قضية حياة أو موت"

فإذا كان هذا حال النقل اللفظي في جملة واحدة، فكيف يكون أمر نقل كتاب برمته على هذا الأساس؟.

من هذه الطريقة تسربت أكثر الأخطاء التي ضللت العرب وشغلتهم زمنا طويلا، ثـــم تنبهوا لها بعد حين. وهكذا احتاج كثير من الكتب التي نقلت على هذه الطريقة إلى أن تصلح فيما بعد...

ب-الطريقة المعنوية:

طريقة حنين بن إسحق. وذلك أن يأتي الناقل إلى الجملة فيحصل معناها في ذهنه ثـــم يعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها في المعنى، سواء استوت الجملتان في عدد الكلمات أم اختلفتا"[1] أعتقد أن الفكرة التي يمكن الخروج بها من خلال هذا القـــول، أن العرب اشتغلوا كثيرا في ميدان الترجمة، وشغلتهم أكثر قراءة المترجم، وإعادة ترجمته في أغلب الأحيان. والواضح أنهم استطاعوا أن يؤشسوا نظرية للترجمة استطاعت أن تعيش طويلا، والدليل على ذلك هو تطبيق الطرق الترجمية القديمـــة الآن، وتســـميتها بمسميات أصحابها.

[1] -أنظر: عمر فروخ-تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون-م.س.-ص:277-278.

ولكي نتبين الفرق بين طرق الترجمات أسوق هذا المثال، الذي يبرز الفرق بين طريقة الترجمة عند حنين بن إسحق وطريقة الترجمة عند إبن البطريق. "ولاننكر أن الترجمة الملهمة –على طريقة حنين بن إسحاق– قد تفقد بعض ألفاظ الأصل ولكنهـا ترجمـة لايمل منها القارئ بل يتوق إلى معاودتها مرة بعد أخرى بينما الترجمة الإعتياديـة – على طريقة ابن البطريق– لاتدعوك إلى مطالعتها إلا لغرض واحد هو مطابقتها مـع الأصل لتتعلم منها بعض المفردات والتعابير الإصطلاحية ولنضرب لك مثلا بقطعـة من رواية "آلة الزمن" للكاتب الإنجليزي إيج.جي.ويلز مترجمة بطريقتين.

النص الأصلي:

The darkness grew apace; a wind began to blow in freshening gusts from the east, and the showering white flakes, in the air incteased in number.From the edge of the sea cam a ripple and whisper. Beyond thess sounds the world was silent. silent? It would be hard to convey the stillness of it. All the sounds of man, the bleating of sheep, the cries of birds, the hum of insects, the stir that makes the background of our lives-all that was over.As the darkness thickened, the eddying grew more adundant, dancing before my eyes; and the cold of the air more intense. At last, one by one, swiftly, one after, the white peaks of the distant hills vanished into blackness. The breeze rose to a moaning wind. I saw the black central shadow of the eclipse sweeping towards me. In another moment the pale stars alone were visible. All else was rayless obscurity. The sky was absolutely black.

A horror of this great darkness came on me. The cold that smote to my marrow and the pain I felt in breithing overcame me. I shivered and a deadly navsea seized me. Then like a red-hot bow in the sky apperred the edge of sun. I got off the machine to recover myself. I felt giddy and incapable of facing the return journey.

ترجمة النص الإنجليزي إلى اللغة العربية على طريقة حنين بن إسحاق.

الترجمة للمرحوم إبراهيم المازني:-

"وأخذ الظلام يشتد، وهبت ريح صرصر من الشرق، وكثرت الثلوج في الجو، وارتفعت من ناحية البحر همسة وحركة، وكانت الدنيا فيما خلا ذلك ساكنة.أأقول ساكنة؟ إن من العسير أن أصور لكم سكونها ووقعه، فما بقي من شيء من أصوات الإنسان والحيوان والطير والحشرات والهوام، أو من الحركة المألوفة في حياتنا، وجعل الثلج المتساقط يزداد مع الظلام، ويأتي من كل أوب. واشتد البرد وهراني، واختفت أخيرا القمم البيضاء للتلال النائية، ولفها الليل في سواده. وصارت الرياح تنوح وتهجهج. ورأيت غبرة الكسوف تدنو مني، ولم يبق ما يرى غير النجوم الشواحب. واحلولكت السماء فما يلمع فيها شعاع واحد.

وثقلت علي نفسي وطأة الظلام الكثيف.واشتد علي البرد وقف منه جلدي، وتعذر التنفس، فانتغضت، وعانيت من ذلك كربا شديدا، ثم ظهر قوس الشمس، فنزلت عن السرج حتى تثوب نفسي إلي، فقد كان رأسي يدور وكنت أحس أني غير قادر على رحلة الإياب."

أما ترجمة النص الإنجليزي نفسه إلى العربية وعلى طريقة ابن البطريق، فقد قامت السيدة نعمات أحمد فؤاد، بهذه الترجمة، والتي نلاحظ عليها الإختلاف والتمايز عن الترجمة السابقة. حيث تقول:

"وسرعان ما اشتد الظلام –وأخذت ريح باردة تهب من الشرق هبات منعشة. وازداد عدد ندف الثلوج في الهواء، وارتفعت من ناحية البحر همسة وحركة، وكانت الدنيا فيما خلا هذه الأصوات التي لا حياة فيها ساكنة– ساكنة؟ إن من العسير أن أصور لكم

سكونها، فإنه لم يبق شيء من أصوات الإنسان وثغاء الخراف وبغام الطير وطنين الحشرات أو الحركة التي تكون مهاد الصورة في حياتنا. وزادت مع اشتداد الظلام ندف الثلج الدوارة زيادة وافرة وتراقصت أمام عيني، واشتدت برودة الهواء. وأخيرا اختفت القمم البيضاء للتلال النائية بسرعة، واحدة بعد الأخرى وتلاشت في سواد الليل، وصارت الرياح تنوح. ورأيت الظل الأسود في وسط غبرة الكسوف يزحف نحوي. ولم يبق ما يرى غير النجوم الشواحب، واحلولكت السماء فما يلمع فيها شعاع واحد.

وروعني ذلك الظلام الكثيف، واشتد البرد الذي نفذ إلى نخاع عظمي. وغلبني الألم الذي شعرت به عند التنفس فارتجفت من البرد وأصابني دوار مميت ثم بدت حافة الشمس في السماء كقوس حام أحمر فنزلت عن السرج حتى تثوب نفسي إلي فقد شعرت بأن رأسي يدور وأنني غير قادر على رحلة الإياب"

من الملاحظ أن الترجمة على طريقة ابن البطريق لا تعدو أن تكون مقابلات للألفاظ بين اللغتين. وهي عبارة كذلك على قاموس غير مرتب الألفاظ، يفيد من حيث معرفة التوازنات الموجودة بين اللغتين. في حين إن الترجمة على طريقة حنين أو الترجمة "الحنينية" هي ترجمة سلسة، قد يغيب فيها الكثير من مقابلات الألفاظ في اللغة الهدف، ولكن يبقى الجانب الإستتيقي قائما، مما يجعل المتلقي لا يمل القراءة، كونه يقرأ نصا وكأنه أصلا كتب بهذه اللغة. وهذه الترجمة هي المفضلة عند المترجمين، وقد سلك طريقها وما زال أغلب المترجمين، واعتمدتها المدارس الترجمية منذ أمد بعيد وإلى

الآن، ومنها تفرعت أنواع الترجمات في الدراسات النظرية التي عرفتها سواء الساحة العربية أو غيرها من الساحات.

فرغم التقدم التكنولوجي الهائل الذي عرفه النصف الثاني من القرن العشرين تبقى هذه الطريقة –الحنينية– فارضة نفسها بمنطقيتها وقوتها في إيصال المعنى والمضمون إلى اللغة الهدف. وحتى من حيث بنية النص نلاحظ أنها مهلهلة عند تطبيق طريقة ابن البطريق، وذلك لعدة أسباب نذكر منها خاصة: أن الجملة بين اللغات لاتأخذ بنية واحدة، بمعنى ترتيبا لفظيا واحدا. ففي الجملة العربية مثلا، قد نجدها تستهل بالفعل ونسميها فعلية، وقد نجدها تبدأ بالإسم ونسميها جملة إسمية، في حين يختلف الأمر بالنسبة للجملة الفرنسية التي هي جملة إسمية في كل الأحوال.

ومن ها هنا نجد المقابلة بين –مثلا– جملة فعلية عربية ومثيلتها في اللغة الفرنسية على طريقة ابن البطريق لاتؤدي البناء السليم في اللغة الهدف، لأننا سننقل الجملة بتركيب فعلي إلى جملة بتركيب إسمي. نقول في العربية مثلا:

"عندما خلق الله الإنسان، هل كان قصده أن يكبر الإنسان، ويصاب بالصمم أو العمى؟"

ترجمة هذا التركيب إلى اللغة الفرنسية على الطريقة الحنينية، هو كالتالي:

« Lorsque Dieu créa l'homme, voulait-il que ce dernier vieillisse et devienne sourd ou aveugle. »

ترجمته على طريقة ابن البطريق، هي كالتالي:

« Lorsque Créa Dieu l'homme, est-ce qu'il voulait vieillisse l'homme et devienne sourd ou aveugle »

نلاحظ الارتباك الذي أصاب التركيب الفرنسي على طريقة ابـــن البطريـــق، فـــرغم محافظته على المعنى، حيث يمكن للقارئ المتلقي أن يفهم المعنـــى الإجمـــالي، إلا أن البنية الجملية ضاعت من حيث التركيب النحوي القواعدي وحتى الجمالي. وإذا قدمت الجملة بهذا الشكل إلى متقن اللغة الفرنسية فإنه سرعان ما يرفضها وحجته في ذلـــك البناء وليس المعنى.

الباب الثالث :

الإبداع ونظرية الترجمة.

الفصل الأول :

الفضاء الإبداعي والترجمة.

الفصل الأول : الفضاء الإبداعي و الترجمة.

- الابداعية في الترجمة.

يقوم النص على نوع من الاقتصاد العلامي، فهو لا يدرج على سطحه إلا ما يعتبره ضروريا لاتساقه الخطي، و لذلك فهو يتميز بنوع من الدينامية التواصلية مع القارئ بحيث ينتظر من هذا الأخير المبادرة التأويلية الملائمة، و يسعى هو نفسه إلى استقطاب القارئ و دعوته إلى الانخراط في عالم النص عبر طرائق خطابية و قولية و بلاغية تساعد القارئ في تحيين البنيات و تأويلها، و لذلك أيضا يقوم النص بكيفية صريحة أو ضمنية على استراتيجية للكتابة توجه اشتغال النص إلى الالتقاء بمبادرات القارئ المفترض، و توضح الكيفية التي تجعل النص يتكهن بقارئه عن طريق شبكة للقراءات الممكنة[1]

من هنا يمكن أن نتصور الفضاءات الإبداعية الفنية وتحولاتها بالتجديد في اللغة الواحدة أو في اللغات المختلفة وهي مهمة المترجم، أو الترجمة على وجه العموم. وهو ما نسميه انفجارا داخليا للغة المستعملة، وهذا الانفجار هو آني لحظي يعيشه المبدع من داخله، ويعيشه المترجم كذلك، كما سبق وأن قال عباس محمود العقاد، ومن خلاله النص.

ومن هنا كذلك نقف بجانب الرأي النقدي الذي يفسح المجال واسعا أمام المبدع ولا يقيده بقوالب جاهزة، ومن هذا الرأي استطعنا من خلال هذا التحليل أن نلمس التطور الذي

---

[1] – نظرية التلقي – إشكالات و تطبيقات – أنظر : النص الأدبي بين التلقي و إعادة الانتاج – من أجل بيداغوجيا تفاعلية للقراءة و الكتابة – مقال لميلود حبيبي / ص : 174 – منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية – سلسلة ندوات و مناظرات رقم 24 – مطبعة النجاح الجديدة.

حصل على النص الإبداعي بتداخلاته وانكساراته حيث استطاع المبدع أن يخرج عن بعض القوالب الجاهزة المبنية والمتمثلة في التسلسل الأوتوماتيكي (مقدمة___عرض الأحداث___خاتمة)، مما عقد عملية الترجمة، التي كانت سهلة من حيث نقل البنية.

إن هذا الانكسار في القوالب العامة في (القصة و الشعر والرواية والمسرحية) خاصة، طرح إشكالا أمام المترجم، وعمل جهده في بدايات هذا الانكسار– النصف الأول من القرن العشرين – واستطاع بترجمته أن يرد الكلام أصيلا كأنه لم يكتب قبل ذلك بلغة أخرى، ولم يصدر عن قريحة سابقة.

فقد كان يترجم الكلام في سليقته شعورا قبل أن يترجمه لفظا ومعنى؛ فيجيش به كما جاش به صاحبه، ويعبر عنه بعد ذلك كأنه ينقل قطعة من حسه وخياله.

ويصنع ذلك بالكلام المنظوم كما يصنع بالكلام المنثور فإذا به قد نقل روحه وطلاوته وموسيقاه وما يتخلل عباراته من ظلال المعاني المستترة وخفاياه المضمونة حتى ليخرج النظم واضحا في موضع الوضوح، قويا في موضع القوة، مكنيا عنه في موضع الكناية.

- **ترجمة معاني القرآن الكريم.**

إن مقولة أن القرآن لا يمكن ترجمته و لا التعبير عنه بأسلوب نثري في لغة غير اللغة العربية، هو رأي ساد بين العلماء المسلمين المتخصصين في علوم القرآن، والسبب في ذلك هو انتقاء الألفاظ الجميلة، و عدم امكانية تبديل أي لفظ بمرادفه في المعنى أو بما يناسبه، دون الإضرار بجمال التعبير أو بخصوصية معناه.

إن توافق الألفاظ و تكوين الجمل و التعبيرات الخاصة بالقرآن و الأسلوب و التشكيل اللغوي التي يستحيل تبديلها و التي تبرهن على أن القرآن كلام الله. و لكن لا يمكن أن يصل هذا النص إلى العالمين دون ترجمة. و لهذا دأب العلماء المتخصصون في الشريعة من جهة و في الترجمة من جهة أخرى، إلى إيجاد حل للوصول إلى ترجمة معاني القرآن.

و النص المترجم التالي يبرز حقيقة إبداعيته، رغم خصوصية موضوع النص و المتمثل في الاشكالية التي طرحت عند المسلمين عامة و المسلمين العرب خاصة و هي مدى استطاعة ترجمة النص القرآني، والإشكالية التي يطرحها المصطلح القرآني عندما ينقل إلى اللغات اللاتينية و خاصة اللغة الفرنسية كما سنرى بعد تحليل المقدمة التي استهلت القرآن الكريم[1]

ومن المنطق تتضح اهمية ترجمة معاني القرآن الكريم الى اللغات الاجنبية، ولا بد من ادراك بعض الحقائق لمن اراد دراسة هذا الكتاب الكريم فهو ليس كبقية الكتب التي حدّد موضوعها المنشود ثم قسم الموضوع الى ابواب وفصول، ولكن هذا الكتاب يشتمل على المسائل العقائدية والتعاليم الخلقية والاحكام الشرعية والدعوة والنصيحة والعبرة والنقد والزجر والتخويف والترهيب والحجج والشواهد والقصص التارخية والاشارات إلى آيات الله في الكون، كل ذلك يتكرر بيانه بين حين وحين ويبدأ ويعاد بوجوه متعددة واساليب متنوعة يجد المتدبر لها ميزة معينة وفائدة جديدة وهدفا خاصّا .

---

[1] – القرآن الكريم و ترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية – طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة بالتنسيق مع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد.

Toutefois, il incombe à celui qui envisage l'étude du saint coran de comprendre certaines réalités, à savoir que le coran n'est pas l'œuvre d'un être humain qui traite d'un sujet bien déterminé. C'est plutôt le livre d'allah qui englobe des questions très variées, notamment le dogme, la loi (chari'a), la morale, la prédication à l'islam, l'usage des bons conseils, la moralité, la critique constructive, l'avertissement, les argumentations et témoignages, les récits historiques, les références aux signes cosmiques d'allah, etc...

Tous ces thème sont reproduits et réitérés à travers tout le coran avec des expressions et des formes différentes de façon à donner au lecteur attentif la possibilité de saisir un aspect nouveau du problème ou de lui faire découvrir une dimension nouvelle du texte, de lui procurer un avantage ou la détermination d'un objectif bien spécifique.

ومن اهم الامور التي القرآن الكريم ما يلي :

1. انه كلام الله حقيقة منزل غير مخلوق، انزله الله على رسوله محمد صلّى الله وعليه وسلم للناس كافة كما قال تعالى *تبارك الّذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا*[1]

Le coran est la parole incréée d'Allah, révélée à son messager muhammad (que la paix et la bénédiction d'Allah soient sur lui) et destinée à tous les humains conformément à l'enseignement coranique contenu dans ce verset : « qu'on exalte la bénédiction de celui qui a fait descendre le livre de discernement sur son serveur, afin qu'il soit un avertisseur à l'univers ». (Sourate 25, verset1).

2. يتميز هذا القرآن بالشمول والكمال ..قال تعالى *ما فرّطنا في الكتاب من شيء.[2]

وقال تعالى *ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين[3]

---

[1] – الفرقان – الآية 1.

[2] – الأنعام – الآية 38.

[3] – النحل – الآية 89.

2- Le coran se reconnaît par ses caractères d'universalité et de perfection. Allah (qu'il soit exalté) a dit : «..Nous n'avons rien omis d'écrire dans le livre... »(sourate 6,verset 38) ; « et nous avons fait descendre sur toi le livre, comme un exposé explicite de toute chose, comme un guide, une grâce et une bonne annonce aux musulmans ».(sourate 16, verset89).

3. انه نزل باوامر الله للعمل بها، ونواهيه لاجتنابها كما انه انزل للتعبد به وتلاوته طلبا للاجر وحصول الثواب.

3- La révélation coranique comporte des commandements destinés à être appliqués et des interdictions de commettre des actes répréhensibles. La récitation à elle seule constitue déjà un acte d'adoration et un moyen d'obtenir une récompense divine.

4. ان الله سبحانه وتعالى اكمل به الدين للناس كافة ...قال عزّ وجلّ * اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا.[1]

4- Le coran est le livre par lequel allah a parachevé la religion pour tous les hommes, conformément à cet enseignement coranique :
« ...aujourd'hui, j'ai parachevé pour vous votre religion, et accompli sur vous mon bienfait. Et j'agrée l'islam comme religion pour vous » (sourate 5, verset 3).

5. انه معجزة الله الخالدة لنبيه محمد صلّى الله وعليه وسلم على مرّ الازمان والعصور تحدّى الله به فصحاء العرب على ان يأتوا بمثله او بعشر سور او بسورة مثله فعجزوا عن ذلك ... قال تعالى * قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا *[2]

---

[1] – المائدة – الآية 3.

[2] – الإسراء – الآية 88.

وقال تعالى * ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين *[1]

وقال تعالى * أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين *[2]

5- le coran est demeuré le miracle éternel d'allah transmis à son prophète (que la paix et la bénédiction d'allah soient sur lui) qui de tout temps a fait l'objet du défi divin lancé aux arabes les plus éloquents en vue de produire un texte similaire, ou dix sourates semblables, voire même une seule sourate pareille au coran. Les arabes sont restés impuissants devant le caractère inimitable du coran et n'ont pu relever le défi qui leur était adressé par les versets suivants :

(Dis : « quand même les hommes et les djinns s'uniraient pour produire un semblable de ce coran, ils ne sauraient produire rien de semblable, même s'ils se soutenaient les autres ».(sourate 17, verset 88)

(Disent-ils : « il l'a fabriqué, dis : « apportez donc dix sourates semblables à ceci, et fabriqués (par vous). Et appelez qui vous pourrez (pour vous aider) hormis allah, si vous êtes véridiques.) (Sourate 11, verset 13)

(Mais disent-ils : « c'est celui-là (Muhammad) qui l'a inventé ?dis ; « composez donc une sourate semblable à ceci, et appelez à votre aide n'importe qui vous pourrez, à part Allah, si vous êtes véridiques ».)(Sourate 10, verset 38)

6. انه أنزل لاخلاص العبادة لله وحده لا شريك له كما قال تعالى * كتاب أحكمت آياته ثم فصّلت من لدن حكيم خبير ألاّ تعبدوا الاّ الله ...*[3]

وقال تعالى * وما امروا الاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة *[1]

---

[1] – هود – الآية 13.

[2] – يونس – الآية 38.

[3] – هود – الآيتان 2/1.

6- le coran a été révélé pour exhorter les hommes à vouer la sincérité de leur culte à allah seul, sans rien lui associer comme nous le montrent ces versets coraniques :

(...c'est un livre dont les versets sont parfaits en style et en sens et venu d'un sage, d'un parfaitement connaisseur. Connaisseur. N'adorez qu'allah ...) (sourate 11, verset 1-2)

(...il ne leur a été commandé cependant, que d'adorer allah, lui vouent un culte exclusif, d'accomplir la « salat » et d'acquitter la « zakat ». et voila la religion de droiture.) (Sourate 98, verset 5)

7. انه منهج متكامل لجميع شؤون الحياة الروحية والعقلية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، منهج قابل للتطبيق في كل زمان ومكان.

7- le coran est une constitution suprême qui organise la vie -tant spirituelle que temporelle – des musulmans vivant dans la cité - état. De la, le lecteur sera amené à constater que le texte sacré contient non seulement un enseignement spirituel très riche et fécond, mais aussi une morale très élevée soutenue et défendue par un corpus juris aux règles juridiques précises et détaillées faisant de lui une discipline scientifique très élaborée. Par ailleurs, le lecteur du texte sacré ne manquera pas de remarquer la présence d'un certain nombre de versets coraniques ayant trait aux principes d'économie politique et d'éléments de sociologie dont les applications se sont avérées au cours de l'histoire.

8. ان الله قد تكفّل بحفظ هذا القرآن الكريم كما قال عزّ وجلّ * انا نحن نزّلنا الذّكر وانا له لحافظون*[2] وقد حفظ بغاية من الاتقان في الصدور والسطور كما انزل على رسولنا محمد صلّى الله وعليه وسلم ولم يتغير و لم يتبدّل ولا كلمة واحدة منه على مرّ الازمان وهكذا يبقى الى أبد الآباد باذن الله تعالى.

---

[1] – البينة – الآية 5.

[2] – الحجر – الآية 9.

ولا بد من التسليم أولا أن القرآن العظيم لا يمكن ان تترجم جميع معانيه لأية لغة، ولا يمكن ان تكون الترجمة قرآنا باللغة الاجنبية لأن القرآن معجز بلفظه ومعناه وهو كلام الله سبحانه وتعالى أنزله على محمد صلّى الله وعليه وسلم بلسان عربي مبين .

8- il ressort de l'enseignement coranique qu'allah – qu'il soit exalté – a pris l'engagement de prendre soin de la protection de son livre pour toute l'éternité de temps. En voici la preuve :

« C'est nous qui avons fait descendre le rappel (le coran) et c'est nous qui en somme gardien ». (Sourate 15, verset 9)

en effet, l'histoire universelle et l'histoire de l'islam sont la pour témoigner que le coran a été soigneusement conservé dans les poitrines (appris par cœur) et dans les écrits tel qu'il a été révélé au prophète Muhammad (que la paix et la bénédiction d'Allah soient sur lui).

Nous sommes persuadés que quelles que soient les circonstances, le coran, parole d'Allah par excellence, ne subira aucune altération, malgré les multiples tentatives qui eurent lieu.

ولكن لما كانت الترجمة وسيلة من وسائل نقل بعض المعاني وتيسير فهم القرآن وتدبره لمن لا يعرف اللغة العربية وجب القيام بها نصحا للعباد وابلاغا لكتاب الله الى من لا يعرف لغته وقد تصدّى لمثل هذه الترجمات مجموعة من الناس قامت بجهود فردية تأثرت ترجماتها بأفكار أصحابها.

وقد تشكّل لهذه المهمة الصعبة عدة لجان من المؤهلين تأهيلا شرعيا عاليا اضافة الى اجادتهم اللغة الفرنسية اجادة تامة من منسوبي الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد وغيرهم .

عهد الى اللجنة الأولى مهمة النظر في الترجمات الموجودة في ذلك الوقت واعتماد الصحيحة منها، فاتضح انه لا يوجد ترجمة يمكن اعتمادها وان الترجمات الموجودة لا تخلو من ملاحظات وليس هناك من خيار الا الأخذ بأحد الأمرين :

الأول انتخاب أحسن التراجم الموجودة لتكون منطلقا للعمل ومرجعا اساسيا للجهود التي ستبذل ثم مراجعة معانى القرآن التي اعتمدتها تلك الترجمة وتصحيح ما يلاحظ عليها.

الثاني القيام بترجمة مستقلة غير مقتبسة من ترجمان سابقة، فتبين ان هذا الامر يحتاج الى وقت طويل وجهود يصعب ان تتوفر في هذا الوقت، ولهذا ترجح الأخذ بالامر الاول لتلبية الحاجة الملحة في الوقت الحاضر ورغبة في تحقيق الهدف باسرع ما يمكن.

وقد تم بموجب ذلك اختيار ترجمة الاستاذ الدكتور محمد حميد الله لما تمتاز به من قوة الاسلوب وجزالة المعانى، ثم شرعت اللجنة في تنقيحها مستعينة بالعبارات المثلى من التراجم الاخرى اضافة الى ما رأت هي ان تعتمده من ألفاظ جديدة في الاماكن التي رأت ضرورة تصحيحها مع عنايتها بتحقيق الملاحظات التي وردت الى الرئاسة من الهيئات والجامعات والمهتمين بهذا الامر.

وقد حوّل عمل تلك اللجنة الى عدة جهات وافراد للنظر في عمل اللجنة الاولى واستدراك ما لم تنتبه اليه وابداء المرئيات حول ما فات نظر اللجنة الاولى.

ثم عهد الى لجنة ثالثة مهمة النظر في آراء الجهات التي استشيرت في عمل اللجنة الاولى ومقارنة الآراء الواردة في موضوع معيّن وتنسيق العمل المطلوب واستخلاص نصّ واحد معتمد وسليم من الملاحظات قدر المستطاع.

وبعد ذلك تولّت لجنة رابعة النظر فيما توصّلت اليه اللجنة الثالثة وتطبيقه على مرئيات اللجان السابقة وتثبيت الاصح واقرار النص الاقرار النهائي. اضافة الى ذلك مراجعة الحواشي مراجعة دقيقة وتخليصها من بعض المآخذ المتعلقة بالعقيدة وبعض الآراء الفقهية والاتجاهات الفكرية المخالفة للصواب.

وحيث ان بعض الالفاظ باللغة العربية مثل الزكاة وغيرها لا يمكن ترجمتها ترجمة تؤدّى المعنى الصحيح في الاسلام، لهذا فضّلت اللجان ان تبقى هذه الألفاظ كما هي في اللغة العربية مكتوبة بالحروف اللاتنية وعملت قائمة لهذه الالفاظ التي استعملت في الترجمة على هذا النحو.

و قد طبعت هذه الترجمة في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة بالتنسيق مع الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد.

La tache du traducteur n'est jamais aisée surtout lorsqu'il refuse de trahir ou de s'aventurer à donner une interprétation personnelle. Malheureusement, force est de constater qu'un grand nombre de traductions ne sont autre chose que le reflet de la compréhension de leur traducteur.. Certes, pour mener à bien la traduction du coran, le traducteur doit être un expert chevronné en langues arabe et étrangère, il doit disposer d'un savoir encyclopédique incontestable et jouir en plus de qualités morales indéniables car chaque terme dans la langue du coran a un certain poids, chaque voyelle a sa raison d'être et le simple fait d'omettre une voyelle peut être lourd de conséquences. Choisir les termes appropriés sans vouloir en sacrifier ni le sens ni la lettre du texte sacré.

La présidence générale a été à la hauteur de la situation en procédant à l'institution de quatre commissions composées et choisies parmi ses jurisconsultes et théologiens très qualifiés et maîtrisant parfaitement la langue française ainsi que d'un certain nombre de fonctionnaires compétents en matière de coordination.

La travail des commissions s'est effectué dans l'ordre suivant : La première commission avait pour tache d'étudier et d'examiner plusieurs traductions et d'en agréer la meilleure. La conclusion de ses travaux mettait l'accent sur la difficulté de retenir une traduction exemple d'observations ou de remarques, ce qui l'a conduit à faire un choix entre solutions :

Adopter la « meilleur traduction » disponible qui fera à son tour l'objet d'un examen approfondi, minutieux et rigoureux en vue de la faire débarrasser de toute ses imperfections. C'est donc là un travail d'amélioration et de perfectionnement.

Entreprendre une nouvelle traduction du saint coran, c'est-à-dire écarter toutes les traductions existantes et en proposer une nouvelle.

Après mure réflexion, il s'est confirmé que la seconde solution nécessiterait un temps assez long et des efforts difficilement soutenables. La sagesse a conduit la dite commission à retenir la première solution en raison pressant de réaliser une traduction du sens qu'il faudrait donner aux versets du saint coran. Ainsi la première commission avait suggéré que la traduction du saint coran réaliser par le professeur muhammad hamidullah devrait être retunue en raison de sa fidélité très proche du texte sacré. La tache de cette commission était d'examiner toutes les remarques qui ont été formulés au sujet de la traduction du professeur hamidullah et d'apporter les rectifications nécessaires basées sur d'autres traductions.

Puis la même commission a procédé à une révision approfondie de la traduction en prenant en considération toutes les remarques rédigées à l'égard de la présidence par les université, les corps enseignants et par ceux qui s'en intéressés et en se basant là aussi sur d'autres travaux de même nature.

Par la suite, une deuxième commission a été constituée et s'est fixée pour objectif l'examen approfondi de toute l'œuvre accomplie par la première commission et il lui a été demandé d'exprimer son opinion sur le travail réalisé.

Une troisième commission a été instaurée et chargée d'étudier à son tour toutes les remarques qui ont été émises par les divers départements consultés et fut chargée de procéder à l'adoption d'un texte définitif dépourvu de toute observation ou critique dans la mesure du possible.

Enfin, une quatrième commission a été constituée et chargée d'examiner les conclusions de la troisième commission, de confronter les avis des commission précédentes, d'en retenir les plus pertinents et les plus justes, d'arrêter le texte définitif et de réviser toutes les notes explicatives pour les purifier de toutes les erreurs aux questions ayant trait au dogme et aux opinions juridico philosophiques.

Pour combler certaines carences d'ordre phonétique et compte tenu aussi que la langue française ne saurait rendre avec exactitude le sens de certains mots en arabe, nous avons jugé opportun de les translittérer en caractères latins et de dresser un bref glossaire technique rendant la compréhension plus facile. A titre indicatif, en voici quelque termes : « salat » ou prière rituelle ; « zakat » ou adoration d'Allah par le versement de numéraires, etc...

بعض الإشكالات الإصطلاحية في النص القرآني.

Le mot coran signifie lecteur, les arabisants modernes ont adopté l'écriture qo'ran, pour distinguer le qaf (q) arabe guttural, du kaf (k) qui se prononce à partir de la palais. Cependant, les latinistes arabes ont traditionnellement rendu le ç latin par la lettre q (qaf). C'est ce qui nous autorise à écriture coran.

Allah : الله

Dieu ou divinité :اله

Divinité :آلهة

Allah : Mot arabe désignant « Dieu l'unique».

Islam : Etymologiquement, ce mot veut dire soumission totale à Allah.

Ce vocable désigne aussi l'engagement du fidèle à observer les enseignements coraniques et prophétiques.

As-salat : Office religieux comportant un ensemble (ou cycle) d'actes dévotionnels à caractère rituel consistant à observer les positions suivantes : Debout, inclinée, redressée, prosternée et assise. Dans chaque position, le fidèle est tenu de prononcer des formules déterminées.

Cet office religieux dont le fidèle est tenu de s'acquitter quotidiennement n'a pas d'équivalent dans les autres religions. C'est ce qui nous a poussés à retenir le

vocable « As-Salat » au lieu de la traduire en français par le mot « prière » qui se limite seulement aux invocations.

Az-Zakat : On serait tenté de le traduire en français par le mot « aumône ». Mais la zakat en islam ne se limite pas à l'acte de générosité ou de charité. C'est plutôt un acte d'adoration par le versement de numéraires dont les règles sont détaillées dans le coran et la Sounnah. Le vocabulaire français ne dispose pas d'un terme équivalent, ce qui explique notre souci de maintenir l'appellation arabe.

As-Siyyam : Il s'agit d'observer un « jeûne » qui consiste à s'abstenir de boire, de manger, de fumer, d'avoir des rapports charnels, -ou tout autre acte susceptible d'annuler le jeûne – de l'aube jusqu'au coucher du soleil avec l'intention de se rapprocher d'allah. Il va de soi que le jeûne a des effets très bénéfiques sur la conscience du fidèle, non seulement en vue de fortifier sa foi, mais de le préparer aux épreuves difficiles de la vie.

Là aussi, la terminologie arabe s'impose parce que la définition du jeûne dans les autres religions n'a pas reçu la même acception.

Al-Hajj : Devoir religieux très important, le pèlerinage effectué aux lieux saints de l'islam (La Mecque et ses alentours), n'est rendu obligatoire qu'une fois dans la vie et uniquement aux personnes disposant de moyens suffisants. L'obligation du pèlerinage comporte des rites spécifiques et des conditions auxquelles il faut obéir, dons la pureté de la vertu de la foi et la vertu qui contribuent à renforcer la cohésion entre la pensée et l'acte.

Al-Imane : Signifie littéralement : « connaissance, croyance et conviction sans aucun doute possible ». La foi est donc la conviction ferme. Al-imane est à la base de l'islam. Il consiste à croire en allah, en ses anges, en ses livres révélés, en ses messagers, en le jour dernier et enfin en la prédestination favorable ou défavorable.

Ce credo islamique n'est pas le même dans les autres religions, ce qui justifie son appellation arabe.

موازنات ترجمية.

إن ما ينطبق على ما قاله عباس محمود العقاد في وصف إبراهيم المازني، ينطبق- أعتقد- على مترجمي هذه المرحلة والمراحل التي سبقتها، في التراث العربي أو في عصور الترجمة الأولى. ونلاحظ أن أفضل المترجمين كانوا كتابا أدخلوا ترجماتهم في أعمالهم، وبالتالي أزالوا بلغتهم فرقا كان يبدو طبيعيا لأول وهلة، ونشأت تفرقة تتسم بالتناقض، مفادها أن المترجم الذي يترجم فقط ليس مترجما، وإنما"مقدم" للنص، على حد قول هـــ. ميشونيك H.Meschonnic الكاتب وحده يعتبر مترجما.

وإذا كانت الترجمة نصا أدبيا وكتابة نتجت عن عملية القراءة، أصبحت مغامرة شخصية، شأنها في ذلك شأن العمل الأدبي الأصلي. ويقول هـــ.ميشونيك في هذا الصدد : [لا ينبغي أن نتوهم أن الكتاب- المترجمين قلة بالنسبة لمجموعة المترجمين أو أن الترجمات – الإبداعية نادرة بين النصوص المترجمة][1] وسواء أكان مترجم النص الأدبي مبدعا أم لا، فهو لاعب لدور "الكشاف" بالنسبة للمؤلف.

تقول سيلين زنس : " إن المترجم يعكس للمؤلف أشياء لم يرها لأن الترجمة تتطلب الرجوع إلى " المشهد الأصلي" (بلغة التحليل النفسي)...لذا قد يخضع المؤلف لعملية تفسير عندما تترجم أعماله. فجأة، يظهر شيء آخر: اللغة الأخرى التي تحدد بالضبط المسافة اللازمة لإبراز شيء لم يره المؤلف من قبل"[2] وذلك المشهد الأصلي الذي يجب

-[1]-H.Meschonnic-Pour la poétique 11-Gallimard-1973-p:354.

-[2]- C.Zins-Actes de premières assise de la traduction litteraire-Arles-1984p:57. سامية أسعد-عالم الفكر-م.س.-ص:20.

أن يرجع إليه المترجم مشهد محرم، من حيث المبدأ ومع ذلك–عليه أن يرجع إليه لكي يقوم بعمله، وإذا لم يفعل ذلك،لا نستطيع أن نقول إنه مترجم، إذ لا معرفة له بالطريقة التي يكتب بها المؤلف، والأسباب التي تدفعه للكتابة وإلا عجز عن الترجمة، أو قدم ترجمة سيئة.

ويعني هذا أن على المترجم أن يتشبع بكتابة المؤلف، وأن يجعل أسلوب هذا الأخير ينفذ إليه."[1] يتبين لنا من خلال هذا النص أن لا فرق بين المبدع والمترجم، بل إن المترجم الذي يترجم فقط ليس مترجما، وأعتقد أن هذه الفكرة تأخذ صحتها انطلاقا من النص الذي يشتغل عليه المترجم، فإن كان نصا أدبيا إبداعيا، يمكن اعتبار هذا الرأي سليما، أما إذا كان النص علميا براغماتيا فلا أعتقد بصحة هذه الفكرة،لأن ترجمة النص الإبداعي تختلف عن ترجمة النص البراغماتي.

ومن هذا يتبين كذلك أن "هناك طرق مختلفة وأساليب متعددة في الترجمة، فمن المترجمين من يفضل الطريقة الصامتة أي أنه يحل رموز لغة برموز لغة أخرى لا غير.

ومنهم من يفضل طريقة الترجمة الصائتة أي أنه يقرأ كل جملة بصوت مسموع ليتأثر بموسيقاها قبل أن ينقلها إلى لغة أخرى والأفضل اتباع الطريقة الأولى في ترجمة الوثائق والمستندات القانونية والطريقة الثانية في الشعر والقطع النثرية ذات الإيقاع الموسيقي لأن هذه تعتمد على (نبر) الكلمات لغرض التعبير بصورة بليغة ولابد من(اقتناص) هذه

---

[1]–سامية أسعد –عالم الفكر –مقال –م.س. –ص:20.

النبرات لترجمة النص ترجمة دقيقة، فنحن في الشعر لا نترجم كلمات ومعاني فحسب بل أسلوبا شعريا وإيقاعا موسيقيا أيضا.

ومن المترجمين من يقرأ الفقرة بصوت مسموع ويضع النص جانبا ويملي على كاتبه معاني النص دون الالتفات إليه، لئلا يتأثر بتراكيب اللغة الأصلية فيقع في العجمة والتعبير غير المألوف وهذه الطريقة عرضة للتقديم والتأخير في الجمل والكلمات وكذلك للسهو عن بعض الكلمات والعبارات إلا أن الأسلوب فيها أمتن وأجزل مما في الطرق الأخرى.

ومنهم من يزيد كلمات وعبارات أيضا حية في الترجمة مما لا وجود له في النص الأصلي وهذا النوع من الترجمة يعرف بالتصرف .l'Adaptation وهناك حالة أخرى هي الترجمة والتلخيص في آن واحد أي إعطاء خلاصة ما في النص بلغة أخرى، وصعوباتها كثيرة لا يخفى على كل من مارس التلخيص Précis حتى في لغته الأصلية."[1]

إذن فيما تختلف هذه الطرق المختلفة المتنوعة عن الطرق التي يتبعها المبدع؟

أعتقد أن هذا التكثيف التحليلي هو عملية تقوم على استخدام عناصر النص المختلفة من مجموعاته المختلفة الكائنة، وهي عملية لا تختلف كثيرا عن العملية الإبداعية، أو عملية التأليف، وهي خطوة أعتبرها شخصيا ابتكارا يركز على النص كخلفية من الخلفيات المرجعية، لتكوين مجموعة جديدة من هذه العناصر بتجانس جديد، بحيث يعود كل عنصر من عناصر النص الأول إلى وظيفته ولكن في نص آخر يختلف لغويا عن النص الأول.

---

[1]–د.صفاء خلوصي–م.س.–ص:25–26.

سواء نظرنا إليه من الناحية المضمونية أو من الناحية الشكلية أو الناحية البنائية، هذه الأخيرة هي المهمة كونها تكسر الحواجز التي يريد النص الأصلي أن يضعها، ومن وراءه المبدع.

- **حدود النص – الشعري – النثري**

الخلفية المرجعية للقارئ النموذجي / المترجم.

إن حدود النص الأدبي لا تتوقف على شكله الظاهري أو على بنيته، أي على ما رصف أو صنف من ألفاظ على بياض الورقة. لأن فهم النص في دلالاته الموضوعاتية والحدثية، أي فهم معناه، يستحيل إذا لم نستطع معرفة ما وراء اللغة، بمعنى الوصول إلى شارات سيميائية ومعلومات حمولتها لا تستند على اللغة، معلومات غير لغوية.

انطلاقا من هذا المفهوم، على القارئ النموذجي / المترجم أن ينطلق في قراءته للنص من استحضار جزء من خلفيته المرجعية أو من ذاكرته الجمعية، ويحاول أن ينزلها ويقابلها ويجعلها في حوار أو صدام أو جدال مع المكتوب ومع ما وراء المكتوب.

إن ضبط تلك الخلفية المرجعية بطريقة عملية غير ممكن، لأن فيها المفكر فيه الجاهز الذي يمكن استنطاقه في أي لحظة وبطريقة واعية، وفيها اللا مفكر فيه الذي يحتاج إلى محفز لاستحضاره، حيث يوجد هذا المحفز بين الملفوظات النصية أو بين هذه الملفوظات نفسها، وضع من طرف المؤلف "الباث" بطريقة قد تكون قصدية أو لا قصدية.

يعتبر هذا الطرح مبدأ أساسيا في عملية القراءة، وفي نظرية القراءة، ومنها في تقنية الترجمة، ونظرية الترجمة، التي تعتمد القارئ الناقد والمترجم في اللغة الواحدة أو في اللغات المختلفة أساسا ومركزا، منه ينطلق تفكيك النص لتأسيس نص آخر تفكيك بنية النص الأصلي لتركيب النص أو النصوص الفرعية التي تصبح بدورها أصلية عندما تسلط عليها عملية القراءة أو عملية الترجمة إلى حد ما.

إن القارئ الذي يتوصل إلى هذا الفهم هو الذي نعته أمبرطو إيكو Umberto Eco بالقارئ النموذجي والذي يعتبر الوسيط بين الباث والمتلقي الثاني، كون هذا الوسيط متلق أول للنص. وهو لا يقتنع- فقط – بالمعارف التي تقدم، بل عليه أن يراعي المسكوت عنه Le non dit سواء على مستوى بنية النص أو مضمونه. إذن كلما قرأ النص ألف نصا آخر يشترك معه في جزء من خلفيته المرجعية بصورة أخرى يعكس مستوى آخر من اللغة وما وراء اللغة.

الخلفية المرجعية---- المؤلف ---- النص --- القارئ [المترجم كقارئ نموذجي] ----- النص --- القارئ [قد يكون المترجم]---- [المترجم في لغة أخرى]

تحيلنا هذه السلسلة الخطية إلى الدارة السوسيرية التي تعتمد على الثنائيات [الدال والمدلول والعلاقة الاعتباطية التي تربطهما] بالدرجة الأولى وعلى الصورة السمعية و المفهوم بالدرجة الثانية[1].

[1] – أنظر : Ferdinand de Saussure – Cours de linguistique générale – Payot – 2005 – p : 99

إن الاتصال الكلامي لا يعتمد فقط على اللغوي، أو لنقل لا يمكن الاستغناء عنه، فحركة العينين وهز الرأس بالقبول أو الرفض، وحركة اليدين، واستعمال الإشارات المكملة للغة، تعتبر كلها من الإشارات السيميائية والتي لا يتحكم فيها فعل اللغة على المستوى النحوي" القواعدي " أو البلاغي بالمفهوم المعتاد لغويا، هي عناصر لا لغوية، ولكنها تلعب دور اللغة خاصة في النص الخطاب والنص الشعر.

ولنا مثال عن هذا النص الشعري عند محمود درويش فإذا قرأه آخر أنقص ولا شك من جماليته، هذا في اللغة الأصلية، فما بالنا إذا ترجم هذا النص، وقرأ في لغة ثانية وفي حالات – ولو قليلة – قد يكون العكس هو الصحيح.

فعل الترجمة في النص الأدبي

وحتى نتلمس حقيقة فعل الترجمة في النص الأدبي، ارتأيت أن أطبق على المقطع النصي التالي: يقول أبو الطيب المتنبي:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم.

ترجمت هذا البيت إلى اللغة الفرنسية كالتالي:

Les chevaux, la nuit, le désert, l'épée et la lance me connaissent, ainsi que le papier et la plume.

يفتخر الشاعر هنا بشجاعته هذه التي يستنتجها القارئ انطلاقا من ياء المتكلم المتصلة بآخر الفعل الوحيد في البيت"عرف"والتي تعرب مفعولا به. وكذلك من الأسماء المتعددة المتتالية والمربوطة بواو العطف، أو واو الربط أو ما أسميه بأداة الإلصاق الخارجي.

فعلى المستوى القواعدي يعرب لفظ الخيل: مبتدأ مرفوع، في الوقت الذي تكون فيه كل الأسماء التي تأتي بعده معطوفة عليه. وهذا ما نسميه في الأسلوبية بالتعديد أو الترتيب L'énumération أو .La gradation وكل هذه الأسماء هي التي تعرف الشاعر، إذن هي كلها فاعل في الجملة (البيت الشعري)، بما فيها ذلك المبتدأ.

نعود إلى البيت في قراءة أخرى، حيث نقف عند الحقول الدلالية لكل لفظ، حتى نقترب أكثر من الدلالة المباشرة التي قمنا بترجمتها والدلالة غير المباشرة التي لم نستطع ولن نستطيع ترجمتها لأن القارئ في اللغة الأصل يختلف عن القارئ في اللغة الهدف، بحكم الحضارة التي ينتمي إليها كل منهما.

1- الخيل:

الدلالة المباشرة : [جمع فرس – حيوان أليف – سريع – جميل الشكل – قوي – استعمله الإنسان منذ القديم في حروبه وأسفاره...].

الدلالة غير المباشرة : [الشجاعة والبطولة – الإخلاص التام].

2- الليل:

الدلالة المباشرة : [مفرد – الزمن الذي يعقب النهار– يأوي فيه الناس إلى بيوتهم بعد عملهم في النهار...]

الدلالة غير المباشرة : [رمز الوحدة – طول الزمن – قصر الزمن – السواد – الحلم]

3- البيداء:

الدلالة المباشرة : [الصحراء – مساحة جغرافية شاسعة – غنية بالخيرات – مرتبطة بالعرب–...]

الدلالة غير المباشرة : [الصبر– الشجاعة – المخاطر– الحر الشديد – الصفاء–...]

4– السيف:

الدلالة المباشرة : [قضيب حاد مصنوع من الحديد – استعمل في الحروب القديمة...]

الدلالة غير المباشرة : [الشجاعة والبطولة – الشرف–...]

5– الرمح :

الدلالة المباشرة: [سهم حاد الرأس– يستعمل في القتال– يطلق بقوة على العدو–...]

الدلالة غير المباشرة: [السرعة – الدقة–...]

6 – القرطاس:

الدلالة المباشرة : [الورق الذي كان يكتب عليه في القديم–...]

الدلالة غير المباشرة : [الثقافة الواسعة – العلم الغزير– الأدب– الرسالة–...]

7– القلم:

الدلالة المباشرة : [أداة تستعمل للكتابة–...]

الدلالة غير المباشرة : [العلم– التفوق–الكتابة –...]

إذن هذه جملة من المفاهيم البسيطة التي يمكن من خلالها أن نقف عند الحقل الدلالي القريب، وهو ما أسميته بالدلالة المباشرة، والحقل الدلالي البعيد، وهو المعنى أو

المعاني التي يمكن أن يستشفها والتي أعطيت للملفوظات من خلال الدلالة غير المباشرة، وهو ما يسمى عموما بالكناية حينا والاستعارة حينا آخر، عند العرب.

أما من حيث البنية التركيبية للمقطع النصي"البيت" فأول ملاحظة تتجلى وتثير الانتباه هي الرابط"الواو" الذي يتكرر ست مرات ولا يحدث ثقلا أو مللا، بل بالعكس يحدث جمالا ورونقا في ثنايا النظم، مقابل ما يحدث من قبح وثقل وملل حين ترجمته إلى اللغات الأجنبية.

Und في الألماني.

End في الإنجليزية.

Y. في الإسبانية.

Et في الفرنسية.

وعليه نلاحظ أنه في اللغة الفرنسية – مثلا – يعوض الواو عندما يتكرر بالفاصلة، ولا يظهر الـــ (et) إلا قبل الملفوظ الأخير.

أما من حيث التقطيعات الصغرى على مستوى الملفوظات فنلاحظ مثلا: أن العروضيين، وعلى رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي، قد اشتغلوا على مستويات مقطعية في إطار اللفظ، معتمدين على الإيقاع وما يتولد عنه من وحدات صوتية صغرى، تكون في تآلفها التفعيلات العروضية المعروفة. وأعتقد أن الفونيمات والمونيمات المعروفة عند الألسنيين الغربيين بالمقاطع الصوتية القاعدية في إطار

اللفظ، كان العرب قد اشتغلوا عليها خاصة في النصوص الشعرية. وإلا ماذا نقول عن هذه الوحدات الصوتية الصغرى :

السبب الخفيف – حركة + ساكن /0

السبب الثقيل– حركة + حركة //

الوتد المجموع– حركة + حركة + ساكن //0.

الوتد المفروق– حركة + ساكن + حركة /0/ .

الفاصلة الصغرى–حركة + حركة + حركة + ساكن ///0.

الفاصلة الكبرى– حركة + حركة + حركة + حركة + ساكن ////0.

إن الدراسة الإيقاعية الإستتيقية التي يعتمدها النص الشعري العربي قديمه وحديثه، تنبني على الوحدات الصوتية السالفة الذكر.

نطبق هذه الوحدات على صدر بيت المتنبي: **(الخيل والليل والبيداء تعرفني.)**

نقابل الحركة بالحركة والساكن بالساكن.

نلاحظ :–

الخيل : يستهل بحركة ثم ساكن

والليل : الواو، حركة– الألف واللام : حركة ملغاة لأنها لا تسمع– اللام الثانية : مضعفة– حركة + ساكن.

والبيداء: الواو، حركة، الألف، حركة ملغاة لأنها لا تسم، اللام ساكنة.

تعرفني: التاء، مقطع متحرك.

العين، مقطع ساكن.

الراء متحرك.

وهكذا يصبح التقطيع الصوتي كالتالي-:

لخيلول	ليلول	بيداءتع	رفني
مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	فعلن

إن جمالية بنية النص تكمن وتنبني على هذا الوزن الإيقاعي الصوتي، وأن الترجمة مهما بلغت من إيقاع المعنى، لا تستطيع وفي أي لغة أخرى أن تحمل هذه الجمالية بكل هذا الثقل المعطى في اللغة الأصل.

تقول صفاء خلوصي في الطريقة التي يجب أن تتبع في ترجمة النص، وتعددها في ثمان نقاط هي-:

1- خذ النص"Texte" واقرأه للمرة الأولى وحاول أن تفهم خلاصته.

2- استخرج معاني الكلمات الصعبة التي قد لا تفهمها في النص الأصلي.

3- اقرأ النص للمرة الثانية.

4- ابدأ بترجمة الفقرة الأولى جملة، جملة، باحثا في كل جملة عن الفعل الرئيسي فيها، لأن الفعل هو مفتاح الجملة ولا يمكن ترجمة جملة ما بدون معرفة الفعل قبل سائر الأجزاء الأخرى.

5- قد تحتاج إلى وضع العبارات المؤلفة من ظرف وجار ومجرور في بداية الجملة ولكن مثل هذه الحالات قليلة وفي أكثرها يمكن وضع التعابير الظرفية وحروف الجر و مجروراتها إما في وسط الجملة أو في نهايتها.

6- بعد أن تنتهي من ترجمة القطعة بأكملها أتركها لليوم التالي إذا كان لديك متسع من الوقت.

7- راجع القطعة بعد انقضاء الفترة ،تجد أنك تستطيع أن تصقلها صقلا جيدا دون الاستعانة بالنص الأصلي. حاول أن تسأل نفسك دائما السؤال التالي: "لو أردت أن أعبر عن هذا المعنى بلغتي فماذا كنت أقول؟ هل كنت أستعمل نفس هذه الطريقة في التعبير؟". فإذا لم يكن الجواب بالإيجاب فعليك أن تعيد تركيب الجملة وكتابتها من جديد.

8- وإذ تنتهي من عملية"الصقل" ارجع إلى النص الإنجليزي وقارنه بالترجمة لغرض تقريب أسلوب الترجمة من أسلوب النص الأصلي.[1]

الترجمة الآلية

إن فعل الترجمة في النص الأدبي لا يتجسد جماليا في الترجمة الآلية، لأن الآلية ومهما عكست المضمون بدقة يفلت منها بعض خصوصيات النص الأصلي، ومهما وضع للآلة المترجمة من ذاكرة مخزنة أو ما أسميه بالخلفية المرجعية الآلية، إلا أنها تبقى قاصرة أمام الخلفية المرجعية الإنسانية، تبقى الخلفية- إذن - مرتبطة بالإنسان

---

[1]-أنظر:د.صفاء خلوصي-م.س.-ص:24-25.

ولا يمكنها أن تتعدى إلى ما وراء اللغة إلا عن طريق المعطيات التي يقدمها لها الإنسان، وهي كذلك غير قادرة على التعامل مع الفعاليات غير اللغوية، إذن فعلم الترجمة لا يمكن أن يكون علما دقيقا.

فعلى الرغم من أن علماء الترجمة، يعتمدون على معيارين أو على مستويين: المستوى الوصفي والمستوى المعياري. إلا أن علم الترجمة يقر بقوانين عملية أخرى، ويقدم للمشتغل على الترجمة بعض القوانين والتعليمات التي يستطيع من خلالها أن يحقق نسبيا بعض النتائج المنتظرة، ويبقي المنظرون-من جهة أخرى- المجال مفتوحا أمام قراءة ترجمية ثانية وثالثة ورابعة.

أي أن فعل الترجمة في النص الأدبي"الإبداعي" لا ينتهي، ينحو منحى الدالة الرياضية التي تتماس مع الخط المقارب ولا يمكن أن تتقاطع معه مهما امتد أو طال.

إن المستويين الوصفي والمعياري يقللان من الأخطاء والابتعاد عن النتاج الكلامي المحدد في النص، ويحاولان أن يجعلا النصين "الأصل – الهدف- متكافئين، بمعنى آخر يعملان على تطبيق محور التكافؤ الذي يعتمده كل مترجم" إن الترجمة نوع متعدد الجوانب والمظاهر، من أنواع النشاط الإنساني. ولذلك من الطبيعي أن تكون أيضا موضوعا دراسيا لعلوم متنوعة.

إن مظاهر الترجمة للعديد من المؤلفات الفنية، يمكن أن تبحث في نطاق علم الأدب. وفي الواقع يوجد نظرية أدبية للترجمة، وهي تتطور باستمرار، وأن المظهر النفسي

الفيسيولوجي، أثناء عملية الترجمة يمكن أن يكون موضوعا دراسيا لعلم النفس وفيزيولوجيا الجهاز العصبي.

إن المشكلات الناشئة بصدد أتمتة[1] الترجمة، تدخل مباشرة في مجال اختصاص العلوم. حيث إن الاستخدام العلمي للترجمة بغرض تعليم اللغات الأجنبية، يدخل في دائرة اهتمامات أساليب تعليم اللغات الأجنبية.

هذه المفاهيم وغيرها هي التي تكون إشكالية العلاقة التي يحدثها فعل الترجمة بين النص الأدبي الإبداعي الأصل والنص الأدبي المترجم الهدف.هي علاقة نسبية لا يمكن أن تؤدي إلى المطلق أبدا، لأن الكائن هنا هو النص وهو محدود أثناء عملية التلقي، هذه المحدودية تبقى كذلك ولا يمكن تخطي عتبتها مهما كان القارئ نموذجيا، ومهما كان المترجم أمينا.

ولأن النص الأدبي يتأسس على حقول دلالية سيميائية، بشكل آخر، في مدى تعدد قراءاته. حيث أعتبر الترجمة من هذه القراءات، فإذا كانت العملية التأويلية تتم على مستوى النقد الأدبي في اللغة الواحدة، فالترجمة هي عملية تأويلية – كذلك– تتم على مستوى لغتين أو أكثر. وعليه يبقى المجال مفتوحا.

إن اللفظ لا يستطيع أن يحمل المعنى كاملا في كثير من الأحيان، خاصة في النص الشعري، إن صناعة الشعر هي هندسة معمارية لها قواعدها الواعية، التي لا يستطيع أي مبدع أن يتمسك بتلابيبها ويضبطها في قالبها المعماري الفني الذي لا يشيد البيوت

---

[1] – Automatisme

ولكنه يشيد الأبيات وتشييد الأبيات أعسر من تشييد البيوت[1] إن ما يطلبه المتلقي- المترجم – هو أن تنساب كل لفظة وكل تركيب مع النغمة وأن تأتي في المكان الذي يجعل السامع يصغي بإمعان إلى كل لفظ في تركيبه، وإن أخذ هذا التركيب منفصلا عن غيره من الجمل النصية، لكي يعبر عن انعكاس اللحن والإيقاع الأساسي الذي يغطي مساحة النص.

و حتى أن يصل الباث إلى هذا الإمتاع، يعيش مخاضا في غالب الأحيان، وفي أحيان أخرى يتوصل إليه مباشرة منذ المحاولة الأولى، وأحيانا أخرى يترقب طويلا المزاج المناسب دون جدوى، عند ذاك يؤجل العمل إلى أن يصدح اللحن الأساسي بشكل ما في داخل المبدع، هذه الصلة بين المبدع وذاته من جهة، والمبدع والمتلقي- المترجم – من جهة أخرى، هذه العلاقة الأخيرة تقوم عادة على التجربة.

وهنا- كذلك- يكمن الفرق بين المبدع التقليدي الذي يقف عند تشكيل المشاعر والأوصاف الحسية، والمبدع الحداثي الذي يقف عند تكثيف اللحظات الشعورية لإيجاد الرابط الحقيقي الذي يصله بالمتلقي-المترجم-.إنها نظرة تواصلية جديدة تعبد الطريق أمام المترجم لكي يعي التعامل مع النص حين ترجمته، أي يضعه في الفضاء الإبستمولوجي المعرفي المناسب، حتى يستطيع أن ينقله نقلا سليما ولا أقول أمينا.

إن الحديث عن الصناعة في الإبداع، يقودنا إلى الحديث عن التجربة الذاتية للمبدع، فهما عنصران يلازمان المبدع، كون "النص الأدبي يحمل شحنة جمالية تضاف إلى

---

[1]-أنظر: عبدالعزيز قاسم –مقال –مجلة الفكر –السنة الرابعة –ع:7 –أفريل 1964 –تونس –ص:28-29.

مضمونه، كما أنه يكتب أحيانا بلغة معقدة يصعب على المترجم التعامل معها. وعادة ما يكتب النص الأدبي بلغة بعيدة عن مستوى اللغة العادي وأشكال الصياغة المألوفة زمن ثم تتطلب الترجمة كفاءة حقة وحسا أدبيا وفنيا. ومعايشة المترجم للأعمال الأدبية شكل من الأشكال التي تمكنه من نقل الأصوات والكلمات والجمل والصور.

باختصار كل ما في النص من عناصر جمالية، بأكبر قدر ممكن من الأمانة والانسجام بين صاحب العمل الأدبي ومترجمه أمر لابد منه. وإذا كان الكاتب حيا يفضل أن يقابله المترجم، وأن يعملا معا بطريقة ما. يقول م.كوانترو M.A.Cointreau في هذا الصدد إن: " الترجمة الأدبية عملية تعاطف عاطفي" ولا يكفي أن يكون المترجم مترجما ممتازا لكي يوفق في نقله للأعمال الأدبية إلى لغة أخرى،لأنه في حاجة إلى شيء آخر، هو موهبة الفنان المبدع ذاته.[1]

من هنا يمكن أن نستخلص أن النص الأدبي الإبداعي يركز على العناصر الأدائية الخفية، وهي الكلمة المعبرة الموحية التي تحمل أو تكاد تحمل المعنى، هذا المعنى الذي يكاد يكتمل حين الاتصال بقائله لأنه مهما كانت الألفاظ المعبر بها فإنها لن تستطيع أن تحوي المعنى الكامل الذي يدور في خلد المبدع، والذي يريد أن يستقر به في ذاكرة المتلقي– المترجم – ويمتعه به.

كذلك الموسيقى كعنصر أساسي في بعض أشكال الإبداع – الشعر مثلا– لأن المترجم عليه أن يحس الجمال فهو عنصر خفي يسري بين الكلمات في انسجامها الكلي مضافة

---

[1]–سامية أسعد–عالم الفكر–مقال–م.س.–ص:18.

إلى عنصر التصوير أو الصورة. في هذا الإطار الدكتورة سامية أحمد أسعد تطرح عددا من القضايا تخص تجربتها الشخصية في الترجمة حيث تقول:

[هل نترجم النص ترجمة حرفية، أي ننقل كلماته وجمله أم لا؟ وهل ننقلها بنفس الترتيب الذي وردت به في النص الأصلي أم لا؟.

هل نترجم الشعر الموزون المقفى إلى شعر موزون مقفى؟

ما الذي يمكن أن نترجمه: المعنى أم الصورة والإيقاع والموسيقى؟

هل ننقل النص نقلا أمينا أم نخونه بطريقة ما ؟

يتضح لنا أن الشعر بالذات يقبل الترجمة الحرفية، لأن جوهره لا يتمثل في المعنى، بل في وضع الكلمات والجمل بحيث ينتج عن انتظامها أثر وإيقاع معين، وعلى المترجم مراعاة هذا الانتظام وإيجاد مقام للصور، والإيقاع والأصوات التي يتضمنها النص الأصلي، مع مراعاة السياق العام للغة التي يترجم إليها النص.

على سبيل المثال، يعبر الشاعر الفرنسي على جمال المرأة بقوله إنها"جميلة كالوردة" في حين يعبر عنه الشاعر العربي بقوله إنها "جميلة كالقمر" وفي تنظيمه للنص، يستخدم الشاعر وسائل محددة كالتقديم والتأخير، والإيقاع السريع أو البطيء، وتوزيع عناصر القصيدة على الصفحة البيضاء.

وهذا نموذج من ترجمتنا لشعر بوا إيلوار:

La victoire de Guernica	انتصار جارنيكا
Beau monde des masures	عالم الأكواخ الجميل

De la mine et des champs	عالم المنجم والحقول
Visages bons aux feu visages bons au froid	وجوه تصلح للنار وجوه تصلح للبرد
Aux refus a la nuit aux injures aux coups	للرفض لليل للسباب للضربات
Visages bons à tout	أيتها الوجوه الصالحة لكل شيء
Voici le vide qui vous fixe	ها هو ذا الفراغ يثبت نظرته عليك
Votre mort va servir d'exemple	سيكون موتك مثالا يحتذى

وجدير بالذكر أن ترجمة الشعر تتم دائما بقدر من (الفاقد) قد يكثر أو يقل. ومهما كان المترجم حريصا على أن يكون أمينا في ترجمته،(يخون) النص بطريقة أو بأخرى.[1]

أعتقد أن هذه العناصر الفاعلة في النص الأدبي الإبداعي تدخل في إطار الخلفية المرجعية للمبدع، حيث تتشابك وتتداخل لتصنع الصورة في أرقى تجلياتها، تقدم للمتلقي – المترجم– ويتمتع بها وبتقسيماتها اللونية من جهة دون أن يتمكن من عزل عناصرها، وهي النظرة التي تصبغ النص الإبداعي الأدبي بلونه الحقيقي، وتضعه في مكانه الطبيعي بين الفنون الجميلة، وهي المكانة التي يبحث عنها هذا اللون من التعبير الجميل في كل اللغات.

---

[1]–سامية أسعد–ن.م .س.–ص:34–35.

وانظر:"بول إيلوار"–مختارات شعرية–ترجمة:د.سامية أحمد أسعد–دار الشؤون الثقافية العامة–ط:2–بغداد–1986-.

وكذلك،أنظر:أراغون–"إلزا" و "عيون إلزا"–ترجمة:د.سامية أحمد أسعد وفؤاد حداد–الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر–القاهرة–1970.

إن الصورة التي على المترجم أن ينقلها، ليست هذه الكلمات المتراصة فقط، وإنما هي كذلك المشاهد والفكرة والعاطفة والكلمة في تركيبها الحرفي، وهو ما يعرف في اللسانيات الحديثة بالمونيم والفونيم، كل هذه وغيرها تتفاعل في الخلفية المرجعية للمبدع لتعطي أثناء كمالها اللوحة الجميلة الناجحة.

يقول أبو القاسم كرو، وهو يتحدث عن الشاعر المبدع سليمان العيسى، إن المتلقي يحس وهو يسمع أو يقرأ هذا الشعر أنه يكاد يشاهد بعينيه لوحة مبدعة من الرسم، ويسمع بأذنيه– بل بقلبه وكل جوارحه– قطعة رائعة أخاذة من الموسيقى الساحرة،[1] وهو ما يؤكد ما ذهبنا إليه من أن التجانس بين العناصر في إطار النص الإبداعي الأدبي يقدم للمترجم لوحة فنية كاملة تقوم بتحريك مشاعره، وقد تفسد– إن صح التعبير- ميكانيزم العمل الترجمي إن كان المترجم لا يتذوق الفن الأدبي.

إن اللغة أيا كانت، تتضمن ثلاثة مستويات على الأقل: قواعد النحو والصرف، والخطاب الخاص أو الطريقة الخاصة التي ينتظم بها الخطاب في النص الأدبي– وعادة ما يتوقف مترجم النص الأدبي عند هذا المستوى– ومستوى ثالث لا يقل أهمية عن هذين المستويين، يمكن أن نسميه" الانتظام الجماعي للخطاب." وغني عن البيان أن النص ينتظم بطريقتين مختلفتين في اللغة التي يكتب بها واللغة التي يترجم إليها.

وحتى إذا كان المترجم لا يحتاج إلى عالم اللسانيات فمن مصلحته أن يألف مفاهيم علم اللسانيات لكي يوضح لنفسه ما يقوم به من عمل ويحاول تنظيره. ولنلاحظ أن مستوى

---

[1]–أبو القاسم كرو–الصباح–مجلة–تونس–7أوت 1959–ص:3.

المترجم لا يرتبط بدراسته لذلك العلم من عدمه. تقول م. ياجللو M. Yaguello في هذا الشأن:" أرى أن النشاط الترجمي قد يهم عالم اللسانيات، فهو الذي يستطيع في الواقع، استخلاص شيء من ظاهرة الترجمة، إما من زاوية اللسانيات الاجتماعية Sociolinguistique. أو على المستوى الفردي"[1] وجدير بالذكر أن الترجمة هي المجال الذي تلتقي فيه اللسانيات بالقضايا التي تهمنا.

إن المترجم الحاذق هو الذي يستطيع أن يفصل بين الموضوع – المضمون– مهما كان معقدا، وبين الأسلوب، لأن الأسلوب هو وسيلة الارتقاء بالموضوع البسيط إلى مستوى المواضيع الراقية، فموضوع الفلاح– مثلا– موضوع بسيط، يستطيع تناوله أي فنان مهما كان مستواه الفني، ويستطيع أن يعكسه المترجم في لغة أخرى مهما كان مستوى هذا المترجم، ولكن إذا ارتقى هذا النص ذو الموضوع "الفلاح" فنيا بطريقة غير مباشرة موظف فيه الأسلوب الإيحائي حيث يرتفع به إلى المستوى الفني العالي جدا سواء فيما يتعلق بالمضامين الخصبة المستمدة من واقع الفلاح، أو فيما يتعلق بالشكل الفني بالإيحاءات والإيقاعات الموسيقية الملتحمة بالمضامين التحاما قويا هو سر نجاح القصيدة في تفجير المأساة كما يعيشها الإنسان.

والتي تتمثل في حدودها الثلاثة، الفقر والمذلة وفقدان الرؤيا. ومن هنا نخلص إلى أن الترجمة الأدبية أو ترجمة النصوص الإبداعية " تتأرجح بين قطبين :

---

[1]– M.Yaguello- Actes des deuxièmes assises de la traduction littéraire -Arles1985-p:48.

الإخلاص للنص و متطلبات اللغة التي يترجم إليها النص فمن آلاف السنين و مترجم النص الأدبي يحتاج بصفة خاصة إلى شيء هام هو القدرة على تحليل النص الأدبي، أو الإدراك الأدبي للنص" على حذ قول س. زنس التي ترى ضرورة استيفاء مترجم النص الأدبي لأربعة شروط، هي:

1- معرفة اللغة الأجنبية.

2- معرفة اللغة التي يترجم إليها النص.

3- القدرة على التحليل والإدراك الأدبي.

4- رؤية النص من الداخل.

واستيفاء المترجم للشرط الأول أمر ضروري، لكنه لا يكفي لكي يكون مترجما. والشرط الثاني يمثل إحدى دعامتين تقوم عليهما الترجمة. ومن المؤسف أن تكون معرفة المترجم للغة التي يترجم إليها، وعادة ما تكون لغته الأم، نقطة الضعف في ترجمته في كثير من الأحيان. فالترجمة تفترض هنا معرفة المترجم اللغة التي يترجم إليها معرفة تامة، لماذا؟ لأنها بكل بساطة، الآلة التي سيعزف عليها مقطوعته الموسيقية.

على سبيل المثال كيف يدرس المترجم أسلوب كاتب ما، ومخالفته لقواعد اللغة، إذا كان لا يفرق بين النحو والصرف العاديين ورغبة الكاتب المتعمدة في مخالفة قواعدها وتمكن المترجم من لغته عامل هام لأن ترجمته بمثابة "رهان"على اللغة التي يترجم إليها.

إن عملية الترجمة تتسم بالخطورة والمخاطرة"[1] هذا من جهة، أما من جهة المبدع فعليه أن يعطي الصبغة التي تميز فنه عن جميع الفنون الأخرى، فليس عيبا – حسب رأينا– أن تقترب مثلا القصيدة النثرية أو الحرة من النثر الفني، ولكن شرط أن يوجد ما يميزها عنه. وأعتقد كذلك أن المميزات عموما تتمثل في الجانب الإيحائي والابتعاد عن المباشرة في اختيار الأساليب، وحسن استعمال الصور التي ترفع من القيمة الجمالية والفنية للنص الإبداعي، وتجعل له خصوصية لا نجدها في الفنون الأخرى.

الشكل و البنية / Forme et structure

من هنا وتطرح إشكالية الشكل و البنية، خاصة مع موضوع حداثية القصيدة وفكرة التجديد والحداثة والعصرنة، فكلما تجدد الموضوع تجدد الشكل، بمعنى أن التطور الذي يلحق بالمضمون يلحق أوتوماتيكيا الشكل، وهي علاقة أصطلح على تسميتها بالعلاقة الجدلية بين الشكل والمضمون.

حيث نجد كل المنظرين يقرون بهذه العلاقة رغم قدمها ورغم ما كتب حولها، إلا أنني أجدها علاقة ما تزال قائمة في الفن الإبداعي، مهما كان جنسه، رواية أو قصة أو شعرا أو مسرحية ...

إن اللغة لباس للأفكار يتغير كغيره من أنواع اللباس تبعا لتطور الإفهام وانتقال المجتمع من مرحلة في هذه الطريق الطويلة التي لا تنتهي، والتي رسمها التاريخ للإنسانية في سيرها. فهذه النظرة البسيطة أثارت جدلا طويلا بين المنظرين والنقاد

---

[1]–سامية أسعد–م. س.–ص:24.

الواقعيين، فإذا كان الواقعيون يعتبرون اللغة أداة ثانوية، موصلة للفكرة التي هي الأساس فإنه على عكسهم فإن المنظرين الجماليين يولون الأهمية القصوى للغة ويعتبرونها أساسا في العملية الإبداعية.

وأن المترجمين يجمعون بين القطبين فلا فرق عندهم بين ما تحمله اللغة فيجب الحفاظ عليه كما هو، واللغة التي يجب مراعاتها في أصلها ونقلها إلى الهدف مع مراعاة الخصائص الجمالية الإستتيقية الفنية.

يقول صامويل جونسون Samuel Johnson العالم اللغوي البريطاني الذي عاش في القرن الثامن عشر (1709–1784):" إن كثرة الترجمة لوباء جسيم يلاحق اللغة. فما حدث أن ترجم كتاب من لغة لأخرى إلا وخلفت لغته الأصلية آثارا على لغتنا. ولو أقيم مجمع لغوي لكان جديرا به – بدلا من تأليف القواميس وقواعد اللغة–أن يثبط ويحد من جور المترجمين، الذين إذا ما تركوا على دعتهم وجهالتهم لأدى بنا الأمر أن نرطن بلغة عشوائية ننطق بها دون أن نعني شيئا يعنى."

نلاحظ أن صامويل جونسون يشير إلى نقطتين هامتين، أو بالأحرى يمكن أن نستنتج من قوله نتيجتين نراهما هامتين :

الأولى تتمثل في كثرة الترجمة، ورغم أنه يراها سلبية، إلا أن الواقع أثبت عكس ذلك حيث نجد أن الترجمة خدمت اللغة الإنجليزية والأدب الإنجليزي على وجه الخصوص، أيما خدمة.

الثانية تمثلت في ذلك الخوف على اللغة الإنجليزية من اللغات التي ترجم عنها، وهذا الخوف مشروع بالنسبة لصامويل جونسون إذا روعي مستوى الترجمات الذي لم يكن يرقى إلى درجة الجدة.

وهذا معاصره الناقد الأدبي والمؤلف المسرحي، صاحب مسرحية "ناتان الحكيم" والذي عاش بين(1729 و1781)، جوتهورد إفرايم ليسنغ – يقف موقفا أكثر إيجابية عميقة من صامويل جونسون، حيث يقول في إشكالية الترجمة: " إن إخلاص المترجم يصير خيانة حين يؤدي إلى جعل الأصل معتما."ويضيف" نادرا ما يفهم مترجمونا اللغة، إذ أنهم يبغون أن يتعلموا فهمها أولا، وهم يترجمون ليتمرسوا، لكنهم من الدهاء بحيث يحصلوا على أجر في مقابل تمريناتهم.

إن الكتب الجيدة بحاجة إلى مترجمين مجيدين، وهؤلاء– فيما بيننا– أندر مما نتصور" كل هذه المواقف التصحيحية والتوجيهية والنقدية يختمها بموقف إيجابي يقول فيه" إنما علينا أن ندع الثناء لما يأتينا من ترجمات سويسرية ألمانية؛ فهي أصوب وأشد أمانة من سواها.ثم أنها غنية بالألفاظ الرصينة النافذة الأثر، وبالمأثورات المتبلورة.

" إن هذه الأقوال التقويمية – وغيرها مما سيأتي– هي التي أسست للنظرية الترجمية في الغرب، وهي التي جعلت اللغات الأوربية، خاصة الألمانية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية، في منأى عن الركاكة الأسلوبية التي مست جوانب من اللغات في أدبياتها من غير الأوربية.وهي التي جعلت أوربا تنهض في جميع المجالات– الثقافية والاقتصادية – لأن هذه اللغات تلاقحت عن طريق الترجمة المنقودة بطريقة علمية.

يقول فريدرش شلاير ماخر (1768-1834) Friedrich Schleier macher الفيلسوف اللاهوتي ذو النزعة الرومانسية المثالية، والذي قام بترجمة أفلاطون إلى الألمانية، يقول :"لعل تربتنا ما صارت أخصب ولا أغنى إلا بعد ما غرست فيها ألوان من زرعات أجنبية كما أن مناخنا ما صار أرق ولا ألطف إلا بفضل هذه الزرعات.

وهكذا نحس أن لغتنا ما أصبحت قادرة على أن تثمر طاقتها حتى آخر مداها إلا بأنواع ضروب الاتصال بالثقافات المغايرة؛ لاسيما وأن طبيعتنا الشمالية الكسولة لا تملك مثل هذه القدرة على تحريكها."،"ما أكثر أن طالعتنا الشكوك، أن مثل هذه التراجم تؤدي حتما إلى الإضرار باللغة ونموها العضوي السلس النابع من ذاتها، غير أن هناك ضرورة باطنة، تعبر بجلاء عن حافز كامن في الشعب الألماني، يدفعه دفعا إلى الترجمة بوفرة وغزارة؛ فلن نستطيع عودة أو نكوصا، إنما لابد أن نمضي ونجتاز.

إني مدين لك بالشكر والامتنان، فكأنك أتيت بالصورة التي يكون عليها إنسان إذا ما أنسلته أمه من أب آخر. إن من يسلم بما في اللغة من طاقة تشكيلية لها صفة التوحد مع خصوصية شعب ما، لا يصح أمامه إلا أن يعترف باستحالة التساؤل عن الكيفية التي كان يمكن أن يدون بها مِلف عمله، لو أنه كتبه بلغة مغايرة.

من ذاك الذي لا يفضل أنسال أطفال تتبدى فيهم عراقة العائلة صافية واضحة، على إنتاج آخرين غير شرعيين؟ ومن ذاك الذي يرضى على نفسه أن تبدو أضأل يسرا ورقة مما تستطيع، وأن تكون على الأقل بين الحين والحين، فظة جامدة، تزيد القارئ تنفيرا على تنفير، لمجرد ألا يفقد وعيه بالموضوع" ويختم شلايرماخر أقواله بهذا النقد

المحدد"لا أعتقد أن ترجمة"فوس لهوميروس، و"شليجل" لشكسبير لا تخدم سوى تسامر العلماء فيما بينهم."

وفي نفس الأفق يقول فيلهلم هومبولت فون [1767-1835] Wilhelm Humboldt Von مؤسس جامعة برلين وصديق جوته وشيللر،ورائد علم اللغة المقارن وفلسفة اللغة:" إن الترجمة من أكثر الأعمال إلحاحا في أي أدب- فهي وسيلة رفيعة لتوسيع مدى أهمية اللغة الوطنية والقدرة على التعبير بها." بل نستطيع أن ندعي أن الترجمة كلما كانت أشد سعيا نحو الأمانة ابتعدت عن الأصل." " يبدو لي أن الترجمة- على وجه الإطلاق – محاولة لحل مشكلة غير قابلة للحل فلا مفر من أن تفضي مساعي المترجم إلى الخيبة إما عن صَخرة النقل بدقة عن الأصل في مقابل التضحية بذوق ولغة بلاده، أو على صخرة التقليد بطابع أمته الخاص على حساب الأصل، أما العثور هنا على وسط فليس صعبا وحسب، بل يدخل في باب المستحيلات".

أما آرتور شوبنهاور (1788-1860) Arthur Schopenhauer الفيلسوف الألماني الذي عرف بنزعته التشاؤمية التي تقوم على إدراك الذات- في أعلى درجات وعيها- للحياة والذي تأثر بفلسفة بوذا ومن أشهر مؤلفاته (العالم كإرادة وتصور Die Welt als Wille. Und Vorstellung) فيقول في موضوع الترجمة :" إن مكتبة غاصة بالترجمات تساوي متحفا مليئا بصور منسوخة عن لوحات فنية، أما الترجمة عن أدباء العصور العتيقة فهي للأصول بمثابة البديل كما تكون قهوة السريس بديلا للقهوة الحقيقية".

وهذا فريدرش نتشه (1844-1900) Friedrich Nietzsche ، الفيلسوف الشهير بنظريته عن الإنسان المتفوق، وواحد من كبار شعراء الألمان، والذي من مؤلفاته على وجه الخصوص (مولد المأساة من روح الموسيقى. Die geburt der Tragodie aus dem Geiste der Musik) وإرادة السلطة (De Wille zur Macht يقول في موضوع الخيانة في الترجمة:" هنالك ترجمات تستهدف الأمانة، إلا أنها للتزوير أقرب من أن تعد تحريفا عفويا لمعاني الأصل".

ويقول كريستيان مورجنشترن (1871-1914) Christian Morgenstern الشاعر الفكاهي الساخر، والذي عرف بديوانه الألماني(أغنيات المشنقة- (Galgenlieder وله كذلك مجموعة قصائد جادة عنوانها (أفكار شعرية": (Gedane kenlyrik - إن شيئا من التدليل يكمن في الإعراض المبالغ فيه عن الترجمات السيئة والترجمات إطلاقا. فالأصول الكبرى تشع متكاملة حتى من خلال نقل ركيك لها."

أما يوهان فولفجانج فون جوته (1749-1832) Johann Wofgang Von Goethe عميد الأدب الألماني والذي ترجمت له إلى العربية رائعته الخالدة "فاوست"، وكذلك" آلام فرتر" و"الأنساب المختارة"و"الديوان الشرقي للمؤلف الغربي"و"إفيجينيا"، فله عدة أقوال في الترجمة نقتطف منها ما يلي : " المترجمون كالوسطاء النشطين، يطرون لنا جمالا نصفه محجب على أنه محبب؛ وهم يبعثوا فينا ميلا لا دفع له في التعرف على الأصل"،" للترجمة مبدآن: أحدهما يقتضي منا أن نستحضر مؤلفا غريبا على أمتنا بحيث نراه وكأنه منا، والآخر يفرض علينا أن نذهب للغريب ونضع أنفسنا في

ظروفه، وأسلوب لغته،وخصوصيته."،" إن ترجمة بسيطة هي أفضل ما يلائم التأثير على عامة الجمهور.

أما تلك الترجمات النقدية التي تنافس الأصول المترجم عنها فلا تكاد أن تصلح إلا لسمر العلماء فيما بينهم."،" إن شيئا كامنا في الطبيعة الألمانية يجعلها تحفل بكل ما هو أجنبي، وتتقبل غريب الطبائع والخصائص. وإن هذا- بالإضافة إلى طواعية لغتنا- هو علة ما في الترجمات الألمانية من أمانة وكمال فائق."،" مهما قيل عن عجز الترجمة، فإنها ستبقى من أخطر وأجل المهام في عموم العلاقات بين الأمم."

وهذا صامويل بتلر(1835-1902) Samuel Butler ، الأديب الإنجليزي الذي اشتهر بعد وفاته.أهم أعماله الروائية " "Erwhon وهي قصة طويلة رفع فيها القناع بروحه المستقبلية الساخرة جوانب الضعف في نظام الحكم في بلاده، ترجمت هذه الرواية إلى الألمانية تحت عنوان [Jenseits der berge] [وراء الجبال]، يقول في موضوع الترجمة:" إذا كان الأصل سلس الأسلوب طيع العبارة صار على الترجمة أن تكون كذلك، وإلا ما كانت سوى واجبا مدرسيا لا أكثر. وإني لأرجو وأعتقد أن أحدا لا يلحظ على ترجماتي أنها مجرد نقل عن لغة غريبة." "إذا قورن هذا اللون بترجمتي فهو منها كتحنيط جثة بالقياس إلى ولادة طفل.".

إن هيلير بيللوك (1870-1953) Hillaire Belloc والذي ولد في فرنسا، ثم توطن في إنجلترا،وصاحب مؤلف مكون من أربعة أجزاء عن تاريخ بريطانيا. كتب عدة كتب للأطفال منها"حديث مع قطة" conversation with a cat" "يقول:" أما إذا كان المترجم لا

يجيد تناول لغته الأم، ولا يعرف كيف يكتب بها، فلن يخرج سوى ترجمة سيئة مهما أجاد فهم الأصل." "وأنا الآخر أتمسك بالمبدأ القائل أنه على الترجمة أن تكون في مرتبة إنتاج وطني رفيع."

كذلك نجد فالتر بنيامين Walter Benjamin الذي ولد في برلين عام 1892 ووضع بيده حد الحياته الشريدة في عام 1940، بينما كان يلاحقه أذناب هتلر (الجستابو) على الحدود الإسبانية. من أهم مؤلفاته:"منبع التراجيديا الألمانية Ursprung der deutschen " Tragodie يقول في موضوع الترجمة:" ليس أرفع ثناء تطري به ترجمة هو أنها تقرأ وكأنها أصل مدون بلغتها. وإنما بالأحرى لأن دلالة الأمانة، التي تكتنفها حرفية النقل، تفصح عن شوق كبير إلى استكمال اللغة من خلال العمل المترجم."

أما الفيلسوف الإسباني أورتيجا إي جاسيت (1883-1955) Ortega y Gasset ، صاحب " ثورة الجماهير" و" كيان الأزمات التاريخية "، الذي أسس بعد عودته من المهجر إلى مدريد "معهد الإنسانيات" فيقول :" إني أتصور نوعا من الترجمة لا جمال فيه، كما هو العلم دائما؛ نوعا من الترجمة لا يدعي لنفسه عذوبة الأدب، ولا يسهل مطالعته، ومع ذلك فهو يتصف بالوضوح التام، حتى إذا كان هذا الوضوح يقتضي العديد من الحواشي والهوامش. إنه على القارئ أن يعلم سلبا أنه حين يقرأ ترجمة فهو لا يطالع كتابا ممتعا عذبا من الوجهة الأدبية،إنما يستخدم واسطة مساعدة فيما جهد وإرهاق."

ويقول الأديب اللاهوتي جوتفريد فون هردر(1774-1803)Gottfried Von Herder ، والذي كان له أثر في جوته الشاب، ومن أهم أعماله: " السيد Der Cid" " وأصوات

الشعوب في أغانيهم Stimmender Volker. in Liedern ويقول في موضوع الترجمة :"هناك عدة ضروب من الترجمات، كل منها يتوقف على الأديب المترجم عنه، والهدف من تقديمه."

أما العالم الفيزيائي والفيلسوف الناقد والأديب المتهكم ذو الأسلوب الرفيع، والذي عرفت عنه مأثوراته"Aphorismen" جورج كريستوف ليشتنبرج [1799/1717] George Chritoph Lichtenberg، فيقول:" أليس من العجيب أن الترجمات الحرفية غالبا ما تكون سيئة؟ ومع ذلك يمكن ترجمة كل شيء بصورة جيدة« .

إن مارتن لوثر (1483-1546) Martin Luther ، مؤسس حركة الإصلاح البروتستانتية ومترجم الكتاب المقدس إلى الألمانية، يقول"لا داعي أن نسأل اللغة اللاتينية عن كيفية التحدث بالألمانية، كما يفعل أولئك المعتوهون؛ إنما علينا أن نسأل الأمهات في دورهن، والأطفال في الأزقة والحواري، والسوقي في السوق، وأن ننظر إلى أفواههم ونترجم عنها؛ عندئذ سوف يعوا ما نقول، ويلاحظوا أننا نخاطبهم بالألمانية".

ويقول الكاتب السويسري الذي كان يرفع في معاركه الأدبية مع جوتشد Gottsched راية الخيال والإيهام في الأدب، جوهان جاكوب برايتنجر-(1701 Joh.Jak.Breitinger 1776) على المترجم أيعبر عن ذات المفاهيم والأفكار التي يجدها في نموذج رفيع، بعلامات مقابلة لها ومعروفة شائعة لدى شعب مغاير، بحيث يبعث تصور الفكرة في كلتا اللغتين انطباعا متساويا في نفس القارئ."

أما الأديب الإنجليزي الذي عاش في النصف الأول من القرن التاسع عشر، فرانسيس تايتلر Francis Taytler فيقول : " ليس يسيرا على مغلول أن يبدو حرا جذابا . فهو كلما كان أدق في اتباع النموذج، كلما أخفق عن إرجاع حركته الطبيعية غير المفتعلة."

وهذا ألكسندر فينيه (1797- 1847)، اللاهوتي البروتستانتي والناقد السويسري ، والذي كان أستاذ الأدب الفرنسي في أكاديمية لوزان، وله عدة مؤلفات عن تاريخ الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر، والثامن عشر، والسابع عشر، يقول: " كلما كان المترجم في اقتفاء أثر اللغة المترجم عنها عز عليه أن يعكس أسلوبها. ولعل المنهج الصائب أن يسأل المترجم نفسه: لو أنه تعين على المؤلف، كما هو بفكره وأسلوبه، أن يكتب بلغتي، أو بعبارة أصح، لو أن لغتي كانت لغته، كيف كان سيعبر عما أتى به؟."

ويقول راينر ماريا ريلكه Rainer Maria Rilke (1875-1926) وهو من كبار الشعراء الألمان في مطلع القرن الحالي، حيث قام برحلات عدة إلى الغرب والشرق كانت مصدرا لوحيه الشعري عمل فترة سكرتيرا لرودان Rodin في باريس وكتب أشعارا بالفرنسية والروسية فضلا عن الألمانية. زار مصر وتونس وأحب الشرق وحضارته حبا كبيرا، يقول:"مرات عدة وأنا أعالج الموضوع نفسه بالفرنسية تارة وبالألمانية تارة أخرى فيتطور مني – يا للعجب– على نحو مخالف في كل من اللغتين؛ وهو ما قد يتعارض كل التعارض مع صدق الترجمة."

أما جاكوب جريم (1785-1863) Jakob Grimm ، مؤسس علم اللغة الألمانية، وواضع قواعك النحو والصرف بالألمانية، وصاحب مؤلفات شهيرة حول الأساطير والمأثورات الشعبية في بلاده ، وهي التي جمعها بالتعاون مع شقيقه فيلهلم Wilhelm، فيقول عن الترجمة:" يتضح لي معنى الترجمة من مجرد التوكيد على لفظ المقطع الأول من الكلمة الألمانية Ubersetzen ist Ubersetzen، الترجمة إبحار من شاطئ لآخر.

فمن عزم إذن على ركوب البحر، وجهز سفينته بما يلزمها من رجال، ثم قادها حتى الساحل الواقع فيما وراء الأفق وهي منشورة الشراع،لابد أن يرسو على أرض مغايرة يهب عليها هواء آخر." ويقول كذلك :"لقد صار الغلو في تقدير ما نترجم بنهم عن أشهر الأعمال، عادة تلازمنا نحن معشر الألمان؛ حتى أن البعض يدعي أن من بين هذه الترجمات ما يسمح بإعادة إنشاء النص الأصلي لو افترض أنه ضاع."

أما الشاعر الألماني، الذي يميل إلى البساطة الشعبية، والذي له ديوان شعر، وهو مؤسس المجلة الأسبوعية"ساع قاندسبيك" "Wandsbeker Bote"، ماتياس كلاوديوس (1741815) Mathias Claudius، فيقول في موضوع الترجمة:"هذا محال. إن من يترجم يفقد من الأصل شيئا." وهذا الشاعر النمساوي الذي يمثل الاتجاه الرومانسي الحديث، والذي دون النصوص الشعرية لعدة أوبرات مثل:"فارس الورود [Rossen Cavalier] و"سيدة بلا ظلال "Fran Ohne Schatten" "والتي قام بتلحينها ريتشارد شتراوس، وهو الذي دون كذلك المقدمة الرائعة لأول ترجمة ألمانية كاملة لألف ليلة وليلة، يقول هوجو فون هوفمنستال [1929/1874] Hugo Von Hofmannsthal إني

أستنكف أن أقول لأولئك الذين لا يعلمون- سلفا- أن الترجمة، الترجمة الحقة، لا تختلف عن الكتابة في شيء. إذ أخشى أنهم- أيضا- لن يعلموا ما هي الكتابة."

ونختم جملة الأقوال والآراء حول موضوع الترجمة والمترجم، بما قاله فريدرش فون شللر(1759-1805) Friedrich Von Schiller، وهو من رواد الأدب الألماني حتى عتبة القرن التاسع عشر. عرف بصداقته مع جوته، واختلافه أحيانا معه في الرأي. من أشهر مسرحياته " دون كار لوس Don Carlis " و"قطاع الطرق [Die Rauber] و"فيلهلم تل .Wilhelm Tell له مجموعة من الدراسات القيمة في التاريخ والإستطيقا، ومن الأخيرة مقالة يعرفها كل دارس معاصر لتاريخ الأدب الألماني عنوانها:"حول الأدب الساذج والأدب العاطفي"Uber naive und sentimentale Dichtung، يقول شللر:" وإني لأفترض من الترجمة أن تتنسم العبقرية في لغتها، وليس في لغة الأصل."

- **إشكالية ترجمة النص الشعري.**

إن السؤال الذي يبقى مطروحا أمام المهتمين بالدرس الترجمي عامة و التنظيري خاصة هو: كيف يترجم النص الشعري؟ نلاحظ في البداية أن آراء المنظرين اختلفت، بل وتعارضت أحيانا، حول هذه النقطة، وأنهم لم يتوصلوا إلى استخلاص أية قواعد خاصة بها- وأغلب الظن أنهم لن يتوصلوا إلى ذلك أبدا- وأنه يتضح لهم أن ترجمة الشعر تخضع لقواعد وقوانين خاصة مستمدة من الشعر ذاته.

ولا نبالغ إذا قلنا أن لكل نص شعري قانونا خاصا وطريقة خاصة لترجمته، وإن لكل نص أو كل قصيدة جوهرا يختلف باختلاف الشاعر، ويتحتم على المترجم أن ينقله،

ونشير في هذا الصدد إلى قول جاكسون ماتيوز[1] J. Mattews. لهذا حاولت في هذا البحث أن أغوص إلى أعماق النص من الجوانب الفلسفية الإبستمولوجية، ولم أستطع أن أصل إلى تحديد أو تعريف دقيق للنص الإبداعي خاصة الشعري. فكلما كنت أقترب من هذا التعريف أو ذاك إلا وهرب مني خيط التحديد، الذي يبقى يتملص من بين أصابعي في ضموره وسط التعاريف القديمة منها أو الحديثة.

إن هذا الجنس الأدبي هو الذي يفرض نفسه على الناقد من جهة وعلى المترجم من جهة أخرى. فهو الذي لا ينفصل عن الصورة الشعرية ، وهنا يقع الاختلاف بين النص الشعري القديم والنص الشعري الحديث.

فالأول اعتمد على أداة الإطراب، حتى وصف بالشعر الغنائي. ففي علاقة الشاعر مع المتلقي(القارئ – الناقد – المترجم) تتجسد الصورة الكاملة كما جاءت به المدارس الحداثية، فالإيقاع الموسيقي لا يقصد لذاته بل لترجمة ألوان الصورة لتجعل المتلقي يرى التشابك اللوني بذاته، ويعيش الحدث بجميع حواسه، ويصبح لحمة واحدة مع النص الشعري في أرقى معانيه وبألوانه المختلفة، فإذا كان الاتجاه البنيوي - مثلا–في النقد يلح أصحابه على شكل وبنية النص، مما يجعل نقدهم كاملا من الناحية الفنية كونه يتعامل مع القالب والشكل والبنية فقط، فإن اتجاها آخر يرى إلى ذلك أن النص الشعري له رسالة فنية لنقل المشاعر ووجهات النظر، أي المضامين.

---

[1] Voir, J. Mattews-Pour la poétique II -Gallimard-1973-p:355.

إن النص – القصيدة – ليس تجددا في الشكل فقط يريد أن يحل محل النص الشعري العمودي، بل هو مضمون قادر على مسايرة الركب والتطور الاجتماعي عاكسا الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية وكل ما له صلة بالحياة المادية للإنسان، وهو تجذر في الأوساط الثقافية، يلبي الحاجيات والمطالب الثقافية والإستتيقية، وهو خلاصة عميقة شفافة تكتنف القلب والعين والعقل، إنه معاناة كاملة، واعية للتجربة، ولمعطيات الواقع دون تزييف ولا حذلقة ولا تكلف.

إن القلب والعين والعقل يكتسبهما الباث والمتلقي وبهما يستطيع الإنسان أن يلمس الفن، أو أن يقرأه في صوره المتجلية ومعطياته الخلاقة أما التجربة والواقع فهي التي تبني النص القصيدة وتعطيه بناءه المعماري، الذي يبهر المتلقي دون النظر أو المساس بصاحبهن وهي النظرة البنائية للنص الشعري." وعلى ذلك فقيود الوزن والقافية التي خلفها العرب ليست وحيا يوحى، وإنما أصول فنية عاش الشعر في إطارها ردحا من الزمن. وإذا كان الشعر لا يفقد بها حريته، فليس معنى ذلك أن القيود والصور الفنية التي اختارها صناع الشعر وفنانوه الأوائل وجب الإيحاء عنها، أو الجمود فلا تتطور مع تطور الشعر، ومع تطور الذوق الموسيقي والفن عند الشعراء وأرباب فن القول[1]"

وقد نفهم في هذا الصدد أن غلاب من خلال قوله معجب بالشعر الجديد انطلاقا من ثلاثة أشياء(الصورة – الخيال – المضمون) وهي الأشياء التي على المترجم في المقام الأول إدراكها والأخذ بها.أما البناء الجمالي فهو لا يصل إلى روعة القصيدة القديمة

---

[1]–عبدالكريم غلاب–في الثقافة والأدب–مطبعة الأطلس–الدار البيضاء–المغرب–1964–ص:167-168.

وهي الظاهرة التي يجب كذلك أن يعيها المترجم أتم الوعي، وأن لا يسهى عليها مهما كانت ظروف النص الصعبة والقاسية المسلك في أغوارها التي عليه أن يفكها في اللغة الأصل كما عليه واجب فكها في إطار نقل هذا النص إلى لغة الهدف، ويقصد بالبناء الجمالي شكل القصيدة.

- **البناء الشعري**

إن التطور الهام الذي عرفه النص في منتصف هذا القرن كان انطلاقا من معايير قد لا تكون أدبية ، حيث لم يظل النص على التقاليد الكلاسيكية القديمة والتي تتناسب وبنيته في تلك الفترة، فليس من الضروري أن تقوم بنفس الدور الآن، ومن هنا جاء التفكير– مثلا– في التخفيف من ثقل الأوزان التقليدية بالنسبة للنص الشعري الأوربي إبداعا وترجمة. إن "الطريقة التي نقلت بها الأبيات الشعرية في (ألف ليلة وليلة) إلى اللغات الأجنبية. وكان أ.كاري قد أكد عليها في كتابه عن كيفية الترجمة. عرف الغرب كتاب (ألف ليلة وليلة) عندما نقله أ. جالان A.Golland إلى الفرنسية في القرن الثامن عشر، وقدمه في إطار سحر الجمهور آنذاك، لأنه أدخل على النص المترجم بعض المحسنات البديعية، وحذف منه كل ما يمكن أن يكون فاضحا.

وعندما أعاد ماردروس Mardrus ترجمته عام 1900، أعاد إليه الأجزاء التي كان جالان قد حذفها منه. وفي عام 1885– 1886 قدم ريتشارد بورتون ترجمة تشيع فيها روح القصص الشرقية وكان قد عاش في الشرق وعرف البلاد العربية معرفة جيدة.

لذلك رسم الأحداث التي تعيشها الشخصيات، ولم يحذف منها شيئا، وأكد على الأجزاء الشائكة في النص الأصلي وقدم للقارئ هوامش وثائقية تعينه على القراءة.

يقول إيميليو صولا عن علاقة الأمير عبدا لقادر بريتشارد ف.بورتون

Richard F. Burton "muy sugestiva la imagen del emir Abdelkader desterrado en Damasco y asidio, en torno a 1870, a los salones de Richard F. Burton, el gran arabista, militar y diplomatico ingles, traductor de las mil y una noches en su retiro de Trieste, del Kama Surta y del Ananga Ranga, como el sufi qadiri' y al que le uni'o una grande y respetuosa amistsd."[1]

وتوجد كذلك ترجمة بالروسية قدمها ساليه Salie في أكثر النصوص إخلاصا للنص الأصل وإن افتقرت إلى الحيوية والمرح اللذين يعيشان في النص الأصلي. وتجدر الإشارة إلى أن المترجم الروسي نجح فيما لم ينجح فيه أحد من المترجمين من قبل، ألا وهو نقل أبيات الشعر إلى النص المترجم بنفس البحر الذي كتبت به في النص العربي. وهكذا، قدمت كل ترجمة لكتاب (ألف ليلة وليلة) صورة تتفق مع ذوق عصرها وإمكاناته.

فلقد ترجم ماردروس أبيات الشعر الواردة في النص الأصلي لأنه أدرك أن وجودها بين مختلف أجزاء النص يعطيه مذاقا خاصا، في حين حذفها جالان بكل بساطة. وعندما كان هذا الأخير يدرك أنها لازمة لفهم النص، كان يلخصها بقدر الإمكان، ويدخلها في النص في شكل نثر عادي.

ومترجم القصيدة يمكن أن يترجمها نثرا أو شعرا...بشرط أن يحتفظ بجوهرها أي بالعناصر المكونة لشاعريتها، ألا يترجمها كما لو كانت نثرا، على حد قول نيدا.[2]

---

[1]– Emilio Sola-Argelia,Entre El Desierto y El Mar- Coleccion El Magreb-p:244.

[2]–سامية أسعد–عالم الفكر–مقال–ترجمة النص الأدبي–ص:35.

لولا هذا الاجتهاد في ميدان الترجمة لما وصلت "**ألف ليلة وليلة**" إلى العالم، ولما كان لها هذا الصدى والتأثير، وهي تجربة رائدة أخذ بها الكثير من المترجمين في أعمالهم حين نقلوا أمهات الكتب المكتوبة بالعربية إلى اللغات الأوربية.

وللترجمة دور فعال، يقول ف.لاربو V.Larbaud لكل نص صوت، وحركة، ولون، وجو خاص به. وإذا أغفلنا المعنى المادي والحرفي لأية مقطوعة أدبية، وجدنا فيها معنى خافيا إلى حد ما، شأنها في ذلك شأن أية مقطوعة موسيقية. وهذا المعنى وحده هو الذي يولد فينا الإحساس الجمالي الذي سعى إليه الشاعر.

وتتمثل مهمة المترجم في نقل هذا المعنى بالذات وإذا عجز عن القيام بها، فليكتف بأن يكون قارئا. وإذا أصر على أن يكون مترجما، فليتجه إلى مادة مخطوطة أو مطبوعة، ككتب الفلسفة والتاريخ والأبحاث العلمية، والوثائق القانونية والتجارية، إذا اقتضى الأمر...لكن ليدع فيرجيل Virgile، وكل ما هو أدب، في حاله. ولكي ينقل المترجم هذا المعنى الكامن في الأعمال الأدبية عامة، والشعر خاصة، يجب أن يفهمه أولا، لكن لا يكفي إذ لابد من إعادة خلقه أو إبداعه.[1] إنه" ولولا الترجمة التي خاضها المترجمون على مر السنين، من الناحية العلمية، عندما نقلوا النصوص الشعرية إلى لغات أخرى، لما وصلت إلينا وإلى غيرنا أسماء الشعراء وأعمالهم.

---

[1]–أنظر :-.V.Larbaud-Sous l'invocation de Saint-Jérôme-Gallimard-1946-p:6970

- **البناء الصوتي**

أما من حيث الترجمة فنحاول الآن أن نربط بين البناء الشعري عند العرب وعند غيرهم، ونقصد بالبناء هنا البحور الشعرية المعتمدة عند العرب وعند الغرب، وقبل هذا نحاول المقارنة بين حروف العربية والإنجليزية مثلا" فالمقارنة النظرية بين اللغتين تظهر أن تسعة عشر حرفا إنجليزيا من أصل ستة وعشرين لها ما يقابلها في العربية وهي : أ- ب- ت- ث- ج- د- ذ- ر- ز- س- ش- ف- ك- ل- م- ن- هـ - و [W] – ي [Y]، وستة حروف عربية أخرى خشنة تقابل في الإنجليزية- وفي العربية نفسها- ستة حروف رقيقة، وكأن الحروف الأولى تضخيم لهذه الأخيرة كما يظهر فيما يلي:

1- (t) ت 2- (d) د 3- (th) ذ 4- (c-s) س 5- (k) ك

6- (h) هـ حـ[1] . من المعروف أن الإحصاء النظري، لا العملي، لحروف اللغتين العربية والإنجليزية يظهر تقارب عدد حروفها، فهي ستة وعشرون في الإنجليزية، وثمانية وعشرون في العربية، أو تسعة وعشرون إذا عددنا الهمزة حرفا، وهو الأفضل لأن الألف مجرد حرف ساكن، أما الهمزة فحرف صائت حلقي كالعين والحاء والهاء فالاختلاف واضح وقوي- هذا هو الإحصاء النظري – وهو إحصاء ناقص ومخادع عن الواقع العملي للغة.

---

[1]-كارم السيد غنيم-عالم الفكر-مقال-ص:48.

إن حركات الفتحة والضمة والكسرة في العربية ليست في حقيقتها – على ضوء واقع اللغة الإنجليزية – إلا حروفا ساكنة كحروف الإنجليزية [E.A.O]، وأن التنوين فيها أيضا حرف آخر مركب من ألف قصيرة ونون، أو واو قصيرة ونون، أو ياء قصيرة ونون، أو إذا شئنا الاختصار، هو نون تضاف إلى أحد السواكن القصيرة الثلاثة – أي الحركات– في آخر الاسم النكرة أو العلم المنصرف، إذا وصفنا الألف والواو والياء بأنها المقابل الطويل لهذه السواكن القصيرة.

وتصل الإنجليزية إلى تلك السواكن الطويلة بتكرار القصيرة، فالحرف [O] ساكن قصير فيما يتحول إلى ساكن طويل بتكراره كما في (boot) أو بإضافته إلى ساكن قصير آخر مجانس له كما في.(four) وإذا كانت الإنجليزية لا تملك قاعدة نهائية للتمييز الكتابي بين الساكن الطويل والساكن القصير، فقد يتحول القصير كتابة إلى طويل لفظا كما في (for) التي لا يختلف لفظها عن (four) ذات الساكنين المتجانسين – أو الساكن الطويل – بينما لا يحقق اجتماع الساكنين في بعض الكلمات أي طول لأحدهما، سواء أكانا متجانسين أم شبه متجانسين كما في(curtain) أم متجانسين كما في(does) وكما عمل العرب "من الأفاعيل قوالب لأبنية الشعر وأرقاما للمتحرك منها والساكن يعبرون بها عن الموزون.

كذلك سمى الهند لما تركب من الخفيف والثقيل بالتقديم والتأخير وحفظ الأوزان في التقدير دون تعديد الحروف ألقابا يشيرون بها إلى الوزن المفروض"، والبيت الشعري

عند الهنود يتكون كما هو في العربية من شطرين، يسمى كل واحد منهما رجلا" وهكذا يسميها كذلك اليونانيون أرجلا".

يثني البيروني من ثم على الخليل بن أحمد لأنه كان موفقا في الاقتضاب، ولكنه لا يستبعد أن يكون الخليل قد سمع عما لدى الهند من موازين شعرية، كما ظن به بعض الناس. وصلة الخليل بالثقافات الأجنبية – سواء أكانت هندية أو يونانية–موضوع تحوم حوله الظنون، ولم يكن البيروني منفردا في الإشارة إليه. ولعل الأسطورة التي رواها الزبيدي إنما هي تعبير غير مباشر عن الظن في أنه كان يعرف اليونانية، فقد قال الزبيدي: "ويروى أن ملك اليونانية كتب إلى الخليل بن أحمد كتابا باليونانية، فخلا بالكتاب شهرا حتى فهمه، فقيل له في ذلك، فقال: قلت إنه لابد من أن يفتتح الكتاب باسم الله أو ما أشبهه، فبنيت أول حروفه على ذلك، فاقتباس لي." ولما تحدث شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري أستاذ الصفدي عن عروض الشعر اليوناني، قدر أن الخليل ربما وصل إلى شيء من عروض اليونان."[1]

- **صعوبة النص الشعري**

تتفاوت درجة صعوبة الشعر مع طبيعته وأغراضه " فالشعر التعليمي" أسلسه قيادا وأكثره مرونة في الترجمة، ولا يفقد شيئا حين ينقل من لغة إلى أخرى إذ أن ميزته الأساسية في تدرجه المنطقي أو في المدركات العقلية التي يحويها وينبثق بعضها من بعض بسلسلة من تداعي الأفكار إلا إذا كان في القصيدة زخرف وتوشية فإن شئنا من

---

[1]–.إحسان عباس–ملامح يونانية في الأدب العربي–ص:33–34.

هذا يفقد في الترجمة"[1] أما في الشعر الغنائي [Lyric] فالصعوبة أعظم، حيث الأفكار أقل انتظاما والخيال أكثر اتساعا ومحاولة ترجمته نثرا قد تعطي صورة مضحكة عن الأصل إذ ينقلب كل ما هو من المحسنات في الشعر إلى معائب في النثر فلا أخيلة الشعرية الرائعة تمسي في النثر مجرد هذيان وصور مبعثرة لا رابط بينها.

إن النتيجة التي نستخلصها هي أن المترجم الاعتيادي لا يستطيع أن ينصف شاعرا بترجمة قصائده نثرا وبعبارة أوضح، لا يستطيع ترجمة الشعر إلا شاعر؟؟ حيث يعتمد الباحث هنا على رأي الجاحظ في ترجمة الشعر، ويضيف الباحث من خلال تحليله لإشكالية ترجمة النص الشعري وصعوبتها، حيث يقول إن التوصل إلى سلاسة التعبير في ترجمة الشعر ولا سيما الغنائي أيسر منه في النثر إذ أن الشعر الغنائي يجيز حرية التصرف أكبر وأعظم مما في أي صنف من صنوف الشعر الأخرى وكلما ازدادت الحرية في الترجمة اقتربت المترجمات من سلاسة القطع الموضوعة. وإذا كانت الحرية معقولة فالنتائج التي تجنى منها تكون طيبة أما إذا زادت كان النتاج هو ما يعرف بالـــ [Paraphrase] أو الترجمة التفسيرية ثم إذا ما تعدت الحدود كلها غدت مجرد تقليد[Imitation][2] .

إن صعوبة النص الشعري تتمثل في كونه يخضع لعدة مقاييس وخاصة مقياس الإيحاء، أو الاستعارات والكنايات و التشابيه البليغة، فالقارئ لا يتوصل إلى المعنى الدال الحقيقي بنسبة كاملة، مهما أوتي من معرفة، والدليل على ذلك النص الشعري العربي

---

[1]– صفاء خلوصي–م.س.–ص:36.

[2] –ن.م.س.–ص:37.

القديم، الذي تعودنا قبل أن ندرسه في بنيته وشكله، وجب علينا أن نتعرف وعن طريق المنهج التاريخي والمنهج الاجتماعي، على حياة ونسب صاحب النص، ومحيطه الثقافي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي. بهذه الفكرة تغذى الفكر العربي الناقد، حيث لا يستطيع رغم هذه المعطيات أن يصل إلى فك رموز القصيدة.

- **إشكالية ترجمة النص المسرحي.**

إن النص المسرحي شكل من أشكال الفنون، يظهر فيه المبنى بشكل أكثر من الفنون الأخرى، فقط لأنه يجسد على الخشبة، وقبل هذا يجسد في شكل سيناريو ليقدم للتمثيل.

إن الحدود التي تفصل بين الترجمة والاقتباس من ناحية، وصياغة نص مسرحي جديد من ناحية أخرى، حدود غير واضحة المعالم، و لهذا رفض كثيرهم وصف النصوص التي لا تبقي على شيء من أبنية المسرحية أو مادتها الأصلية بأنها نصوص مترجمة أو مقتبسة.

نشير في هذا الصدد إلى ارتباط النصوص المترجمة والمقتبسة عامة بجيل معين من المتفرجين، وبيئة اجتماعية محددة، مما يجعلها تبلى أكثر من النصوص الأصلية.

فلقد ترجمت مسرحيات شكسبير نذكر منها ترجمة الدكتور محمد عناني لمسرحية "تاجر البندقية" إلى العربية، وما زالت تترجم مسرحيات موليير. لكن الترجمة تمضي ويبقى النص الأصل سواء لشكسبير أو لموليير أو لغيرهما ممن أبدعوا في مجال المسرح.[1]

إن ترجمة النص المسرحي لا تعني وضع الجمل جنبا إلى جنب، أو ترجمة نص بعينه، بل يجب أن تبدأ العملية بهضم المترجم للنص الأصلي، وفهم معانيه، والشحنة الإعلامية

- أنظر: - M. Gravier -La traduction des textes dramatiques -in Etude de linguistique appliquée- Octobre -Decembre 1973-P: 44.

والانفعالية التي يحملها، والتشبع بالروح المحلية، فمترجم النص المسرحي لا يكتفي بنقل مضمون الجملة التي تنطق بها الشخصية في النص الأصلي، بل عليه أيضا مساعدة المتفرجين على حدس النوايا الكامنة وراء نص هذه الجملة.

بعبارة أخرى عليه مساعدة القارئ أو المتفرج، لا على فهم ما تقوله الشخصية فحسب، وإنما على فهم الأسباب التي تجعله يقولها أيضا، على سبيل المثال في المسرحية "الملتزمة" توجه الجملة بحيث تخدم نظرية بعينها يريد الكاتب الدفاع عنها.

والجملة في المسرحية النفسية تساعد على رسم خطوط الشخصيات، إذ يجب أن يدرك المترجم كل هذا وأن يكون على وعي به عند القيام بعمله، كما يجب أن يدرك أن الحوار لا يتكون من مجموعة من الجمل فقط، بل يعتبر كلاما متكاملا له منطق وإيقاع خاص به، وأفكار وتراكيب خاصة به أيضا.

ويتضح من هذا المنظور أن الجملة ليست سوى نغمة واحدة في مقطوعة موسيقية متكاملة، ولنذكر بأن للنص المسرحي، شأنه في ذلك شأن أي نص أدبي، موسيقى خاصة يجب أن ينتبه لها المترجم.

ولكي يتوصل المترجم إلى صياغة نص ممتاز، يتحتم عليه الدخول في عالم المؤلف الحميم، وامتلاكه حسا مسرحيا، ومترجم النص المسرحي يشعر أكثر من غيره من المترجمين بالقلق، وعدم الأمان عندما ينتقل من كاتب إلى آخر.

فالترجمة المسرحية تتحول في نهاية المطاف، إلى محاكاة حقيقية، بالمعنى الأرسطي لهذه الكلمة ويعني هذا أن على المترجم الاقتراب ما أمكن من الكاتب الجديد الذي يترجم لـــه، والاستسلام له، بطريقة ما ومعايشته، والتحدث معه، والتنفس معه أيضا.[1]

هذا النمط من التعامل مع النص وصاحبه يجعل المترجم يغوص في المعنى الـــذي أراده الكاتب الأصلي للنص، ورغم ما ذهبت إليه سامية أسعد إلا أنني أعتقد أنـــه لا يجـــب أن نبالغ في هذا الطرح لأنه ينفر ويخوف – حسب رأيي– المترجم من التقرب والغوص في النص مخافة الابتعاد عن المعنى الحقيقي الذي أراده صاحب النص.

ولكن والحال كذلك ولأن الإشكالية موزعة بين المهتمين بالترجمة سواء من حيث الجانب النظري أو الجانب التطبيقي فإني أدعو المهتمين إلى عدم الاهتمام والمبالغـــة فـــي هـــذا الاهتمام حتى لا يصبح معوقا في وجه المترجم.

أعتقد أن هذا الموقف هو الذي جعل النواحي العلمية والأدبية في العالم العربـــي متـــأخرة بهذا الشكل الذي هي عليه.ومنه أوجه ندائي كباحث إلى كل المهتمين بالموضـــوع إلـــى التقرب إلى النص ومحاولة خلخلته وتفكيكه و الاستعانة بما قدمتـــه المـــدارس الأوربيـــة وخاصة المدرسة الألمانية في ميدان تفكيك النص.

وأن لا ينطلي علينا ما يشاع من أن اللغة العربية بعيدة في شكلها عن اللغـــات الأخـــرى خاصة المشتقة من اللغة اللاتينية. أقول هذا لأننا نتعامل مع هذه اللغـــات –فـــي بعـــض الأحيان–أكثر مما نتعامل مع اللغة العربية.وأن التعبير ما هو إلا وســـيلة مـــن وســـائل

• [1] –أنظر: سامية أسعد– عالم الفكر –مقال–م.س.–ص:28.

الإبلاغ، إبلاغ الرسالة على حد تعبير رائد اللسانيات الحديثة العالم السويسري فردينان دو سوسير.

إن البحث على التعرف على صاحب النص هو خوف من النص نفسه. وهي فكرة أعتقدها منتشرة بين المترجمين حتى وجدتني حين تعاملي مع اختيار النص الذي نقوم بترجمته مع الطلبة، وعندما أقترح عليهم بعض النصوص التي لا يعرفون حياة صاحبها تراهم يتهربون منها ويسألونني عن صاحب النص قبل السؤال عن الطريقة أو الجنس الذي ينتمي إليه هذا النص أو ذاك.

والنص في حقيقته مستويات متعددة ، خاصة النص المسرحي، فلغة الشخصيات تختلف في المستوى البلاغي وفي المستويات الأخرى، فالاصطلاح (raisonneur de comédie) والذي ترجمته بـ (المعقب في الكوميديا) والذي يقصد به ما تنطق به إحدى شخصيات المسرحية على لسان المؤلف كما هي الحال بالنسبة للكوميديا عند موليير حيث يوظف في غالب الأحيان شخصية تتحدث باسمه.

وهذا هو الذي يجعل المترجم في حيرة من العمل الترجمي، فإما أن يترجم المسرحية كلها بلغة واحدة، أي بمستوى واحد من اللغة، وإما أن يتفهم النص جيدا، ويحاول ترجمته بمستويات لغوية مختلفة، يلائم كل منها الشخصية أو الشخصيات المذكورة في المسرحية. ولاشك أن الحل الأول هو الأسهل، وأن الحل الثاني يتطلب جهدا، وإبداعا حقا، ينشأ عنه الانسجام بين شكل المسرحية ومضمونها.

ولأن المسرح أنواع نجد أن مجال الكوميديا تلعب فيه هذه المستويات دورا هاما فطن إليه الكتاب منذ البداية.فالشخصية التي تتكلم لغة غير لغتها الأصلية – الخواجة أو التركي أو الصعيدي–تخلف أثرا كوميديا أكيدا. وهو ما نجده كذلك في النصوص الجزائرية فلو أخذنا بعض ما أنتجته السينما الجزائرية من أفلام اجتماعية خاصة التي تعالج مواضيع في قالب فكاهي من مناطق مختلفة، فشخصية المفتش الطاهر –مثلا– في الأفلام التي مثل فيها تبدو لغتها تختلف عن اللغة الأصل، ولا أقصد هنا اللغة العربية، وإنما اللغة المتكلمة في الجزائر، حيث تبدو للمشاهد الجزائري وكأنها متكلفة، وفي الواقع هي لغة عادية لمنطقة جيجل.

فلو استعمل المخرج اللغة الفصحى في مثل بعض المواقف الكوميدية لتهدم الحس الكوميدي تماما، وهذا ما يتفق ورأي محمد مندور.

نتساءل هنا و في هذا الموضوع عن كيف يمكن أن تترجم مسرحيات ج.فيدو G.Feydeau إلى العربية الفصحى. ويمكن أن تترجم اللهجة التي يتكلم بها أبطال م.بانيول M.Pagnol – وهي لهجة أهالي مارسيليا– إلى العامية كما يتكلمها أهالي بور سعيد أو الإسكندرية أو السواحلية أو الفاسية أو التلمسانية.

ورغم أنني – تقول سامية أسعد– قمت بمراجعة الترجمة العربية لمسرحية ألفريد جاري A.Jarry أوبو ملكا، فأنا أرى أن ترجمتها إلى الفصحى خيانة تخل بالمعنى، وأن الأفضل هو أن تترجم إلى العامية، عامية يلعب بها المترجم ويتلاعب، على نحو ما فعل جاري Jarry في مسرحيته.

وقد يسأل سائل: كيف يمكن أن تتعايش كل هذه المستويات اللغوية في النص الواحد؟ ونرد بقولنا– تواصل سامية أسعد– أن هذا ممكن، لأن المهم هو المواءمة بين المستوى اللغوي، والشخصية، والموقف الذي توجد فيه، بعيدا عن أية محاولة لنقل الواقع كما هو.[1]

إن اتباع طرق البحث الترجمي سواء من حيث التنظير أو التطبيق، وجب أن يسلك خطوات لامناص منها، خاصة إذا كان النص المراد ترجمته يميل إلى التراث. هذه الخطوات أجملتها في التالي:

العودة بالبحث إلى ما ألف سابقا في اللغة المنقول إليها، ومحاولة إيجاد الغطاء اللغوي للعبارة أو اللفظ المراد ترجمته.

في حالة التعذر يجب أن يكون للمترجم الشجاعة الكافية لاقتباس اللفظ من اللغة المنقول منها، وكتابته كما هو بحروف اللغة المنقول إليها.

تطويع الحرف بتقريبه من النطق باللغة المنقول إليها.

الاشتغال على خلق اللفظ الجديد إذا لم يكن موجودا في اللغة الهدف.مع مراعاة القواعد اللغوية في اللغة الأصل.

الاشتغال على الاشتقاق ومحاولة تكسير القواعد الجاهزة والتي في كثير من الأحيان تقف حجرة عثرة في وجه المشتغل على اللغة عموما والمشتغل على الترجمة خصوصا.

يمكن الاستفادة هنا بما قام به بعض الأساتذة من الجامعات العالمية ويمكن أن نذكر هنا العمل الجبار الذي قام به أساتذة جامعة دمشق منذ عام 1960.ومجمع اللغة العربية

• [1] –أنظر: سامية أسعد –عالم الفكر –مقال –م.س.–ص:30–31.

بالقاهرة الذي أنشأ بمرسوم عام 1932 تحت اسم "مجمع اللغة العربيـــة الملكـــي"، وفـــي 1938 عدل اسمه إلى "مجمع فؤاد الأول للغة العربية" أصدر هذا المجمع العدد الأول من مجلته مطلع عام 1935. اشتغل كثيرا على ترجمة المصطلحات العلمية إلى اللغة العربية، وقد اتبع في ذلك منهجية رائدة تمثلت في النقاط التالية:

الاستعانة بالخبرات وأساتذة الجامعات في مجال اختصاصهم.

عقد اجتماعات معهم للتوصل إلى ما يرونه مناسبا من المصطلحات.

عرض هذه المصطلحات على أعضاء المجمع في "مجلس المجمع".

عرضها على "المؤتمر العام" الذي ينعقد مرة كل سنة.

ينضاف إلى كل هذا ما قام به الباحثون في سوريا حيث كان لهم صيت كبير في ترجمـــة المصطلح العلمي، وتم تأسيس وافتتاح المدرسة الطبية العربية في دمشق في 12 كـــانون الثاني 1919، ودرس بها علماء لغويين نذكر منهم الأستاذ ميشيل شامندي الدمشقي (أستاذ سابق في مدرسة الطب العثمانية – اسطنبول)، والأستاذ مرشد خـــاطر (مـــن خريجـــي المدرسة الطبية الفرنسية في بيروت)، والدكتور عبدالرحمن شهبندر (من خريجي الكليـــة الأمريكية في بيروت) ,غيرهم.. ونستشف من تجربة هذه المدرسة أن الأمور التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في البحث عن المصطلح هي أن يضع الباحث جذاذة Fiche لكل مصطلح ويدرج فيها:

منشأ الكلمة و اشتقاقاتها الأخرى.

ما يمكن أن يقابلها في اللغات الأخرى.

ما استعمل من الكلمات العربية مقابلها في الكتب المطبوعة والمخطوطة.

ما كان يستعمل مقابلها أو في معان مقاربة لها في الكتب التراثية.

ما يوجد في القواميس من الكلمات الملائمة لمعانيها.

وعلى هذا النحو سار علماء اللغة في وضع المعاجم متعددة اللغات، فالمعجم الطبي الموحد ثلاثي اللغات (إنجليزي/عربي/فرنسي)، والذي تمت طباعته بسويسرا بعد أن أضاف إليه الدكتور محمد هيثم الخياط مسردا عربيا- إنجليزيا، ليفيد به المشتغل العربي في ميدان البحث عن المصطلح الطبي، لحاجة العرب للطب المتأخر عن الدول الأخرى.وقد أضاف إليه كذلك مجموعة كبيرة من الصور التوضيحية في آخر القاموس، فأصبح هذا المؤلف أحسن من طبعاته الأولى، وقد شمل هذا المعجم حوالي 23000 مادة لغوية في 760 صفحة وعلى 15000 لفظ إضافي وضع في المسرد العربي والذي رتب على القاعدة الهجائية.

أما معجم العلوم الطبية لصاحبيه الأستاذين أحمد حمدي الخياط ومرشد خاطر ، فهو معجم ثنائي اللغة (فرنسي/عربي) طبع عام 1974، يضم حوالي 604 من الصفحات، تحتوي كل صفحة ثلاثة خانات، حيث اقتصر فيه الأستاذان على المواد اللغوية من الحرف اللاتيني A إلى الحرف اللاتيني E. ولم أستطع الحصول على معلومات حول تتمة المواد اللغوية الأخرى من الحرف اللاتيني F إلى الحرف اللاتيني Z.

الطريقة التي تم بها اختيار المصطلح العربي في المعجم العربي الموحد.

استعملت كلمة عربية واحدة مقابل التعبير الأجنبي، ولم تستعمل المترادفات إلا في ما ندر، وبذلك يتحقق توحيد المصطلحات، وهذه أهم ميزة للمعجم وهي التي جعلت إعداده يستغرق وقتا طويلا.

استعملت الكلمات العربية المتداولة التي سبق أن استعملها الأطباء العرب الأقدمون إذا كانت تفي بالغرض العلمي. ولكن تركت الكلمات الدخيلة التي وجد ما يقابلها في العربية، وأخذت اللجنة بنظر الاعتبار المصطلحات التي وضعتها المجامع أو اللجان أو العلماء.

وإذا كان كثير من المصطلحات العلمية متعدد الأصول فقد كان لزاما أن تلجأ اللجنة إلى اختيار معنى واحد من المعاني العديدة التي وضعتها معاجم اللغة للفظ العربي الواحد وأن تلجأ إلى المجاز في استعمال الألفاظ بتخصيص معناها العام أو تعميم معنى مجاور لمعناها اللغوي،أو نقلها إلى مدلول آخر أدق، فصار لما يظنه البعض ألفاظا مترادفة مدلولات معينة مختلفة.

استبعدت الكلمات الدخيلة "الأجنبية المعربة" إلا إذا كان إسم شخص أو مشتقة من اسمه، أو كانت مستعملة في لغات متعددة، ولم يمكن الوصول إلى مقابل لها..فبقيت لتبدل فيما بعد.

ثبتت سوابق ولواحق تم الالتزام بها، وذكرت في أول المعجم، مع تفضيل الصيغ الثلاثية المختصرة، واستعملت صيغ عربية سبق استعمالها في الطب، والقياس على ذلك، مثل صيغ فُعال وفعل و فعول.

فضل الاطّراد والانسجام في استعمال الكلمات والصيغ على استعمال ألفاظ معجمية خارجة عن الانسجام لا يسهل حفظها وتداولها، وابتعت اللجنة عن الألفاظ الوعرة ما أمكن.

جرى التصرف في صيغ النسبة للتمييز أو منع اللبس، فقيل بيضي وبيضوي وبيضاوي أو بيضائي، كما نسب للمفرد والجمع فقيل جرثومي وجراثيمي.

لم تلجأ اللجنة إلى النحت أو التركيب إلا في ما ندر، كأن تكون الكلمة قد شاع استعمالها أو تكون اللفظة مقبولة مفهومة أو في النسبة، مع اتباع القواعد والضوابط المقررة.

كثيرا ما يعبر عن المفهوم الواحد في اللغات الأجنبية بمصطلحات متعددة مترادفة..ومرد ذلك في الغالب إلى أسباب تاريخية، ولما كان وضع المصطلحات العربية الآن قد تجاوز هذه المراحل التاريخية، فقد اقتصرت اللجنة على ترجمة واحد من هذه المترادفات لا غير (هو أصلها لتأدية المعنى) بمصطلح عربي واحد، يوضع في مقابلها جميعا مع الإشارة بجانب المترادفات الأخرى إلى التعبير الذي اتفق على ترجمته بوضعه بعد علامة المساواة(=) بين قوسين.

ضبطت الكلمات العربية بالشكل ضبطا كاملا، ووضع جمع الكلمة بين زافرتين مسبوقا بحرف (ج:) كما وضع المفرد أو المثنى أو المؤنث أحيانا بين الزافرتين مسبوقا بحرف (ف:) أو (ث:) أو (م:) على التوالي.

أضيف إلى المعجم العديد من الصور التوضيحية، زيادة في الإيضاح، وتثبيتا للمصطلحات وتعميما للفائدة من المعجم.

استعملت طريقة الإملاء للكلمات الأجنبية المستعملة في قاموس Dorland's Illustrated Medical Dictionary[1].

هذه طريقة رائدة في إعداد المعاجم، فقد شملت كل الأوجه العلمية التي تفيد الباحث في علم اللغة، وتيسر له الطريق في بحوثة المتمركزة على الإشكاليات التقابلية بين اللغات، وما أحوجنا إلى مثل هذه المناهج العلمية خاصة ونحن نعيش عصر الكمبيوتر، هذه الآلة التي تسهل عملية الترتيب والبحث الاصطلاحي إذا نحن أحسنا استغلالها. وتختصر أمامنا الطريق إلى الوصول إلى الهدف المرجو، ولنا في الدول المتقدمة المتطورة المثال الحسن. ولكي نستطيع التقدم في المجالات اللسانية ومن خلالها المجالات الترجمية علينا أن نستفيد من هذه التجارب العلمية التصنيفية في إطار إشكالية المصطلح، ومحاولة الاستفادة كذلك من المناهج العلمية التي سبقنا إليها الغرب. فالمقابلة بين الكمبيوتر وهذه الطرق ستفتح المجال واسعا أمام الباحث العربي لكي يتخلص من كثير من المعوقات التي تقف في وجهه وفي وجه الجامعة العربية.

إن التجربة السورية تجربة رائدة بالمفهوم العلمي للكلمة، حيث ضاعفت جهودها المبذولة في تعريب وترجمة المصطلح العلمي، وهاهي الآن تعيش جامعاتها على ما بذله علماؤها منذ بدايات هذا القرن.فمباشرة بعد استقلالها عكفت مجموعة من الأساتذة الجامعيين في كلية الطب خاصة على عملية التعريب والترجمة، حيث ترجموا معجم "كليرفيل كثير اللغات" ونشروه عام 1956، في حوالي 1000 صفحة ضمت في حدود 14534 لفظة،

• [1] –أنظر:قاسم السارة –عالم الفكر –مقال – م.س. –ص:123–124.

وأصبح هذا المعجم مصدرا يعتمده العلماء والأطباء والمشتغلون في ميادين الطب على إختلاف مشاربهم. [1]

حيث قام الدكتور حسني سبح بالنظر والتعليق على هذه المصطلحات في سلسلة مقالات بلغ عددها ستا وسبعين مقالة، صدرت منجمة على مدى عشرين عاما في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ثم صدر مجموعها في كتاب أربى عدد صفحاته على الألف بعنوان : " نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات كليرفيل."[2]

- [1] –أنظر:خالد فارس –جامعة دمشق في عامها الثمانين (1903–1983) –المجلة العربية لبحوث التعليم العالي–العدد الأول –تموز 1984 –ص:69.
- [2] –أنظر: د.حسني سبح –تعريب علوم الطب –مجمع اللغة العربية بدمشق –المجلد 60 –ج:4 –تشرين أول 1985 .

باب الثالث :

الإبداع و نظرية الترجمة.

فصل الثاني :

نظرية الترجمة و إشكالية المصطلح.

الفصل الثاني : نظرية الترجمة و إشكالية المصطلح

1. آلية الترجمة بين النص الإبداعي والبراغماتي.

إن الترجمة فن أصعب من الكتابة نفسها، فإذا كانت الترجمة العلمية تخضع لمنطق اللفظ وترجمته وتعريبه، فإن الترجمة الأدبية ابداع حقيقي، تعجز الآلة مهما تطورت، عن أن تحل محل الإنسان.

فمترجم النص الإبداعي في حاجة ماسة إلى معرفة عميقة للغة التي يترجم عنها، في تراكيبها النحوية والصرفية، واللغة التي يترجم إليها، وهو في حاجة -كذلك- إلى خيال خصب وواسع يمكنه من تصور النتائج التي يستطيع أن يكونها ويستخلصها بذكاء من تلك اللغة.

إن الترجمة الأدبية إبداع من الدرجة الثانية، فعلى مترجم النص الإبداعي الفني -الأدبي- أن يتخصص في جنس أدبي واحد، وأن لا يبعثر جهوده بين الأجناس كلها، فترجمة النص الروائي ليست هي ترجمة النص الشعري ولا هي ترجمة النص المسرحي.

إن ترجمة هذا الجنس الأخير ورغم ما يبدو عليه من اقتراب من الجنس الروائي، إلا أننا ومن خلال قراءاتنا وبحوثنا في هذا الميدان توصلنا إلى أن الأمور تختلف جذريا، يقول أحد المشتغلين على ترجمة النص المسرحي أنه يكتب الحوار المسرحي، ثم يقرأه بصوت عال لكي يصل إلى نوع من الإيقاع، وهو هنا يقترب من ترجمة النص الشعري، هذا الإيقاع الذي يساعد الممثل على النطق بكلمات دوره، وهو هنا كذلك يأخذ مكان المبدع الذي يأخذ المتلقي بعين الاعتبار.

إن الاختلاف الوحيد هو أن الكاتب المبدع العادي له متلق واحد، في حين نلاحظ أن مترجم النص المسرحي له متلقي أول هو الممثل ومتلقي ثاني وهو الجمهور.

ومما لاشك ولا ريب أن المترجم –المقتبس– للنص المسرحي، يتوحد مع الشخصيات لدرجة أن نصه يصبح صورة من النص الأصلي، كتبت بلغة مختلفة، وهكذا يصبح نصه هذا تفسيرا جديدا لا يبتعد عن النص الأصلي، ويحمل بصمات المترجم الخاصة والمميزة، بصمات إحساسه وموهبته الإبداعية[1].

تقول سيلين زينس C. Zins يقف المترجم بين ضفتين، وتتمثل مهمته في نقل النص كاملا من ضفة إلى أخرى فهو يمسك بكائن حي على إحدى الضفتين، وعليه أن يقوده حيا، لا عاجزا أو مبتورا، إلى الضفة الأخرى.

كما أنه معرض لإغراء القارئ له فالقارئ لا يطلب منه أن يقدم له شيئا مشابها للنص الأصلي فحسب بل يطلب منه أن يكون هذا الشيء مقروءا أيضا[2].

هكذا "يمثل" بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة المترجم، النص الذي تخيله المؤلف بل يعتبر الممثل الوحيد للنص، في نظر من لا يستطيع قراءة النص الأصلي. ومن يقرأ النص المترجم مضطر أن يصدق المترجم وما يقوله، أو بعبارة أدق، ما يكتبه ومع ذلك، يغفل الناشر أحيانا اسم المترجم على الغلاف، كما حدث للشاعر الفرنسي بودلير عندما ترجم "قصص" إدجار بو E. Poe إلى الفرنسية.

---

[1] – أنظر: Jacques Flamond -Ecrire et traduire, sur la voie de la création -Ottawa, Canada , Ed. du Vermillon 1983-P:123.

[2] – أنظر: C.Zins -Actes des Premières assies de la traduction littéraire -Arles, 1984, P:54.

إن التمييز بين الترجمة البراغماتية[1] والترجمة الأدبية يمكننا أيضا من تحديد موقف المترجم من كل منهما، فمترجم النص البراغماتي لابد أن يكون موضوعيا، ولا ينبغي أن تظهر شخصيته في ترجمته، في حين يتسم موقف مترجم النص الأدبي بالذاتية وينبغي أن يترك بصماته الخاصة على النص، شأنه في ذلك شأن الفنان المبدع تماما.

وعلى المترجم الأول أن يلتزم الدقة، وأن ينقل النص الذي يترجمه بأكبر قدر ممكن من الأمانة، مع مراعاة ترتيب عناصر الجملة بنفس الطريقة التي رتبت بها في النص الأصلي، حتى لو تنافى ذلك مع جمال الأسلوب ومنطق اللغة التي ترجم بها.

وتجدر الإشارة هنا إلى مهمة المراجع في المنظمات الدولية، على سبيل المثال التي تتمثل في توحيد المصطلح في لغة المترجمين، وطمس كل ما يمكننا من التعرف على شخصية المترجم. وغني عن البيان أن مثل هذا المطلب يقيد حرية المترجم أمام النص إلى حد كبير.

إن الدقة والأمانة شرطان أساسيان في ترجمة النصوص البراغماتية، يكفي أن نذكر الآثار التي قد تترتب على الترجمة الخاطئة لطريقة استعمال دواء ما، أو تشغيل جهاز كهربائي. على عكس ذلك، يتمتع مترجم النص الأدبي بقدر من الحرية أمام النص الذي يترجمه. وحتى إذا راعى الدقة في ترجمته، باستطاعته " التصرف " في النص بطريقة ما، وحذف شيء هنا، وإضافة شيء هناك، بل باستطاعته أيضا إعادة كتابة النص في صياغة جديدة، بدون أن تترتب على موقفه هذا أية آثار سلبية.

---

[1] – نقصد الترجمة التي تتناول النص البراغماتي.

فما الذي يمكن أن يحدث لو أن كلمة nuages الفرنسية ترجمت بكلمة [غيوم] بدلا من كلمة [سحب] لا شيء طبعا.

إن حرية التصرف هذه هي التي مكنت المترجمين من الاقتباس و التعريب و التمصير، وكلها عمليات قريبة من الترجمة بمعنى الكلمة. حيث تصبح النصوص (النص الإبداعي الجديد، النص النقدي، النص المترجم) نصوصا أصلية، تنطبق من خلالها عمليات أخرى في مجالات (الإبداعية، النقدية، الترجمية).

وهكذا نستخلص حركية النص واستمراره في الحيا، وحين نريد أن نصل إلى النص المترجم (الهدف)، على المترجم الذي يقوم بهذا العمل أن يلتزم بما يلي-:

- قراءة النص الأصلي بدقة مرتين أو ثلاثا للتأكد من إدراك معناه بصورة مضبوطة ودقيقة.
- ينبغي أن لا تكون الترجمة كلمة فكلمة، بل جملة فجملة، أو بعبارة أخرى ترجمة الفكر
- لا الألفاظ.
- الاستعاضة عن الألفاظ والتراكيب الشعرية بما يقابلها في النثر، والتذكر دائما من أن بعض الألفاظ التي كان يتداولها الكتاب الأقدمون قد اكتسبت مدلولات عصرية جديدة.
- العمل كل ما في الوسع على إيضاح المعنى الكامل للقطعة مع تجنب فضل الكلام وحشوه، فأحيانا وجب توسيع العبارة الأصلية وأحيانا أخرى تقليصها وتركيزها.

- إذا كانت اللفظة أو العبارة الأصلية ملائمة من جميع الوجوه وجب استبقاؤها، فليس

حتما تغيير كل لفظة في النص الأصلي.

- تقطع الجمل الطويلة المعقدة لتحل محلها جمل قصيرة وبسيطة.
- يجب على الشكل النهائي للنص أن لا يختلف عن أي نص من النثر العصري الجديد.[1]

إن كل جزئية من النص يجب أن تمكننا من النفاذ إلى مكنونه بما أنه كل يضم جميع الأجزاء، و إذا ما تم النفاذ فيجب أن نوفق إلى معاينة جزئية ما تعطينا مفتاح الأثر، وإذا ما تم نتثبت فيما إذا كانت القاعدة الفكرية قادرة على تفسير مجموع الأثر برمته.[2]

وبالمقابل يجب أن يتثبت المترجم – كذلك– من هضمه لأجزاء النص كلها، وأنه باستطاعته أن يشتغل ترجميا على النص في تكامله، دون أن يغفل عنصرا أو جزئية قد تبدو ثانوية، ولكنها في الأصل هي مفتاح من مفاتيح النص. تمكنه من خوض غمار الفهم ثم غمار الترجمة. أعتقد أن رأي عبدالسلام المسدي يظهر مدى الأهمية التي يجب أن تعطى للجزء البسيط في النص، بلغة اللسانيين والبنيويين– العنصر الذي يوصل إلى الجزء ومنه إلى الكل–.

إذ يمكن للناقد أن ينفذ إلى بنائية النص انطلاقا من العناصر المكونة، والتي يجب أن يعيها أثناء القراءة، ونفس الشيء يقال عن المترجم، فالعنصر لا يقصد به فقط اللفظ أو الكلمة

---

[1]–أنظر: د.صفاء خلوصي –م.س. –ص:220.

[2]–أنظر: عبدالسلام المسدي –النقد والحداثة –م.س. –ص:45.

أو الجملة، فهذا أندري مارتيني[1] يقول إن اللغة تخضع لظاهرة التمفصل اللغوي La double articulation انطلاقا من مستويين: مستوى الوحدات الصغرى أو المونيمات ومستوى الوحدات الصوتية الصغرى أو الفونيمات.

ومنه يمكن أن نقف عند وظيفة اللغة La fonction de la langue أو ما يعرف عند المشتغلين على اللغة بـــالـــ fonctionnalisme والتي أعتقد أن النقد العربي لم يتوصل بعد إلى هضمها واستيعابها، كما هضمها واستوعبها النقد والتنظير الأوربيين، ولم يوظف النقد العربي هذه النظريات النقدية في تعامله مع النص إلا قليلا، مما انعكس سلبا على العمليات الترجمية التي قامت في البلاد العربية.

فقط لأن المترجم يستند في ترجماته على كل الأبعاد التي تتصل بالنص، خاصة النقد. إن" اللغة نظام من الرموز التعبيرية تؤدي محتوى الفكرة التي تمتزج فيها العناصر العقلية والعناصر العاطفية، فتصبح اللغة حدثا اجتماعيا محضا.

إن اللغة في الواقع تكشف في كل مظاهرها وجها فكريا وجدانيا، ويتفاوت الوجهان كثافة بحسب ما للمتكلم من استعداد فطري، وبحسب وسطه الاجتماعي والحالة التي تكون عليها[2] هذه العناصر وغيرها أغفلها النقد العربي أو النظرية الأدبية بصورة كبيرة وبنسبة كبيرة كذلك، وفي فترات زمنية مهمة وطويلة.

إن افتقاده للمناهج النقدية الحديثة دفع للتعامل مع النص الإبداعي الفني سواء الشعري أو النثري، بمنظور أم باتجاه واحد يتمثل في محاولة الوصول إلى المضمون فقط.

---

[1]-Bernart. P. - Le langage -Centre d'études -Edd.1 -1973 -P: 495.

[2]–د.عبد السلام المسدي –النقد والحداثة –م.س. –ص: 43.

ومنه نخلص إلى أن تفاعل الأسس النظرية والتطبيقية في النقود العربية لم يرق إلى المستوى الذي أقيمت حوله الأسس النظرية الغربية المعاصرة خلال القرن العشرين، وأن تقبلها على نطاق واسع ليس بالأمر السهل، نقول هذا –لأن الإنجازات التي تحققت في هذا الظرف، وفي ميدان اللسانيات، وبالمناهج الحداثية، وخاصة تلك التي تهتم بعلم الدلالة الإبستمولوجية والسيميوتيقا تعتبر جوهرية لتفكيك النص وإعادة بنائه سواء في لغته أو في اللغات الأخرى.

حيث لم يعد بالإمكان تجاوز العملية السردية مثلا بنوعيها الحصرية والتوسيعية وكذلك الدلالية واللسانية، منذ أن أثيرت بشكل علمي عند فلاديمير بروب حين عالج في كتابه المشهور (مورفولوجيا الحكاية) La morphologie du conte البنيات السردية والوظيفية للنص الحكائي. ونفس الشيء يقال عن النتاج الشعري، كما مارسه رومان جاكوبسون، والذي يثير صعوبات دقيقة فيما يخص العلاقات بين التحليل والتأويل والتقويم.[1]

إنها نظرة متقدمة لم يستطع النقد العربي هضمها واستيعابها، وهي تقويمية عامة لمرحلة تأسيس النظريات اللسانية الغربية، ومن ثم النظريات البنائية و السيميائية، والتي ينطوي تحتها مفهوم المعاصرة، الذي بدأت تظهر بعض ملامحه الابتدائية الأولية في بعض الدراسات النقدية العربية في السنوات الأخيرة، ممثلة بالدكتورة يمنى العيد في البلاد العربية الشرقية، وبمحمد بنيس في البلاد العربية الغربية، خاصة في كتاباته حول ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، وحول المقاربات البنيوية التكوينية، واجتهادات الدكتور

---

[1]–دراسات سيميائية أدبية لسانية –دورية –مطبعة النجاح – الدار البيضاء –المغرب –ع:2 –شتاء 87 –ربيع 88 –ص:29.

رشيد بن مالك في ميدان السيميولوجيا، والدراسات المقارنة في ميدان إشكالية المصطلح السيميائي والبنيوي والأدبي.

حيث ترتبط هذه الدراسات أساسا بالنظرة النقدية التنظيرية لمفهوم البنية النصية ومن ورائها البنية اللسانية وعلاقاتها بالأبحاث اللغوية للعالم اللساني فردينان دو سوسير وبالأبحاث التفكيكية للنص والتي اعتمدها رولان بارط وما قدمه كل من غريماس و جاكوبسون وغيرهما ممن اشتغل على النص بنظرة نقدية ثارت على النظرة الكلاسيكية القديمة.

تركز هذه المباحث النقدية وتنحصر في النظر إلى القوانين والأنساق الداخلية للعمل الأدبي، وهو التعامل الذي يخلص إلى أن النص عالم ذري مغلق على نفسه، وموجود بذاته، يدخل تبعا لهذا المفهوم في مغامرة الكشف عن لعبة الدلالات.[1]

فالنص الأدبي إذن ينتمي إلى صاحبه من حيث هو كلام مبثوث، أما أدبيته فهي أساسا وليدة تركيبته اللغوية، أي وليدة ما ينشأ بين هذه العناصر من أنسجة متنوعة و تميزه.

إن الطابع الشعري في كل حدث أدبي هو بمثابة تفجر الطاقات التعبيرية الكامنة في صميم اللغة وذلك بخروجها من عالمها الافتراضي إلى حيز الوجود اللغوي المجسم والمحدود بسياق معين لأنها تحدد انطلاقا من خصائص انتظام النص بنيويا مما جعل الطابع الفني علامة مميزة لنوعية مظهر الكلام داخل سياق الخطاب.

---

[1]–أنظر: محمد بنيس –ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية –م.س. –ص:21.

إن هذه السمة تعبر عن شبكة تقاطع الدوال بالمدلولات ومجموع علاقات بعضها ببعض، ومن كل ذلك يتألف النسيج النوعي للخطاب الأدبي.[1]

إن الدكتور عبدالسلام المسدي يحاول أن يوضح العلاقة الموجودة بين المبدع والنص الأدبي والأدبية التي يمثلها في التركيبة اللغوية، فيعتبر النص تفجرا للطاقات التعبيرية المدسوسة بين ثنايا اللغة، أو في صميمها، ويعتبرمن جهة أخرى العملية الإبداعية خروج هذه الأدبية وتطابقها مع الاستعمال اللغوي المجسد، الذي لا يستوفي قالبه النهائي إلا إذا انتظم بنيويا مكونا بالتالي النص الذي يحمل الطابع الفني داخل السياق الخطابي.

وبالتالي يأخذ النص سمة خاصة به، مستنتجة من تقاطع الدوال بالمدلولات، وهي الشبكة التي يلخص من خلالها التكون النصي الإبداعي، ويأخذ شكله النهائي، سواء كان شعرا أو نثرا، ونحن نرى أن التقاطعات لا تتم بين الدوال والمدلولات، بقدر ما تتم بين الدوال والدوال، وبين المدلولات والمدلولات، إذ يتخذ الكلام نطقا واضحا من خلال الألفاظ وتسلسلها.

وعليه يمكن اعتبار الكلمات كتلا صغيرة ذات دلالة جذرية، وإن لم تكن ثابتة ولاجامدة، فهي تتواءم وتتابع الألفاظ، إلا أنها مع كل ما فيها من مرونة لا تخلو من بعض التصلب. وتفيد الكلمات عن شيء معين، أي أنها تعني سعة يمكن عزلها والتحقق منها بطريق حسي أو غير حسي.

---

[1]–د. عبدالسلام المسدي –النقد والحداثة –م.س. –ص:38.

إذن فاللغة تتميز ببنية بذرية، وكل كلمة فيها بذرة تستهدف شيئا ما، إذ هي إذن تعد أثرا ملموسا لما ندعوه انتهاج الموضوعية. وبفضل لفظ الكلمات يكتسب كل من واسطة التعبير والشيء المعبر عنه ثباتا ومرونة يسمحان ببناء جملة مؤلفة من وحدات متتابعة.

وبذلك يبلغ المتحدث قدرا لا مثيل له من الاستقلال وعدم التبعية ليس فقط بازاء الموقف الذي هو فيه، وإنما لكافة ضروب الارتباط بأي موقف، مع كونه معرضا له من الناحية الجسدية.[1]

إن "الأدب لا يدرس معنى مضمون النص، بل (وجود اللغة) أي طريقة بناء العناصر في البنية الفنية المعطاة، ويقوم النموذج هنا في كل مكان بوصفه نسق منطقي- صوري، يركبه الباحث، وليس توافقه مع الواقع"[2]. وهي – أعتقد- استعارة من علم اللغة الذي يتحدد بالترابط الداخلي بين الوحدات التي تشكل منظومة لغوية، وهو الشيء الذي يؤكد أن العلاقات التقاطعية بين العناصر تتم في إطار منتظم.

فرغم أن العلاقة بين الدال والمدلول موجودة وهي اعتباطية- كما يؤكد الألسنيون- إلا أننا نجد أن الواقع الأسلوبي للنص يفرض أولا، أن تكون العلاقة قائمة بين الدال والدال وبين المدلول والمدلول في إطار النص الواحد.

---

[1]-أنظر: هلموت بلسنر-الإنسان بوصفه كائنا حيا-ترجمة: مجدي يوسف- فكر وفن-عدد:13-1969- ص:6.

[2]-ت.أ.ساخاروفا-من فلسفة الوجود إلى البنيوية- م.س.-ص:170-171.

وبهذه الصورة يصبح النص ناطقا بإشارات لها مضمونها، وتحاول أن تكمل المعنى الذي لم تستطع الكلمات المنطوقة التعبير عنه، أي أن النص المنطوق لم يستطع أن يستوعب المضمون.

2. الفضاء النصي و حركة الزمن و المكان.

تشكل البنيوية الكل من الجزء، والجزء من الكل، وأعتقد أن هذا هو الطبيعي في الحياة، فالذهاب إلى الكل يجب أن يمر على الجزء، والذهاب إلى الجزء يجب أن يمر عبر الكل، فلا يمكن أن نتصور كلا دون جزء، ولا جزء دون كل.

وهذا هو منطق الحياة وهي التي" تقف على العلاقات والصلات التي تجعل العناصر ممتلكة لقيمة أو بمعنى لا ينبعان من ذاتها بل من موقعها، كعناصر مترابطة ومتعلق بعضها ببعض ضمن كلية ما."[1]

إذا ابتداء من هذه الآراء النقدية العامة، يمكن أن تؤسس– في حدود الإمكان– الفواصل التي يتحرك ضمنها النص ومن هذه الفواصل الترجمة، والمتمثلة أساسا في المساحة أو الفضاء النصي الذي تقوم عليه الترجمة، وهذا ما أسميته بالحركة الفضائية، لأن مصطلح الحركة يخص كل المقاييس التي يعتمدها العمل الفني مهما كان جنسه، ثم يأتي التطور الزماني في حركته الدائرية، بمعنى أن الحركة يجب أن لا تكون مفتوحة بقدر يغلقها الفنان بانتهاء العمل الفني.

---

[1]–أطولفو باسكيز–البنيوية والتاريخ–ترجمة:مصطفى المناوي–دار الحداثة–ط:1–1981–ص:14.

وبشكل آخر فإن الحركة الزمانية في النص تعتمد اعتمادا كليا على استعمال الأفعال استعمالا دلاليا، فالذي لا يحسن استعمال الفعل المضارع في دلالاته الزمانية، ويظن أنه يدل– وفي علاقة واقعية– على وقوع أو حدوث الفعل في الحاضر أو المستقبل، أعتقد أن خيط الحركة الزمانية يفلت من بين أصابعه.

إذن على الفنان المبدع – أولا– أن يعي هذه الشبكات وعيا عقليا واقعيا وعلى المترجم– ثانيا– أن يعيها بنفس قيمة الوعي عند الفنان المبدع، وأعتقد أن الفنانين عموما بما فيهم المترجمين ، في البلاد العربية أهملوا هذا الجانب الذي أراه مهما كونه يستند على الفاعلية الزمنية للشخصية مع الخلفية المرجعية التي تحملها، فهي تحمل خلفية جزئية من خلفية المبدع، وتحمل خلفية جزئية من خلفية المترجم.

بمعنى آخر إن الشخصية أو الشخصيات في النص السردي، في مجموعها تتبنى وتتحد في خلفية مرجعية واحدة، وهي تلك التي يمتلكها المبدع ومن بعده الناقد والمترجم.

أضف إلى ذلك الحركة المكانية بكل ما تحمله من تأثيرات إيجابية أو سلبية على القالب العام للنص المبدع، فهي تتحدد – أظن– انطلاقا أولا من استعمال أسماء المكان والزمان، فبإشارة ولو خاطفة إلى دال يحمل دلالة مكانية تكون ها هنا العلاقة قائمة على عدم اعتباطيتها، لأن الدال والمدلول يعتمدان على حيز مكاني وزماني متفق عليه.

وما وصل إليه النقد العربي من عدم استطاعته تحديد الفضاء الإبستمولوجي للنص القصصي أو الشعري مثلا أو حتى الروائي أو المسرحي، أعتقد مرده الأساسي إلى النقاد أنفسهم وإهمالهم لبعض الجوانب الفنية المكونة للنص الإبداعي عموما، و لعملية الابداع.

إن التحديد هنا لا يعني وضع الفواصل التي لا يمكن تخطيها، فلا نستطيع إن نتصور الحدود بين فن القصة وفن الشعر بمثل الحدود الجغرافية بين بلد وآخر، وإذا كان بعض المشتغلين على النص من النقاد، يذهب إلى كونه لا يستطيع تعريف القصة القصيرة لأنه ليس لها حدود بارزة معروفة، فأظن إن هذا الحكم متمثل في نظرتهم الميكانيكية للفن، فهم يريدون إخضاع الفن للقواعد الجغرافية، ويعيبون من ناحية أخرى على النقاد الحداثيين كونهم يتعاملون مع النص بالعقل، رغم أنه نابع من الشعور الفردي والجماعي.

إن انفتاح البنية على الزمن، وقد يفسر البعض هذا المفهوم البنيوي، أي مفهوم التعاقب بأنه يعني الزمن التطوري و الانتقال من بنية إلى بنية، من نسق إلى نسق، من نظام إلى نظام– كانتقال مجتمع من بنية النظام الإقطاعي مثلا إلى بنية النظام الرأسمالي.

غير أن التعاقب كمفهوم بنيوي لا يعني ذلك بالضبط، بل هو يعني، وكما هو واضح في بحث دو سوسير، استمرار البنية نفسها التي تتعرض، بسبب تهدم عنصر من عناصرها، إلى خلل، ثم لا تلبث هذه البنية نفسها أن تستعيد نظامها لتستمر به بعد دخول العنصر البديل فيها.

فالبنية هذه إذا لا تتغير ككل، والتعاقب لا يعني زمن هذا التغير الكلي، ولو أن المفهوم قديم، وقد اعتمدته الدكتورة يمنى العيد، ابتداء من مفهوم رائد اللسانيات فردينان دو سوسير، إلا أن المشتغلين على النص سواء النقاد أو المترجمين لم يستوعبوا بعد هذا المفهوم الخاص بمصطلح الزمن في النصوص باختلافها.

ومن هنا– أظن– أن هدف النقد هو الوصول إلى معرفة الواقع المنقود في حيثياته، وهدف الترجمة هو معرفة عالم كائن في اللغة، ونقله كما هو إلى عالم آخر وفي لغة أخرى.

إن هذه العلاقة لا تستطيع أن تصل إلى درجة التعامل المعرفي إلا إذا كان الفكر الناقد والفكر المترجم يساويان ويسايران الفكر المنقود أو الفكر المترجم. و ها هنا أرى أن هذا الفكر لم يرق أبدا إلى مستوى الفكر المنقود، أو الفكر المترجم. وعليه لاحظت بونا شاسعا بينهما حيث لم نجد عبر التاريخ العربي تأسيس مدرسة أو مدارس نقدية أو ترجمة قائمة بذاتها.

إن الفكر الترجمي يجب أن يكون فالحا في نفوذه إلى الفكر الذي يحمله النص، سواء من حيث المضمون، وهذا يتم من خلال التعرف على المنهج السوسيولوجي والتاريخي والنفسي..أو من حيث الشكل والبنية، ظهر ما يمكن أن نستكشف جوانبه من خلال المنهج البنيوي بتفرعاته المختلفة، ولا أرى شيئا موضوعيا أكثر من الحركة الترجمية: ذلك لأنه خلافا لما يتصور عادة، يجب على المترجم أو على منظر الترجمة أن يحترس من أن يستهدف موضوعا ما دون إدراك مقاييسه، التي أعتقد أنها تتمثل في شيئين اثنين هما ذات النص وما يحيط به، وأقصد التسلسل التاريخي والرصد المكاني والذات المبدعة، سماتها مثلا، وما بداخلها من علاقات تتمحور إجمالا حول بعض المستويات التنظيرية والنقدية الترجمية، هذه المستويات تتمثل أساسا في المستوى التركيبي، المستوى النحوي، المستوى الصرفي، المستوى الأسلوبي بكل ما يحمله هذا الأخير من تقنيات جمالية زخرفية.

الحدود الفنية.

لا شك أن الفن الإبداعي له حدوده التي تختلف اختلافا كليا وجوهريا عن الحدود المادية الملموسة، وهي ما يمكن أن نسميه هنا، بالحدود الجغرافية، وإذا لم يكن كذلك فلا نستطيع أن نجد مبدعا يجتمع لديه الإبداع القصصي والإبداع الروائي- مثلا- في آن واحد، أو القصصي والشعري، أو الشعري والروائي، أو الروائي والمسرحي أو المسرحي والشعري، والأمثلة كثيرة.

والظاهر أن جل الروائيين العرب بدءوا مشوارهم الفني بكتابة القصة القصيرة، وانتهوا إليها، وخير مثال الكاتب العالمي الكبير نجيب محفوظ، الذي بدأ حياته الإبداعية بكتابة القصة القصيرة ثم أبدع مجالا واسعا وثريا في الفن الروائي، حتى حصل على جائزة نوبل للآداب، وهو اليوم يكتب القصة القصيرة والرواية معا[1].

التعريب و النظرية الترجمية.

إذا وانطلاقا من هذه المفاهيم النظرية للنص، ولعملية القراءة والإبداع، وعودة إلى إشكالية الترجمة، أو بالأحرى إلى النظرية الترجمية عند العرب، في مفهومها المحدد، يمكن أن نلاحظ بأن ثمة اختلاف في الرؤى، والذي انبنى منذ العصور الأولى للترجمة وإلى الآن، أي ومنذ العصور الذهبية للترجمة عند العرب، حيث نلاحظ، ورغم المسافة الزمنية الطويلة، أن النظرية الترجمية لم تستطع أن تتبوأ مصاف النصوص النقدية التنظيرية التي عرفها الأدب العربي.

---

[1] – توفي في 30 أوت 2006.

وفي المقابل فإن المجالات العلمية الأخرى استفادت من الترجمة التقنية في ميدان المصطلح العلمي، لما كان في حاجة ماسة –عبر التاريخ – لهذه الترجمة، وقد طرحت إشكاليات عديدة في التعامل مع المصطلح الذي هو عبارة عن كلمة أو أكثر يتم الاتفاق على تخصيصها لتعني مفهوما محددا. حيث يوضح عمر فروخ أن وضع المصطلحات موحدة هو أمر من الأمور الهامة، فلا يجوز أن يدل المصطلح الواحد على مدركين ولا أن يكون للمدرك الواحد مصطلحان أو أكثر.[1]

إن ما يشغل الساحة الأدبية والعلمية اليوم على مستوى البلاد العربية هو إشكالية تعريب وترجمة المصطلح من اللغات الأوربية إلى اللغة العربية[2] حيث إن التعريب يأخذ عدة معان نجملها في الآتي-:

يدل مرة على استخدام العرب ألفاظا أعجمية على طريقتهم في النطق واللفظ، والتعريب مصطلح قديم، وبهذه الطريق أدخلنا للغة العربية آلاف الألفاظ الأعجمية التي سميت "دخيلة". ويقصد به "التعريب" الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وينصرف إلى ترجمة العلوم والآداب والفنون وسائر الترجمات الأخرى.

وهكذا تكون كلمة "تعريب" هنا مرادفة لكلمة "ترجمة" وكلمة "معرب" بمعنى "مترجم" ويعكس التعريب في هذا السياق كلمة " التعجيم" أي نقل الأثر من اللغة العربية إلى أية لغة أعجمية أي غير لغة العرب.

---

[1]–كارم السيد غنيم–عالم الفكر–مقال–ص:45.

[2]–تم تأسيس مجمع اللغة العربية في الجزائر،مثلا، في منتصف شهر سبتمبر 1998

والتعريب كذلك هو أن نجعل اللغة العربية لغة حياة الإنسان العربي كلها، لغة الفكر والشعور، ولغة العلم والعمل، بها يعبر عن مكنونات نفسه، وخلجات قلبه و ومضات فكره، بها يتعلم ويعلم، ولا ينتقص من مقامها عنده تعلمه لغة أخرى أو أكثر، إنها أداة للتفكير وأداة للتعبير.

والتعريب في نهاية المطاف هو عبارة عن ترجمة غير جافة/ كما أنها قابلة لاحتضان كلمة ينطقها في لغاتها الأصلية، ولا حرج في استخدام ألفاظ أجنبية تكتب بالحروف العربية إذا عجزنا في البحث لها عن مقابل في العربية.[1]

لقد أثمرت تجربة مصر في عهد محمد علي باشا والتي استمرت زهاء سبعين سنة، ثروة علمية هائلة، فقد أحصى جمال الدين الشيال في كتابه " تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي" مائة وخمسة وثلاثين (135) كتابا علميا غير عسكري مترجما إلى العربية بين عامي 1832 و 1853م، مع ست وستين (66) كتابا آخر في العلوم العسكرية، وقد حوت هذه الكتب عشرات الألوف من المصطلحات العلمية الجديدة، كما وضع "محمود رشدي البقلي" معجما باسم "قاموس طبي فرنساوي عربي" طبع في باريس سنة 1869م يقع في ثلاثمائة وثمانية وخمسين صفحة (358)، ويشتمل على نحو سبعة آلاف لفظة.

يعتبر هذا الكم الهائل والنوعي من المصطلحات، الفاصلة التي جمعت بين الإشتغال في الترجمة العربية بين القديم والحديث، فهو حوصلة للاهتمام الذي ساد قرونا، وهو أرضية

---

[1]–أنظر:كارم السيد غنيم–عالم الفكر–م.س.–ص:64.

لما جاء بعد من أعمال ترجمية وتعريبية سواء على مستوى تعريب المصطلح بتقنياته أو ترجمة النصوص بكل ما تحمله من تنظير وتقنية.

والتعريب الذي هو رسم لفظة أجنبية بحروف عربية وهو ما يعرف بالإنجليزية بالـ Translittération أو Transcription أو الترجمة الصوتية. والطريقة الحديثة المتبعة هي نفس طريق قدماء العرب، أي كتابة الحروف التي لا نظير لها في اللغة العربية بما يقاربها في النطق مع اصطلاح الحروف التالية لما ليس من حروفنا الأبجدية، وهي مقتبسة من الفارسية:

- ب __ P

ج __ CH

ز (الحرف المتوسط بين الزاي والشين كما في كلمة "Treasure كنز" الإنجليزية)

ف __ V

ك __ G .

وقد عالج عبدالرحمن ابن خلدون هذا الموضوع حيث قال:" ولما كان كتابنا مشتملا على أخبار البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في أسمائهم أو بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح أوضاعنا اضطررنا إلى بيانه ولم نكتف برسم الحرف الذي يليه كما قلنا لأنه عندنا غير واف بالدلالة عليه فاصطلحت في كتابي هذا على أن أضع ذلك الحرف العجمي بما يدل على الحرفين اللذين يكتنفانه ليتوسط القارئ بالنطق بين مخرجي ذينك الحرفين فتحصل تأديته، وإنما اقتبست ذلك من رسم أهل المصحف حروف

الأسماء كالصراط في قراءة خلف فإن النطق بصاده فيها معجم متوسط بين الصاد والزاي، فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها شكل الزاي ودل ذلك عندهم علة التوسط بين الحرفين[1].

هذا تصور أولى لما يمكن أن تطرحه إشكالية المصطلح في عملية الترجمة ويمكن أن نقر من الآن أن هذه الإشكالية هي أصعب وأعقد إشكالية يمكن أن تعترض المشتغل على الترجمة في جميع اللغات، حتى بالنسبة للغات الأوربية فإنه ما يزال الإشكال مطروحا بحدة، رغم الجهود التي بذلت وما زالت تبذل.

المصطلح و ترجمته.

إذن ومنذ بداية عصر النهضة العربية أصبح الاهتمام بصياغة المصطلحات العلمية الشغل الشاغل للعلماء العرب في شتى أنحاء الوطن العربي، إن على الصعيد الشخصي الفردي أو على الصعيد الرسمي المؤسسي.

ولئن اتسمت تلك الجهود بالجدية فإنها كانت في غالب الأحيان ارتجالية ومتسرعة، وبعيدة عن الوفاء لمنهجية واضحة محددة إذا كان هناك منهجية واضحة محددة آنـذاك، الأمـر الذي وسم الكثير من المصطلحات بسمة "شخصية" مستمدة من مصدر الثقافة العلمية التي ينهل منها صاحبها، فرنسية أو إنجليزية أو ألمانية.

---

[1] – عبدالرحمن بن خلدون – تاريخ ابن خلدون – المجلد الأول – مقدمة – دار الكتب العلمية – بيروت – ص : 6/5.

ومما يزيد الأمر تعقيدا أن المصطلح كثيرا ما يكون في اللغة الأصلية غارقا في ظلمة الإبهام المجازي أو التشبيه التمثيلي.

فعلى سبيل المثال يقال بالفرنسية " Tout-à-l'égout " في مقابل "المجاري الصحية المالحة" "الصرف الصحي" أو "الإصحاح"، ولا عجب أن يتحدد رواج بعض المصطلحات في حدود القطر العربي الذي ظهرت فيه ولا تتخطاه إلى أقطار عربية ولو كانت مجاورة له، وتتمتع بنفس الصفات الجغرافية والمناخية..فالاختلاف واضح بين أسماء العلوم (فضلا عن المصطلحات) التي نسمعها في سوريا وبين تلك التي نسمعها في لبنان أو الأردن أو العراق مثلا،[1]

وقد نضيف نحن دول المغرب العربي نظرا لتأثرنا بلغات متعددة عبر التاريخ وخاصة اللغة الفرنسية والإسبانية والإيطالية.

إن أهم سبب لذلك هو اختلاف مصادر النقل، فالذين ينقلون عن الإنجليزية تختلف مصطلحاتهم عن أولئك الذين ينقلونها عن الإيطالية أو الألمانية أو الروسية أو الإسبانية، أو غيرها من اللغات التي استطاعت أن تتطور بشكل سريع وفي زمن قياسي.

ومهما يكن من اختلاف في اللغات الأصل، إلا أنه هناك شروط واجبة في القائمين على ترجمة المصطلحات وتعريبها والعمل في حقول الترجمة المتعددة، نجملها في التالي:

- الاختصاص بعلم أو بفن، وممارسته نظريا وعلميا، ولهذا لابد لمن يجشم نفسه عناء وضع المصطلحات العلمية باللغة العربية من أن يقتصر في عمله على الألفاظ المتعلقة بعلم اختص به واطلع على دقائقه.

- إتقان لغة واحدة على الأقل من لغات أوربا.
- التمكن من معرفة اللغة العربية معرفة تقف على أسرارها، وعلى ما حوته كتبها ومعجماتها، ولاسيما الكتب العربية القديمة التي تناولت العلم الذي يعالج وضع مصطلحاته.
- العمل في نطاق مجمع، أو جامعة، أو منظمة متخصصة، وأن يحوز كل مصطلح على القبول من الهيئات العامة في تلك المجامع والمنظمات. بل إن هذه المجامع والمنظمات كثيرا ما تعمد إلى إرسال ما توصلت إليه من قوائم المصطلحات العلمية الجديدة إلى العلماء والأدباء في كل الأقطار العربية الأخرى، وتنتظر منهم أن يمدوها بملاحظاتهم وآرائهم.
- ولا يمكن أن يؤدي تعاون العالم المتخصص في العلوم أو الرياضيات مع اللغوي المتمكن من أسرار اللغة العربية إلى نتائج مشابهة إلا عندما يقوم عالم متمكن من عمله بتفهم أسرار اللغة العربية وبتفهم أسرار اللغات التي ينقل عنها"[2]

هذه الشروط وضع ثلاثة منها الأمير مصطفى الشهابي، وأضاف الدكتور شاكر فحام الشرط الرابع، أما الخامس فوضعه الدكتور مدكور. وحين نجمع بينها نلاحظ أنها تكاد تغطي –كيفية نقل المصطلح من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية.

إن الإشكال الذي يطرح أمامنا اليوم كمشتغلين في حقول الترجمة، والنظريات الترجمية، هو الإتجاه المعاكس والذي كثيرا ما أغفله البحث الترجمي، والمتمثل في المصطلحات

الموجودة في اللغات الأوربية، والتي هي أصلا عربية، وهذه النظرة تقودني إلى معرفة مدى تأثير اللغة العربية في اللغات الأوربية الحديثة.

حيث يعتقد الكثير من الناس أن اللغة العربية هي لغة مستقبلة فقط، أي أنها تأثرت باللغات الأخرى ولم تؤثر هي في هذه اللغات، خاصة عندما يتعلق الأمر باللغة الفرنسية والإنجليزية والألمانية، أما الإسبانية والبرتغالية فالأمر بين إلى حد ما ، ولكنه ما زال يحتاج إلى دراسة معمقة وممنهجة.

فمن الألفاظ التي دخلت اللغة الفرنسية من اللغة العربية، استطاع بيير جيرو أن يعد قائمة تتألف من ثمانية وعشرين (28) لفظا دخل من العربية إلى الفرنسية، وذلك في فترات مختلفة من الزمن، وقد وضعها بيير جيرو وصنفها حسب تواريخ دخوله إلى الفرنسية وبدء استعمالها على أنها ألفاظ فرنسية، ومن هذه الكلمات نذكر على وجه التمثيل التالي:

Califé	من	Khalifaa	خليفة.
Mascara	من	Maskhara	مسخرة – قناع.
Cubebe	من	Kababe	كباب.
Chemise	من	Kamisse	قميص.
Gazelle	من	Ghazale	غزال.
Jupe	من	Djouba	جبة.
Sucre	من	Soucare	سكر.
Emir	من	Amir	أمير.
Coton	من	Kotn	قطن.
Amiral	من	Amir El Bahr	أمير البحر.

Zero من Siffr صفر.

فقد دمجت هذه الكلمات وغيرها في اللغة الفرنسية، وأعطيت معاني هي نفسها في اللغة العربية، فحين نبحث عنها في الموسوعات اللغوية أو القواميس الفرنسية المعتمدة نجدها تؤدي الدلالة العربية، وإشارات إلى مصادرها اللسانية، كما هو الحال في المعجم الفرنسي Le Robert أو Le Petit Larousse Illustré.

- Calife: n. m. (ar. Fhalifa). Titre pris, aprés la more de Mohamed (Mohomet كتبت تحريفا بهذا الشكل), par les souverains qui furent à la tête de la communauté islamique.
- Chemise: n.f. (bas.lat. camisia), Vêtement masculin de tissu léger couvrant le buste et les bras, avec col et boutonnage.
- Coton: n.m. (it cottone, de l'ar. qutun) Fibre textile naturelle qui recouvre les graines du cotonnier.
- Emir: n.m. ar.amir). Gouverneur, prince dans le monde musulman.
- Amirale: n.m. (ar. amir al-bahr, prince de la mer). officier général d'une marine militaire.
- Jupe : n.f. (mot.ar.) vêtement féminin qui enserre la taille et descend jusqu'aux jambes.
- Gazelle: n.f. (mot ar). Petit mammifère ruminant de la famille des antilopes, très rapide, vivant dans les steppes d'Afrique et d'Asie.

- Zéro: n.m. (mot it; de l'ar). Cardinal de l'ensemble vide. Signe numérique représenté par le chiffre 0.[3]

إضافة إلى هذه الألفاظ يوجد حوالي ألفين وخمسمائة كلمة (2500 كلمة) ذات أصل عربي أصبحت من الكلمات المستعملة في الفرنسية، نذكر من بينها على سبيل الحصر والتمثيل، وهذه المجموعة هي التي استطعت الحصول عليها عن طريق الأنترنيت (Internet).

Abricot	de	al-barquq	البرقوق
Alchimie	de	al-kimiya	الكيمياء
Alcool	de	al-kuhl	الكحول
Alcove	de	al-qubba	القبة
Alezan	de	al-hisan	الحصان
Algarade	de	al-ghara	الغارة
Algebre	de	al-djibr	الجبر
Amiral	de	amir-al-bahr	أمير البحر
Arsenal	de	dar as-sina'a	دار الصناعة
Artichaut	de	Kharchouf	الخرشوف
Assassin	de	hachchachi	الحشاش
Avarie	de	al-wary	
Azimuth	de	as-samt	الصمت
Azur		de Lazaward	

Cafard	de	Kafir	كافر
Cafe	de	qahwa	قهوة
Calibre	de	qalib	قالب
Camee	de	qama'il	
Carafe	de	gharraf	
Carat	de	qirat	
Carquois	de	tirkach	
Chiffre	de	sifr	صفر
Coton	de	qutun	قطن
Douane	de	diwan	الديوان
Estragon	de	tarkhoun	
Gabelle	de	qabala	
Gazelle	de	ghazal	غزال
Girafe	de	Zurafa	زرافة
Goudron	de	qatran	قطران
Jarre	de	djirra	جرة
Jasmin	de	yasmin	ياسمين
Jupe	de	djubba	جبة
Laque	de	Lakk	
Lilas	de	Lilak	
Luth	de	al-ud	العود

Magasin	de	makhazin	مخزن
Mesquin	de	meskin	مسكين
Momie	de	mumya	مومياء
Mosquée	de	masdjid	مسجد
Mousseline	de	Tissu de Moussoul	
Nacre	de	naqqara	نقّر
Nénuphar	de	ninufar	
Orange	de	narandj	
Ouate	de	bata'in	
Raquette	de	rahat	
Récif	de	ar-rasif	الرصيف
Safran	de	Za'faran	زعفران
Sarabande	de	Sarband	
Sarbacane	de	zarbatane	
Satin	de	zaytuni	زيتوني
Sequin	de	sikka	
Sorbet	de	charbat	شربات
Sucre	de	sukkar	سكر
Talc	de	talq	طلق
Talisman	de	tilsaman	الطلسمان
Tamarin	de	tamar hindi	تمر هندي

Tasse	de	tassa
Zénith	de	fausse lecture de:samt
Zéro	de	sifr (vide) صفر

Ce phénomène d'emprunt est un aspect des échanges normaux entre civilisations géographiquement voisines. Il se poursuit, et nous parlons souvent « FRARABE ». Exemple: baraka, bédouin, caïd, couffin, couscous, djebel, émir, henné, noria, razzia, soufi, toubib etc...

وقد تتبعت هذه المجموعة من الألفاظ في القاموس الفرنسي « Petit Larousse » حتى أقف على معانيها، وهل تؤدي حقيقة نفس الدلالة العربية وكانت النتيجة كالتالي:-

- Abricot: n.m. (mot arabe), (catalon abercoc) Fruit de l'abricotier à noyau lisse, à peau et chair jaunes.
- Alchimie: n.f. (ar. al-kimya). chimie du moyen age qui cherchait un remède universel, et tentait la transmutation des métaux.
- Alcool: n.m. (ar. Al-Kuhl, l'antimoine pulverisé) liquide obtenu par la distillation du vin et d'autres liquides fermentés.
- Alcove: n.f. mot arabe (Esp. al-coba): Renforcement ménagé dans une chambre pour y placer le lit.
- Alezan: (alza-an) adj et n. (Esp: alzan, mot arabe)se dit d'un cheval dont la robe et les crins sont jaune rougeatre.
- Algarade: n.f. (Esp: algarada, escarmouche, mot arabe), discution vive et inattendue, dispute.
- Algèbre: n.f. (arabe. Al-djabr) science du calcul des grandeurs représentées par des lettres affectées du signe (+) ou du signe (-).
- Amiral: n.m. (arabe/ amir al-bahr, prince de la mer), officier général d'une marine militaire.
- Arsenal: n.m. (it. arsenal, mot arabe) fabrique d'armes et de matériel militaire.
- Artichaut: n.m. (it. dialecte, articiocco, mot arabe), plante potagère.

هذه جملة من الألفاظ العربية التي استطاعت أن تستقر بمعناها في اللغة الفرنسية، وهي دليل قاطع على أن العربية لغة بإمكانها أن تكون لغة علم وتقدم على خلاف ما يعتقد البعض خطأ، باتهامهم لها بالقصور.

سوف لن أخوض في هذا الموضوع لأن الدرس اللغوي الذي قدمته أعلاه خير جواب لهؤلاء ولهؤلاء.

في مقابل هذا نلاحظ أن التعامل مع اللغة الفرنسية من منظور عربي يختلف -أعتقد- اختلافا كليا، وفي التجارب الترجمية خير دليل على ذلك، وهذا الدكتور محمد مندور يقول في مقدمة ترجمته لكتاب "دفاع عن الأدب" لجورج ديهاميل:" أحب أن ألفت النظر إلى أن اتجاهي هذا لم يكن مذهبا، وأنا أعلم أن كل مذهب خليق أن يفسرد بتعميمه حقائق الأشياء، ولهذا لم أتردد في أن أعرب عندما اضطرتني إلى ذلك ضرورة المحافظة على قيمنا الثابتة، وأضرب لذلك مثلا بجملة كان المؤلف يقول فيها:(إنه لابد في ال Culture من حرث وغرس وبذر) ومعنى Culture هنا هو الثقافة، ولكنه لما كان معناها الحقيقي في الفرنسية هو (الزرع) فإن الكاتب قد لازم المعنى الحقيقي ليدل على ما تتطلبه الثقافة من جهد، فتحدث عن الحرث والغرس والبذر.

ونحن في السنوات الخيرة قد استقر العرف عندنا على استعمال لفظة ثقافة في مقابلة Culture والمعنى الحقيقي للتثقيف والثقافة هو (تقويم السلاح)، ولهذا عربت فلازمت المعنى الحقيقي للفظتنا وقلت (لابد من الصهْر والطرق والشحذ) مشيرا إلى هذا التعريب في أحد الهوامش. وأنا بعد أعتقد أن الكثير من الكتب التي ترجمت إلى لغتنا لم تتحقق

فائدتها الكلية لكثرة التصرف والإكتفاء بترجمة دون طرق الأداء التي كثيرا ما تفوق في أهميتها المعاني المعبر عنها.

ثم هل لي أن أقول أنني حاولت أن أترجم عن الفرنسية كما يترجم الأوربيون إلى لغاتهم عن اللاتينية واليونانية، وإنني لم أكتف بالترجمة بل أضفت الكثير من التعليقات التي رأيتها لازمة لفهم النص"[4]

ولكي تتضح الصورة أكثر ارتأيت أن أسوق جملة من التاثيرات اللغوية العربية على اللغات الأخرى، فتأثير العربية في الإنجليزية يحتاج إلى دراسات معمقة من أهل الإختصاص اللساني، حيث وجب أن يعملوا على تفكيك الكلمات ونطقها ومحاولة تقريبها من اللغة العربية.

وفي هذا الإطار ظهرت عدة أعمال أعطت ثمارها، ولكنها بقيت بعيدة عن التناول الأكاديمي في الجامعات والمعاهد المختصة، حيث وفي مقالة نوعية ثرية كتبها الدكتور علي شلش، تحت عنوان " كيف ترجم الإنجليز الشعر العربي" أعطى الدكتور نظرة عن العمال التي ترجمت بعد ألف ليلة وليلة، خاصة "سيرة عنترة" التي قام بترجمتها ت. هاملتون ونشرها عام 1820م، وقد ضمت هذه السيرة بعض أشعار عنترة غير معلقته.

ولكن الفترة بين ظهور هذه الأشعار غير المقصودة لذاتها وبين ترجمة أخرى لنصوص شعرية كاملة طالت إلى نحو 57 سنة؛ ففي عام 1877م نشر المستشرق أ.هـ.بالمر ترجمة ديوان الشاعر المصري في العهد الأيوبي البهاء زهير.

ومن الواضح أن ترجمة هذا الديوان تعني سريان القاعدة القديمة المعروفة في الترجمة، أي قيامها على الهوى والإختيار الشخصيين للمترجم.

وفي عام 1881م قام و.أ.كلوستون في كتابه "الشعر العربي للقراء الإنجليز" بإعادة نشر ترجمات جونز وكارلايل، وكان المستشرق و.ج.بلجريف قد نشر عام 1872م فصلا عن "الشاعر عمر بن أبي ربيعة" في كتابه "مقالات في المسائل الشرقية"، أما المعري الذي أعجب جونز مترجما إلا عام 1908م على يد هـ.بايرلاين، في حين لم يظهر أبو نواس أو أبو تمام أو ابن الرومي، أو المتنبي إلا على نحو متقطع ومتأخر معا.

ولكن عملية استقبال الشعر العربي عموما لم تتوقف منذ محاولة جونز على أي حال، بالرغم مما لاحظناه عليها الآن من عشوائية، وتقطع، وانقياد لأذواق المترجمين الشخصية. وفي العهد الفيكتوري يلاحظ المتتبع لهذه العملية شيئا من الإزدهار داخل محيط مؤسسة الجامعة بصفة خاصة، أي داخل مؤسسة الإستشراق الإحترافي أيضا.

فقد قام عدد كبير من المستشرقين من أساتذة الجامعات بتأليف عدد من الكتب المهمة عن تاريخ الشعر العربي وتطوره (داخل إطار التاريخ العام للأدب العربي)، وترجمة نماذج من هذا الشعر على مدى القرون حتى وقتنا هذا، وتحقيق ونشر بعض مخطوطات الشعراء القدامى، ومن أبرز الأسماء التي عملت في هذه الميادين مرجليوث ونيكولسن وجب وآربري وبيستون.

ومن أبرز الدواوين التي حققوها ونشروها ديوان عبيد بن الأبرص الذي حققه ليال عام 1913م، وديوان الأعشى الذي حققه ر.جيير عام 1928م.[5] وقد اعتمد أغلب هؤلاء على

الترجمة الوزنية METRICAL TRANSLATION والمتمثلة في مقارنة العَـروض العربي بالعروض الإنجليزي، ومنه.

تقطيع التفاعيل العربية الثمانية:

- **فعولن** 0/0// **فعول** /0//
- U-U - - U
- **فاعل** 0//0/ **فعلن** 0///
- - U U - U -
- **مستفعلن** 0//0/0/ **متفعلن** 0//0//
- - U - U - U - -
- **مفتعلن** 0///0/
- - U U -
- **متعلن** 0////
- - U U U
- **مفاعيلن** 0/0/0// **مفاعلن** 0//0//
- - U - U - - - U
- **مفاعيل** /0/0//
- U - - U
- **فاعلاتن** 0/0//0/ **فاعلات** /0//0/
- U - U - - - U -
- **فعلاتن** 0/0///
- - - U U

- **فعلات** ///0/
- U -U U
- **مفعولات** /0/0/0/ **مفعلات** /0//0/
- U - U - U - - -
- **فعولات** //0/0/
- U - - U
- **مفاعلتن** //0///0 **مفاعلتن** //0/0/0
- - - - U - U U - U
- **متفاعلن (نادر)** ///0//0
- - U - U
- **متفاعلن** ///0//0 **متفاعلن** /0/0//0
- - U - - - U - U U

يقول السرجون دينهام في مقدمته للكتاب الثاني من إنيادة فرجيل، أنه " من الخطأ الفاضح في ترجمة الشعر المغالاة في الأمانة – الأمانة التي صحت في الحقائق العلمية والمسائل الدينية فلا تصح في الشعر فمن أرادها فيه أراد شيئا غير مستلزم وأدى ذلك إلى إخفاقه في تحقيق غرضه، إذ ليست مهمته مقتصرة على ترجمة لغة إلى أخرى بل شعر إلى شعر.

وأن روح الشعر شفافة رقيقة بحيث أنك إذا ما صببته من قالب لغة إلى أخرى تبخر وضاع، فإذا لم تضف إليه روحا جديدة أثناء النقل، لم يبق لديك منه سوى الوعاء."[6]

هذه الأمانة التي كانت في كثير من الأحيان على حساب الجمالية، التي يقول فيها الدكتور فؤاد زكريا، في مقدمته حين ترجم كتاب (النقد الفني – دراسة جمالية وفلسفية) لجيروم ستولنيتز[1]، حيث يطرح فيها بعض الصعوبات التي لاقاها في تعامله ترجمة مع هذا المصطلح "الجمال" ومشتقاته، فمن الشائع ترجمة لفظ "Aesthetics" بعلم الجمال، ومع ذلك فإن المؤلف يخصص فصولا كاملة لإثبات أن هذا العلم يمكن أن يتناول القبح أو التنافر، بقدر ما يتناول الجمال، أي أن الفن لايتخذ من الجمال وحده موضوعا له.

ولكن لفظ "علم الجمال" من جهة أخرى، أشد تأصلا في لغتنا الحالية من أن يستطيع المرء افستغناء عنه نهائيا، ولذلك فقد لجأت –يقول فؤاد زكريا– في المواضع التي يؤكد فيها المؤلف وجود موضوعات أخرى للفن غير الجمال، إلى استخدام لفظ "الإستطيقا" بدلا من "علم الجمال" لكي يتسنى القول ان الإستطيقا تبحث في الجمال والقبح معا، أما في المواضع التي لم يكن لفظ "الجمال" يهدد بأن يثير فيها إلتباسا، فقد استخدمت تعبير "علم الجمال".[2]

حيث يواصل فؤاد زكريا طرح الإشكالات التي اعترضته في هذا الجانب من ترجمته، محاولا تبرير ترجمته لهذه المصطلحات، ونحن وإن سقنا هذه التجربة الرائدة في فن الترجمة على الصعيد العربي، فلكي نتبين مدى الصعوبة التي تعترض المترجم من جهة وكذلك لإظهار مدى ارتباط المترجم بالأمانة النصية، وخوفه الشديد من الزيغ عن الحدود

• [1] –عنوان الكتاب باللغة الأصل:(Aesthetics and Philosophy of ART CRITICISM - Jerome (Stolnitz -Ed : Houghton Mifflin co; -Boston 1960.

• [2] –أنظر: جيروم ستولنيتز –النقد الفني، دراسة جمالية وفلسفية – ترجمة: الدكتور فؤاد زكريا –الهيئة المصرية العامة للكتاب –ط2 –1981 –ص: ط/ي.

النصية، ومحاولة إبراز كل الصعوبات التي اعترضته في إطار ترجمة لفظ واحد، وما زالت تعترض المترجمين على اختلاف مآربهم.

كذلك تظهر للدكتور فؤاد صعوبة أخرى تتعلق بالتعبير الإنجليزي (Fine Arts) الذي أصبح من السائد ترجمته بـ(الفنون الجميلة)، مع أنه قد يكون من الضروري أحيانا تحديد الفارق بين الصفة (Fine) والإسم (Fineness) من جهة وبين لفظ (Beauty) وكذلك لفظ (Aesthetics) من جهة أخرى.

ويضيف في نفس النص قائلا:" وقد كنت على كل هذه المعاني المتباينة، وآمل أن يتفق المشتغلون بالفنون الجميلة على مصطلحات تعفي الباحثين من مثل هذا الحرج."[1]

إذن، وما دمنا في الحديث عن تأثير اللغة العربية في اللغة الإنجليزية فقد "صدر معجم ويستر الإنجليزي سنة 1935 بمراجعة د.فيليب حتى، وقد ضم 600 ألف كلمة مأخوذة من اللغة العربية، منها 500 كلمة من الألفاظ المستعملة في الكتابة والأحاديث العادية، والباقي في الشؤون الفنية.

ولعل من يطلع على المعاجم الإنجليزية الشهيرة ومنها "معجم وبستر الدولي الثالث الجديد""Webster's Third New International Dictionary" يلاحظ الآتي: فمن الناحية الدينية نجد كلمة "الله" "Allah" مثبتة في المعاجم، وهي تختلف أيما اختلاف عن كلمة "إله" "God"، وكلمة "قاض" "Cadi" على الرغم من وجود كلمة "Judge"، وكذلك

• [1] –نفسه: ص:ط/ي.

لفظة "الهجرة" "Hejra" وهي في الإنجليزية "Migration"، وأخيرا "الشيطان" في العربية والتي نقلت إلى الإنجليزية "Satan".

وقد تنوع هذا في مجالات أخرى، مثل في علم الفلك نجد مصطلح "فم الحوت" يذكر في الإنجليزية بلفظه العربي هكذا "Famalhout"، وفي علم الرياضيات نجد "الصفر" "Cipher"، و"الجبر" "Algebra"، وهما مصطلحان عربيان. وفي علم الكيمياء نجد "القلي" "Alkali" وهي أدات التقطير، ولفظة "الكيمياء" من أصل عربي، كذلك فلفظة "Alcohol" هي في الأصل "الغول" ثم ترجمت "الكحول" من الإنجليزية.

حتى في أيامنا الحاضرة نجد للغة العربية آثارا واضحة في اللغات المعاصرة، فمصطلحات "ثوب" "Thoub"، "العود" "Oud"، "فدائي" "Fedayee"، شائعة الإستخدام في لغة الصحافة الإنجليزية المعاصرة.

قدر الأستاذ أنيس المقدسي الألفاظ العربية التي دخلت الإنجليزية فوجدها تناهز المائة والأربعين كلمة، في بحث قدمه لمجمع اللغة العربية بالقاهرة في أحد مؤتمراته، وهنا اجتهادات أخرى وصل الإحصاء فيها إلى عشرة آلاف كلمة انجليزية من أصل عربي، كما ورد في كتاب المرحوم الدكتور سليمان أبو غوش، الذي صدر عام 1977م.[1]

إذن فرغم التباعد الجغرافي بين الدول الناطقة أصلا بالإنجليزية والدول العربية، إلا أننا نجد عامل الإستعمار هو الذي ولد هذا الإحتكاك وهذا التأثير، وكذلك التطور والتقدم الذي عرفته العلوم عند العرب في فترات زمنية سابقة.

• [1] –أنظر: كارم السيد غنيم – اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة في عالمنا الإسلامي –عالم الفكر–م. س. ص:39.

تتصل الترجمة بالإستقبال والتلقي، وتؤدي لهما خدمات كبيرة، أهمها توفير النصوص في اللغة المستقبلة–الهدف–. نخلص من كل ما تقدم من تأثير وتأثر بين اللغتين العربية والإنجليزية إلى أن ترجمة الشعر العربي –مثلا– في إنجلترا بدأت في إطار اللغة اللاتينية خلال القرن السابع عشر، ولكنها كانت محدودة جدا.

وحتى نتبين سيرورة هذه اللغة في مقابل اللغة العربية نقف عند ما قاله الأستاذ أنور الجندي، يقول" وجملة الرأي في ذلك أن اللغة اللاتينية ماتت لغة للشعب بموت الدولة، وبقيت لغة للكنيسة والعلماء، أما الشعب فكانت على لسانه تتكيف بتكيفات مختلفة حسب الأمكنة والأزمنة والعناصر، ولم تكن اللاتينية لغته الأصلية وإنما كانت لغات أخرى كالصقلية والسكسونية والجرمانية، وكلها امتزجت بلغة اليونان، فلم تثبت تلك اللهجات إلا بتمادي الزمن وتنوع الكتبة وفتح المدارس وتأليف الكتب.[1] ولم تحدث اللغة اللاتينية أثرا مذكورا، أما الترجمة في إطار اللغة الإنجليزية فقد بدأت في القرن الثامن عشر.

لقد سبق وأن أشرنا إلى أن وليم جونز كان شاعرا، ومع ذلك لم يفرض النظم على ترجمة المعلقات، وإنما ترجمها نثرا حتى لاتفلت منه المعاني والصور الأصلية،أو تخسر شيئا من أصالتها إذا خضعت للوزن والقافية في الترجمة. وهذا نموذج من ترجمته لمعلقة امرئ القيس:"

1. Stay lot us weep at the rememberance of our beloved, at the sight of the station where her tent was raised, by the edge of yon bending sands between Dahul and Haumel.

• [1] –أنظر: ن.م.س. –ص: 40.

2.Tudam and Mikra; a station; the marks of which are not wholly effaced, though the south wind and the north have woven the twisted snad.[1]

وهذه ترجمة حرفية للبيتين السابقين:

1. قفا نبك ذكرى حبيبتنا ونحن نبصر الموقع الذي نصبت فيه خيمتها، عند حافة هاتيك الرمال المتلوية بين الدخول وحومل.

2. تدم ومقرا، انهما الموقع الذي لم تعف آثاره مع أن ريح الجنوب وريح الشمال نسجتا الرمال الملتوية.

ولنقارن الترجمة بالأصل عند امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل.

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجته من جنوب وشمأل.

من الواضح أن جونز ترجم البيتين السابقين ترجمة حرفية تقريبا، بالرغم من بعض الأخطاء اليسيرة، مثل القراءة الخاطئة –أو لعلها الكتابة الخاطئة– لعبارة "فتوضح فالمقراة"، ومن الواضح أيضا أن قارئ الشعر، أو الباحث في مادة إلهام جديدة، في ذلك الزمان، كان يجد بعينه في مثل هذه الترجمات الواضحة من ناحية، والمكتوبة بلغة مفهومة من ناحية أخرى، فالأساس هو شرقية النص وعروبته، وقدومه من مواطن ألف ليلة وليلة.[2]

- [1]W.A. Clouston, Arabian Poetry for English Readers -London -1881 -(DARF Publishers, Ltd, London 1986, by Facssimile), P:6.
- [2] –أنظر: د. علي شلش –مجلة القافلة –ع:9 –مقال –ص:47.

ورغم أسطورية امرئ القيس فبالنسبة للدكتور طه حسين يبقى هو الشاعر العربي الوحيد الذي استطاع أن يملأ الدنيا بأشعاره المتقنة المتينة، فإذا كانت ترجمة الشعر أصعب الترجمات، فإن ترجمة النص الشعري القيسي أصعب بكثير، لما يحويه من مرجعيات ودلالات قد تكون فلسفية من حيث لم يستوعبها العقل العربي، أو هي فلسفة لغوية شعرية، حاول الشاعر أن يوصلها على طريقة ما أوصل هوميروس أشعاره إلى الشعب اليوناني.

يقول الدكتور طه حسين:" إن شخصية امرئ القيس –إذا فكرت– أشبه شيء بشخصية الشاعر اليوناني هوميروس. لايشك مؤرخو الآداب اليونانية الآن في أنها قد وجدت حقا، وأثرت في الشعر القصصي حقا، وكان تأثيرها قويا باقيا، ولكنهم لايعرفون من أمرها شيئا يمكن الإطمئنان إليه، وإنما ينظرون إلى هذه الأحاديث التي تروى عنه، كما ينظرون إلى القصص والأساطير لا أكثر ولا أقل. فامرؤ القيس هو الملك الضليل حقا. نريد أنه الملك الذي لايعرف عنه شيء يمكن الإطمئنان إليه.

وهو ضل بن قل، كما يقول أصحاب المعاجم اللغوية. ومن غريب الأمر أن طائفة من الشعر تنسب إلى امرئ القيس على أنه قالها حينما كان متنقلا في القبائل العربية يمدح بها هذه ويهجو تلك. وتتصل بهذه الأشعار طائفة من الأخبار تبين نزول امرئ القيس في هذه القبيلة، والتجاءه إلى تلك القبيلة، وجواره عند فلان، واستعانته بفلان، وإن شيئا مثل هذا يلاحظ في حياة هوميروس؛ فهو –فيما يزعم رواة اليونان– قد تنقل في المدن اليونانية، فلقي من بعضها الكرامة والتجلة، ومن بعضها الإعراض والإنصراف.

ومؤرخو الآداب اليونانية يفسرون هذه الأحاديث على أنها مظهر من مظاهر التنافس بين المدن اليونانية كلها يزعم لنفسه أنه ضيف هوميروس أو نشأه أو أجاره أو عطف عليه.[1]

إن استشهادنا بهذا القول جاء من باب معرفة امرئ القيس، بنظرة جديدة معاكسة لما تعود عليه القارئ العربي، واقراره وخضوعه للتاريخ الرسمي الذي رسم أسطورة امرئ القيس، وكأنها خلقت من اللاشيء. ولكي لانبتعد عن هدفنا نقول إن المترجم جونز حافظ على كثير من عناصر هذا الأساس، ولم يحرم الترجمة من الشاعرية أحيانا، فقد استعصى عليه النص نفسه أحيانا أخرى. فاضطر إلى الحذف أو الإجمال أو الشرح حسب درجة الإستعصاء. بالرغم من سهولة النثر كوسيلة للترجمة الشعرية.

ومن أبرز الأمثلة على هذا التصرف في الترجمة حذف المترجم البيتين التاليين للبيتين السابقين، وقوله "لاتهلك من اليأس"، مقابل "لاتهلك أسى"، وقوله "ولكن ماذا يجري إن تذرفها (الدموع) على أطلال قصر مهجور؟"، مقابل "فهل عند رسم دارس من معول؟" وقوله "واستدارت، وأبدت وجنتها الناعمة، فألقت نظرة حيية من عينين فاترتين مثل عيني أنثى ليل في بساتين وجرة وهما ترمقان وليدها برقة" مقابل

"تصد وتبدي عن أسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هي نصته ولابمعطل...الخ.

من هنا يبدو أن المثل الإيطالي القائل "المترجم خائن" يصدق أول ما يصدق في الترجمة الأدبية بوجه خاص، فكلما شقت طريقا مستقلا إلى حد ما عن الأصل، وكلما خانت

---

[1] –طه حسين –في الأدب الجاهلي –م.س.–ص:200/199.

حرفيته لحساب متطلبات لغتها وذائقة عصرها، كان ذلك أبلغ وأسرع في احداث التأثير الواسع.

هذا ما حدث في الترجمة الفرنسية الأولى لـ"ألف ليلة وليلة" ونفس الشيء بالنسبة لنظيرتها الترجمة الإنجليزية الأولى، وترجمة "رباعيات الخيام" على يد فيتز جيرالد، وترجمة "البؤساء" لفكتور هيجو على يد حافظ إبراهيم أو ترجمة المنفلوطي لروايات برناردان دي سان بيير De Saint-Pierre[1] "بول وفرجيني" والتي حول عنوانها إلى "الفضيلة".

وجدير بالذكر أن حافظ إبراهيم لم يكن يعرف الفرنسية، وبالتالي كان لايستطيع أن يقرأ الرواية في نصها الأصلي.

ومن أبرز المترجمين الذين وقعوا ترجماتهم بإمضائهم إبراهيم ناجي مترجم ديوان بودلير Beaudelaire "زهور الشر"، والدكتور طه حسين مترجم مسرحية راسين Racine "اندروماك".[2]

من هنا تطرح الترجمة الأدبية سؤالا نراه مهما يتمثل في إمكانية الترجمة عن طريق نص وسيط، كان يترجم النص الفرنسي مثلا إلى العربية عن طريق ترجمة إنجليزية لذلك النص.

فإذا كان البعض ممن اشتغلوا في ميدان الترجمة يراه غير مشروع مثل كليل كيرون C.CAYRON حين يقول:"فكرة الترجمة عن طريق نص وسيط تتنافى تماما مع الأدب،

- [1] –أنظر: علي شلش –مجلة القافلة–م.س. –ص: 47.
- [2] –سامية أسعد –ترجمة النص الأدبي –م.س. –ص:18.

بل تعتبر إنكارا للأدب ونفيا له"[1]، فنحن نراه مشروعا كون هذا العمل الترجمي يعتمد على نص مترجم يحمل جميع مواضيع ومعاني النص الأول، وحتى من الجانب البنائي للنص الأصل، فإن بنيته ستظهر لامحالة في النص المترجم عن الترجمة، وهذا ما حصل مع كثير من المترجمين، فكم يوجد من ترجمات من هذا النوع أرقى من ترجمات تمت مباشرة من النص الأصل.

كل هذه نماذج لترجمات خائنة، ولكنها واسعة التأثير أكثر من أية ترجمة أمينة، إن وجدت، ليست هذه دعوة لخيانة النصوص عند ترجمتها، وإنما هي ملاحظة، أدعو من خلالها إلى خوض غمار الترجمة وإزالة الخوف من النص عن طريق الإندهاش والإنبهار.

غير أن هذه الخيانة –إن صح هذا– لم تعمر طويلا، حيث نلاحظ أن ترجمات المعلقات التي جاءت بعد هذه الترجمات اقتربت أكثر من النص الأصلي، وحاولت –قدر الإمكان– نقله إلى اللغة الإنجليزية بشيء من الدقة التركيبية والمعنوية، لا أصحاب هذه الترجمات التزموا النظم وحاولوا التقريب بين العروض العربي –مثلا– والعروض الإنجليزي.

والملاحظ كذلك أن الترجمات التي قام بها مترجمون عرب كانت أقرب إلى النص العربي الأصلي من تلك التي قام بها مترجمون أجانب.

---

[1] • C.CAYRON -Actes de premières assise de la traduction litteraire =Arles -1984- p: 120.

ونحن كما سبق وأن قلت نعلم أن ترجمة النص الشعري أصعب من ترجمة النص النثري، أو بالأحرى ترجمة النص الشعري شعرا، أصعب من ترجمته نثرا، وذلك نظرا للمتحكمات الجمالية في النص الشعري من عروض وقافية ومحسنات بديعية وبيان.

وإذا كان جونز وكارلايل، وغيرهما من أوائل المترجمين، قد تحرروا من إرهاق القارئ بالهوامش والتذييلات والشروح، واستعانوا أحيانا بمقدمات ومؤخرات للنصوص، فقد تفنن المترجمون الأواخر في إرهاق القارئ.

ويظهر أن هذا شيء عادي نجده في كل اللغات بما فيها اللغة العربية، إذا اعتبرنا –وكما هو مبين في المعجم الفرنسي Le Robert – أن الترجمة هي "نقل ما يقال بلغة ما إلى لغة أخرى، مع الميل إلى معادلة معنى هذا القول وذلك" ويقول نفس المعجم إن المعادلة تعني "ما له نفس القيمة ونفس الوظيفة".

كذلك ترى أغلب المعاجم، كما يرى أغلب القراء، أن ترجمة النص الأدبي يجب أن تبدو كصورة أمينة للنص الأصلي، أي أن تكون نصا يشبهه بقدر الإمكان. وعندما يقول القارئ إنه يقرأ نصا مترجما ولا يشعر أنه مترجم يعبر عن هذا المطلب أصدق وأبلغ تعبير، فهو بقوله هذا يعبر عن رغبته في أن تكون الترجمة صورة يتوهم أمامها أنه أمام النص الأصلي، لا أمام ترجمته، وعن رغبته في أن لاتشوه الترجمة صورة الثقافة التي يعكسها النص.[1]

• [1] –سامية أسعد –ترجمة النص الأدبي –م.س. –ص:19.

غير خاف إذن مدى العناء الذي يلاقيه المترجم، خاصة ذلك الرعيل الأول من المترجمين افنجليز الذين تعاملوا مع النص العربي القديم، وتحمسوا له، فمن البديهي والمعروف في الوساط المهتمة بالنص التراثي العربي –خاصة النص الشعري– أنه نص لايتأتى لكل ولوجه والخوض فيه ودراسته وشرحه وتوثيقه، فما بالك ترجمته، فهو يصعب على أصحاب اللغة العرب، فكيف السبيل إليه إذا كان المتعامل من اكتسب هذه اللغة عن طريق التعلم والدراسة، وانها ليست لغته الأصلية؟

هذا الشعر الذي وصفه المستشرق الفرنسي بلاشير بأنه "حديقة سرية" ومثل هذه الحديقة يلزم لمعرفة سككها الإلمام بالثقافة التي احتضنت الشعر وأنبتته، فضلا عن إجادة العربية بكل ما تحمله اللغة القديمة العريقة من معاني التعقيد والصعوبة." الترجمة فن جميل يعنى بنقل ألفاظ ومعان وأساليب من لغة إلى أخرى بحيث ان المتكلم باللغة المترجم إليها يتبين النصوص بوضوح ويشعر بها بقوة كما يتبينها ويشعر بها المتكلم باللغة الأصلية والقواعد التي نستنتجها منه (التعريف)، والتي يعتمد عليها فن الترجمة هي:

- –يجب أن تعطي الترجمة صورة صحيحة للأفكار المتضمنة في النص الأصلي.
- –يلزم المحافظة على الأسلوب الأصلي قدر الإمكان.
- –ينبغي ألا تقل سلاسة الترجمة عن سلاسة أي قطعة موضوعة.[1]

---

[1] – د. صفاء خلوصي –فن الترجمة، في ضوء الدراسات المقارنة –م.سز –ص:14.

وهي كذلك" نقل نص مكتوب بلغة ما إلى لغة أخرى، وإن كان هذا النقل لايخلو من قدر من الخيانة قد يكثر أو يقل. كما تطرح الترجمة عددا من القضايا والأسئلة التي لم يجد بعضها حلا أو ردا نهائيا حتى اليوم.

والترجمة نشاط مواكب لوجود الإنسان فهي، في المقام الأول، عملية أداتها اللغة، شفوية كانت أم مكتوبة، وهي تنقل "رسالة" ما بين طرفين، هما "الراسل" و"المتلقي".ولقد مارس البشر هذا النشاط على مر العصور، وبفضله تبادلوا فيما بينهم وتعرف بعضهم على البعض الآخر، وأقاموا حوارا بين حضاراتهم وثقافاتهم، وشمل هذا النشاط العلوم والآداب بكافة أشكالها، لكن، إلى عهد قريب، لم يفكر فيه من يمارسونه إلا نادرا. وشهد قرننا العشرون، بصفة خاصة، اتجاها إلى "تنظير" عملية الترجمة، وارسائها على أسس وقواعد علمية قد تعين المترجم على القيام بمهمته. من ثم وجد ما يسمى "بنظرية الترجمة" و"مناهج الترجمة."

لقد أصبحت الترجمة مادة تدرس في المعاهد والجامعات ويتخذ منها الباحثون مادة لدراساتهم وأبحاثهم التي ينالون عنها الدرجات العلمية، وهكذا تحول "فن الترجمة" إلى "علم الترجمة" وطرحت الأسئلة حول علاقة هذا الأخير بالعلوم الأخرى عامة، واللسانيات على وجه الخصوص.

وشهد قرننا العشرون أيضا تقدما علميا وتكنولوجيا هائلا، يضيف إلى اللغة كل يوم مفردات ومصطلحات جديدة، مما أدى إلى تقسيم النصوص إلى مجموعتين كبيرتين:

النصوص الأدبية، والنصوص العلمية والفنية، وأدى إلى التفرقة على المستويين النظري والعلمي، بين الترجمة الأدبية والترجمة العلمية."[1]

ومن حسن حظ الشعر العربي أن مترجميه الإنجليز الأوائل هؤلاء الذين ذكرناهم سابقا، كانوا هم أنفسهم شعراء أو أصحاب أساليب نثرية رفيعة، مما مكنهم من التنقل بذكاء وبراعة بين دروب تلك الحديقة السرية التي انتهى إليها بلاشير.

ولهذا أضفوا على ترجماتهم جهدا إضافيا ورونقا مغريا بالقراءة والتذوق, بغض النظر عن أمانتهم أو عدم أمانتهم في الترجمة, فالأمانة المطلقة في ترجمة الشعر عموما مسألة نسبية.

ويجب أن نلاحظ أيضا أن المترجمين المعاصرين الذين نقلوا الشعر العربي الحديث إلى الإنجليزية يعدون أكثر أمانة من السابقين. ولكن ما زال للسابقين فضل الريادة وفضل اتساع الأثر.[2]

إن للنص هويته، يجب على المترجم أن لا يفقدها في عملية الترجمة، وله حرمته تدفع المترجم أن يعامله بكل نزاهة علمية، ومسؤولية النص دين على المترجم، هي مسؤولية علمية أولا وأخلاقية ثانيا، على المترجم ومن خلال هذه الخصوصيات أن يبدع النص ثانية – إن كان النص إبداعا – وأن يكتبه ثانية، إن كان النص علميا، نقديا أو نصا علميا بحتا، وعلى المترجم أن يكتب النص للمرة الثانية...أو للمرة الثالثة...عليه أن يتدخل في

- [1] –سامية أسعد –ترجمة النص الأدبي –عالم الفكر –م.س. –ص:15.
- [2] –علي شلش –مقال –مجلة القافلة –ع:9 –ص:47.

النص، وفي الوقت نفسه عليه أن لا يتدخل، عليه أن يبرز ويظهر في النص، وفي الوقت نفسه عليه أن يندس، هي العناصر التي تجعل مهمة المترجم غاية في الصعوبة.

وحين يشعر بهذه الوقفات، يعلم إذ ذاك أن كل ترجمة خيانة على حد قول الإيطاليين.. حيث يفترض كل مترجم –بادئ ذي بدء–وجود معنى واحد للنص المراد ترجمته، هذا المعنى يتفرع ويتوزع على مجموع عناصر النص التي تؤدي غرضا واحدا متمثلا في الحفاظ على هذا المعنى وإبلاغه وتوصيله إلى المتلقي. نص دار معناه بخلد صاحبه، عاش فيه، ألمه وأقلقه، وفي مرحلة متأخرة وضعه ثم أمضاه باسمه، وأصبح هو صاحب الملكية عليه.

أثر اللغة العربية في اللغات الأخرى.

"إن من يتتبع الألفاظ العربية التي دخلت غيرها من اللغات، يرى أنها لم تترك لغة من لغات أوربا إلا ولها فيها أثر، في الإسبانية والبرتغالية والفرنسية والإنجليزية والغالية القديمة وفي الألمانية واللغات الجرمانية الأصل كالهولندية والاسكندنافية في شمال أوربا. وفي الروسية والبولندية واللغات الصقلية، وفي الإيطالية وبعض لهجات فرنسا وإيطاليا "[1]

إن ما يقال عن تأثير اللغة العربية في اللغتين الفرنسية والإنجليزية، يقال بشكل أكثر وأكبر في تأثيرها في اللغتين الإسبانية والبرتغالية والإيطالية، فلقد كان للغة العربية أثر كبير في اللغة الإسبانية وكذلك البرتغالية، وذلك بحكم وجود اللغة العربية ثمانية قرون في الأندلس، أقامت خلالها حضارة عظيمة، مما ولد هذا التأثير الواسع في اللغتين.

• [1] –كارم السيد غنيم –اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة في عالمنا الإسلامي –م.س. –ص:38.

حيث أحصى العلامة دوزي والعلامة أنجلمان هذه الكلمات في كتاب سمياه "مفردات الكلمات الإسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية" طبع في لندن عام 1869م، وقد أجرى الإسبانيون عددا من التصنيفات للغة العربية ومع ذلك فلا يزال حوالي 17% من كلماتهم عربية.

أما بالنسبة إلى تأثير اللغة العربية في اللغة الألمانية فتشهد المستشرقة الألمانية الدكتورة سجريد هونكه في كتابها المعروف والمشهور " شمس العرب تسطع على الغرب" بان للعربية فضل كبير على اللغات الأوربية، حيث نجد عبر صفحات كتابها كلمات كثيرة تراها عربية الأصل، دخلت اللغة الألمانية.

وتختم كتابها بفهرس يضم ملحقا بحوالي مائتين وخمسين كلمة عربية الأصل، والملاحظ أن بعض هذه الكلمات تشترك مع القائمة التي وضعها العالم بيير جيرو عن تاثير اللغة العربية في اللغة الفرنسية. وتعتبر هذه القضية موضوعا آخر يحتاج إلى دراسة مستقلة عن هذا الانتقال، وكيف تم وما هي المسالك التي سلكها حتى استقر في كلتا اللغتين في الآن نفسه.

ومن موقعنا كباحثين نرى وبحكم تقارب اللغتين العربية والفرنسية جغرافيا أكثر من تقارب اللغتين العربية والألمانية، فإن هذا الانتقال تم عن طريق اللغة الفرنسية، خاصة إذا نظرنا من الوجهة التاريخية في منتصف هذا القرن وإبان الحرب العالمية الأولى والثانية، والدور الذي لعبه العرب في الحرب التي دارت بين فرنسا وألمانيا، خاصة الجزائريين والمغاربة.

إن مرد هذا التأثير –كما يعتقد الذين بحثوا نفس الموضوع– لا يعود إلى أزمنة غابرة، بل يعود إلى أزمنة قريبة خاصة منذ الحروب التي كان للعرب دورا فيها، مثل ما هي الحال بالنسبة إلى الحربين العالميتين الأخيرتين، وخاصة الدور الذي لعبه سكان الشمال الإفريقي، والصعوبة التي لاقتها السلطات العسكرية في محاكمة المساجين، مما دفع إلى استعمال الترجمة من العربية إلى اللغات الأخرى، وخاصة الألمانية.

أما من حيث تأثير اللغة العربية في اللغة الإيطالية واللغة الصقلية، فقد " أشار الدكتور لويجي رينالدي افيطالي إلى أن اللغة العربية تركت أثرا كبيرا في اللغتين الصقلية والإيطالية، وأنه لا يزال الجزء الأكبر من الكلمات العربية الباقية تفوق الحصر، دخلت اللغة بطريق المدنية لا بطريق الاستعمار."[1]

أنطوان جالان و ترجمة ألف ليلة و ليلة.

إذن في هذا المجال، مجال تأثير اللغة العربية في اللغات الأوربية، وترجمة النصوص العربية إلى اللغات الأوربية، خاصة الإنجليزية والفرنسية منها ، يمكن أن نقف إجمالا عند بعض الأسماء البارزة التي اشتغلت في هذا الميدان، فأول اسم يفرض نفسه أنطوان جالان ANTOINE GALLAND ، حيث يدين القارئ الأوربي في القرن الثامن عشر في معرفته لـ "ألف ليلة وليلة" إلى هذا الأخير الذي قام ولأول مرة في تاريخ أوربا الأدبي، بترجمة الكتاب إلى اللغة الفرنسية، وكان ذلك ما بين عامي 1704 و 1717م، في اثني عشر مجلدا.

---

[1] –نفسه –ص:40.

ومن المعروف أن هذه الترجمة قد نالت نجاحا باهرا وراجت في كل أنحاء أوربا؛ تنافست عليها دور النشر، وظلت مدى قرن كامل الترجمة الوحيدة التي عرف بها العالم الغربي ليالي شهرزاد. ويبدو أن هذا النجاح لا يمكن تفسيره إلا بسببين:

أولهما، أن أنطوان جالان كان مترجما قديرا، وأديبا فذا، استطاع أن يقدم لقرائه أجود ما تضمنته "الليالي" من حكايات بأسلوب سلس ولغة ناصعة.

وثانيهما، هو ظهور هذه الترجمة في الوقت المناسب، إذ سئم الناس، في هذه الفترة، من قيود الكلاسيكية، وراحوا يبحثون عن أدب جديد قادر على إلهاب خيالهم.

وقد تطرح جملة من الأسئلة لتقويم هذه الترجمة التي راجت في الغرب رواج الأوديسة والإيبادة، ومن هذه الأسئلة نسجل ما هي الطريق التي اتبعها جالان في ترجمته؟ ما هي المخطوطات التي اعتمد عليها في ترجمته؟ لماذا تصرف في النص العربي وعلى أي أساس؟ ما هي العناصر التي ساهمت في شهرتها ورواجها؟

هذه أسئلة وغيرها يطرحها القارئ على هذه الترجمة. والملاحظ هنا أن ترجمة جالان لـ"ألف ليلة وليلة" عرفت نجاحا أكبر من ذلك الذي عرفته ترجمته للقرآن.

ويعتبر ريشار بيرتن Richard Burton من الرواد الإنجليز الذين ترجموا "ألف ليلة وليلة" وذلك حوالي 1880م. أما إدوارد فيتزجرالد، فترجم "رباعيات الخيام" التي نشرها عام 1858، وهي ترجمة اعتبرها النقاد عبارة عن محاكاة وإعادة إبداع، على عكس ترجمات Calderon Dues .

والملاحظ أن المجهود الترجمي من العربية انطلق تقريبا بعد نهاية مدرسة بغداد، إلى أن جاء القرن التاسع عشر وبدأت الترجمة إلى العربية، مع محمد علي (1804-1849) ثم نائب ملك مصر، والمعروف من هؤلاء المترجمين في هذا العصر الطهطاوي[1]، ثم في نهاية القرن التاسع عشر –مصر وسوريا– يظهر إسم مصطفى لطفي المنفلوطي مترجم أعمال أدبية كثيرة، حيث شجع المترجمين العرب، والذين عرفوا بنوع جديد من الكتابة الروائية، وهي الرواية التاريخية على طريقة ولتير سكوت Wilter Scott.

وبعض النصوص الدرامية المحاكية لشيكسبير أو فيكتور هيجو، وقد قدم ر.ج.خوري R.G.Khouri بحثا أكاديميا موضوعه "المترجمون العرب في لبنان من 1840 إلى 1905" (Les Traducteurs Arabes au Liban de 1940 à 1905.) اليسوعيون الفرنسيون Les Jésuites Français. المبشرون الأمريكيون حيث أصبحوا فعالين في منتصف القرن التاسع عشر.

ألف العرب في القرون الوسطى الكتب في شتى المواضيع والميادين، حيث كانت مؤلفاتهم تحفظ في بلاطات الملوك والأمراء ومكتبات الوزراء والقضاة والأفراد، حيث شاع صيت المكتبات التي انتشرت شرقا وغربا، وفي مدن مختلفة أهمها مدينة قرطبة التي كانت تنتشر فيها حوالي سبعين مكتبة، حيث كان يتردد عليها طلاب العلم من كل جهات البلاد ومن البلاد المجاورة.

---

[1]– أنظر : الباب الأول الفصل الثاني.

ومن أهم العوامل التي دفعت العرب إلى التأليف، الترجمة التي اهتم بها العلماء العرب من المشرق والمغرب، ولقد سبق لنا أن عرفنا مدى العمل الذي قام به العرب في ميدان الترجمة عن اليونانية، والسريانية والفارسية والهندية والقبطية وغيرها من اللغات القديمة، في الوقت الذي كان فيه الأوربيون يجهلون كل شيء عن ثقافة اليونان والشعوب الأخرى. حيث يرجع الفضل كل الفضل إلى العرب الذين عرفوا الغربيين بهذه العلوم اليونانية عن طريق الترجمة. إن كل ما وصل عن الحضارة الإغريقية كان عن طريق العرب، ولا نجد نصا واحدا مكتوبا باليونانية، لم يشتغل عليه العرب، سواء ترجمة أو تفسيرا.

كان للكنسيين موقف من التراث العربي، ورغم هذا الموقف إلا أن الاحتكاك الذي وقع بين العرب الأندلسيين والأوربيين، ولد عند هؤلاء حب الإطلاع على حضارة العرب، ونشاطاتهم العلمية والتاريخية، خاصة عندما علموا أن العرب ترجموا ثقافة وعلوم وفلسفة الإغريقيين، وهكذا عكفوا على ترجمة الكتب العلمية العربية، ولقيت هذه الأعمال الترجمية صدى إيجابيا عند ملوك النصارى، وانتشرت في رقعة واسعة من أوربا.

3- النظرية الترجمية و إشكالية ترجمة المصطلح

- المعاجم العربية الحديثة وإشكالية الإتفاق.

نصت المعاهدة الثقافية التي أبرمت عام 1945م، وهي أول معاهدة عقدت بين الدول العربية، والتي وقعت ميثاق جامعة الدول العربية في العام نفسه، في إحدى موادها على ضرورة تنشيط الجهود التي تبذل لترجمة عيون الكتب الأجنبية القديمة والحديثة، وتنظيم تلك الجهود في إطار دول الجامعة.

وجاء ميثاق الوحدة الثقافية العربية لينص على أن تعمل الدول الأعضاء على تنشيط الجهود وتكثيفها للرفع من المستوى الثقافي حتى يقوم بالواجب المنوط به على المستوى العالمي. وعقد حلقة دراسية لمناقشة وإثراء قضايا الترجمة.

إن النهضة التي نعيشها اليوم والتي بدأت تباشيرها منذ القرن الماضي، هي استمرار لمسيرة سابقة، وهي جهد جديد لاستعادة الدور الفعال لصناعة حضارة أخرى، حضارة تصبغها الإنسانية، انطلاقا من مبدأ المشاركة الفاعلة في الإبداع في شتى ميادين الحياة، وفي المعرفة البشرية.

لقد كسر العرب عزلتهم منذ أربعة عشر قرنا، عبر هذه المسافة الزمنية، وعبر هذه الأمكنة المتنوعة من العراق إلى الأندلس، أقبل الجنس العربي بشغف على العلوم السابقة والحديثة معتمدا على الترجمة كوسيلة لنقل هذه العلوم من اللغات الأخرى، اليونانية والسريانية والفارسية والهندية والتركية والقبطية وغيرها من اللغات الحديثة المنبثقة عن اللاتينية.

هكذا بدأت حضارة العرب تشق طريقها وسط الحضارات الأخرى، تمدها وتأخذ منها، وما كان ليكون للعرب تقدما لولا تلك العصور الذهبية، خاصة عصري الأمويين والعباسيين.

إن اللغة القرآنية هي اللغة العربية، وقد أغناها بمعانيه ودلالاته العميقة، وببلاغته وأساليبه الرصينة، واستطاع أن يوصلها إلى بقاع العالم، وأن يجعلها تحتل المكانة المرموقة بين لغات العالم في زمن التقدم الحضاري العربي.

إنها لغة العلم والفن و الأدب والفلسفة والتكنولوجيا، إن الجنس العربي ومنذ بدايات هذا القرن أصبح يعاني في حياته الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية، وانعكست هذه الوضعية

على لغته، فأصبح يعاني من صعوبات شتى لتحقيق الهدف الحضاري الكبير الذي دعت إليه حضارته القديمة، ونظر إلى لغته فظنها قاصرة على تحمل الأعباء التكنولوجية الحديثة.

إن إشكال اللغة العربية مرده أساسا إلى هذه الدول العربية، ومجامعها اللغوية القاصرة على التكيف السريع مع العصر، هذا التكيف الذي يعتمد اعتمادا كليا على إشكالية المصطلح، إما استحداثا أو ترجمة.

وهذا ثبت بأهم المعاجم التي اهتمت بالمصطلح وترجمته:-

- القاموس الطبي – فرنسي/عربي للدكتور محمد رشدي البقلي ، طبع في باريس عام 1871م,
- القاموس الطبي – إنجليزي/عربي للدكتور إبراهيم منصور –طبع في مصر عام 1891م.
- القاموس الطبي العلمي –عربي/فرنسي من تأليف نعمة إسكندر (وهو مترجم في مجلس الصحة العمومية بالقاهرة) وقد طبع بالإسكندرية –مصر–عام 1893م.
- القاموس الإنجليزي/ العربي في العلوم الطبية للدكتور محمد شرف طبع في القاهرة عام 1927م.
- مجمع الألفاظ الزراعية فرنسي/عربي للأمير مصطفى الشهابي الطبعة الأولى عام 1943م، الطبعة الثانية 1957م القاهرة.

- لوائح المصطلحات والمعاجم المتخصصة الملحقة بكتب جامعة دمشق، للأستاذ جميل الخاني في علم الطبيعة، وللأستاذ الدكتور حسني سبح في الأمراض الداخلية (سبعة أجزاء).
- معجم كليرفيل الطبي كثير اللغات ترجمه إلى العربي أساتذة جامعة دمشق:- الدكتور مرشد خاطر والدكتور أحمد حمدي الخياط والدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي. صدر في دمشق عام 1956م.
- معجم العلوم الطبية إنجليزي / عربي / فرنسي، لأساتذة جامعة دمشق :- الدكتور مرشد خاطر ، الدكتور أحمد حمدي الخياط والدكتور محمد هيثم تاخياط. صدر في دمشق عام 1974م (الجزء الأول منه).
- موسوعة العلوم الطبية : طبقت في دمشق بإشراف وزارة التعليم العالي –صدر العدد الأول بمناسبة العيد الذهبي لجامعة دمشق ثم توقفت عن الصدور.
- المعجم الوسيط ، معجم القاهرة.
- معجم كازمرسكي –بالفرنسية والعربية.
- معجم لين (مد القاموس)، بالإنجليزية والعربية.
- معجم بادجر ، بالإنجليزية والعربية.
- معجم بيلو ، بالإنجليزية والعربية.
- معجم المنهل، بالفرنسية والعربية.
- معجم المورد، بالإنجليزية والعربية.

- المعجم الطبي الصيدلي الحديث، الدكتور علي محمود عويضة ، صـــدر عـــام 1970م.
- المعجم الفلكي ، أمين معلوف 1935م.
- معجم أسماء النبات ، الدكتور أحمد عيسى عام 1949م.
- معجم المصطلحات الجراحية، الدكتور أحمد عيسى عام 1962م.
- المعجم الكهربائي الإلكتروني، وزارة الدفاع السورية ، عام 1978م.
- معجم المصطلحات البترولية الصناعية والنفطية ، لأحمد شفيق الخطيب. (دون عام),
- معجم القانون لحارث سليمان الفاروقي، عام 1962م.
- المعجم العلمي للمصطلحات القانونية والتجارية والمالية، ليوسف شلاش وفريد فهمي.(دون سنة).
- المعجم الفلسفي، ليوسف كرم (دون سنة).
- معجم المصطلحات الديبلوماسية للدكتور مأمون الحموي عام 1949م.
- معجم المصطلحات الجغرافية الصادر بالقاهرة عام 1965م.
- معجم المصطلحات الأثرية، ليحيى الشهابي ، صدر عام 1967م.
- معجم مصطلحات الفنون للدكتور عفيف بهنسي صدر عام 1971م.
- معجم مصطلحات الحديث للدكتور نورالدين العتر صدر عام 1977م.
- معجم قاموس علم النفس للدكتور فاخر عاقل صدر عام 1971م.

- المعجم العسكري الموحد صدر عام 1968م.
- الصحاح في اللغة والعلوم للأساتذة:- نديم مرعشلي ، أسامة مرعشلي ، تقديم الشيخ عبدالله العلايلي صدر عام 1974م.
- معجم مصطلحات العلم والتكنولوجيا ، معهد الإنماء العربي صدر عام1982م.
- الموسوعة الفلسفية العربية ، معهد الإنماء العربي، صدر عام 1986م.
- معجم مصطلحات تعويض الأسنان – إنجليزي / عربي / فرنسي، للدكتور ميشيل خوري الأستاذ في كلية طب الأسنان –دمشق –نقابة أطباء الأسنان، صدر عام 1970م.
- معجم المصطلحات الطبية، نشر عام 1984م بالقاهرة بمناسبة إحتفال مجمع القاهرة بالعيد الخمسيني لتأسيسه، من وضع لجنة المصطلحات فيه وبإشراف مقررها الدكتور حسن علي إبراهيم.
- قاموس حتى الطبي، إنجليزي / عربي نشر عام 1966 في بيروت بمناسبة العيد المئوي لتأسيس الجامعة الأمريكية في بيروت لمؤلفه الدكتور يوسف حتى أستاذ الأمراض الباطنية وعلم التشريح.
- المعجم الفلسفي، للدكتور جميل صليبا الذي طبع عام 1971م في جزئين.[1]

هذه جملة من المعاجم العربية التي اشتغل عليها مجموعة كبيرة من الأساتذة الجامعيين من بعض الدول العربية خاصة الجمهورية العربية السورية وجمهورية مصر العربية.

- [1] –أنظر : قاسم السارة –مقال –عالم الفكر –م.س. –ص:120–122.

والملاحظ أنه رغم هذا العمل العلمي الجبار إلا أن الإشتغال على المصطلح يبقى ناقصا إذا ما قارنا أنفسنا بالدول الغربية التي كانت وإلى وقت ليس ببعيد تؤلف معاجمها انطلاقا مما ألفه العلماء العرب.

ونلاحظ كذلك هذا التقدم في سيرورة المعاجم العربية مزدوجة ومتعددة اللغة، وذلك مرده إلى الاهتمام بما كان ينتج من هذه المعاجم والاعتماد عليها دون تكرارها.

لقد " تناول الأدباء العرب في القرن الماضي قصور المعجمات القديمة عن الإحاطة بمستجدات الفكر الحديث، وما نتج من تفتح حضاري، تمثل في ظهور المئات بل الآلاف من الألفاظ المستحدثة، المندرجة تحت عنوان "المصطلحات" وقد حدا ذلك ببعضهم إلى تأليف معاجم جديدة تساير تطلعات العصر وعلومه وفنونه.

وقد ظهر معجمان كبيران هما " محيط المحيط " لبطرس البستاني و " أقرب الموارد إلى فصح العربية والشوارد" لسعيد الشرتوني، وقد ضم هذان المعجمان عددا كبيرا من المصطلحات العلمية والفنية مع ذكر المعرب والدخيل وما تسرب إلى المادة اللغوية من لفظ عامي."[1]

إشكالية الصياغة.

والمصطلح تعريفا هو عرف خاص اتفقت عليه جماعة معينة في زمن معين، ومكان معين، حيث يكون معناه الدلالي موافقا لشكل لغوي، ولا يوضع المصطلح ارتجالا بل بعد دراسة وتمحيص وتدقيق. ويعرفه مصطفى الشهابي :"المصطلح هو لفظ اتفق العلماء على اتخاذه

• [1] –د. رياض زكي قاسم – قراءة أولى لأعمال نقدية في القرن التاسع عشر – مقال –مجلة الفكر العربي – العددان: 39–40 – 1985 –ص:244.

للتعبير عن معنى من المعاني العلمية. وحتى تظل اللغة محافظة على صفائها ونقاوتها وصفاء مصطلحاتها وضعت شروط لتوليد المصطلح، نجملها في النقاط التالية:

- اتفاق العلماء على المصطلح للدلالة على معنى معين (علاقة الاسم بالمسمى).
- اختلاف دلالته الجديدة عن دلالته القديمة.
- وجود علاقة بين مدلوله الجديد ومدلوله اللغوي.
- الاكتفاء بلفظ واحد للدلالة على معنى علمي واحد، لتفادي الاختلاف.

لقد استقبلت اللغة العربية ألفاظا كثيرة اقترضتها من اللغات التي احتكت بها عبر الزمن، فكان لزاما عليها أن تجد لها مكانا بين ألفاظها، وتجد لها طريقة في الاستعمال كتابة ومشافهة، ولم يقف اللغوي العربي مكتوف الأيدي أمام هذا التدفق الاصطلاحي على اللغة العربية، وإنما أوجد منافذ لها بين صيغ العربية وتصاريفها، فكانت تتحكم فيه ضوابط محددة، لا يحق له أن يتجاوزها، إلا في حالات نادرة."

وقد عرفت العربية حروفا خاصة تستعملها في زيادة البنية، تسمى (حروف الزيادة) وهي مجموعة في العبارة:(سألتمونيها)، ومن هذه الحروف زوائد فعلية: كالهمزة والسين والتاء والنون، وزوائد اسمية: كالميم والهاء، وزوائد مشتركة: كالألف والواو والياء واللام.

وعلى أن هذه الحروف لا تزاد مجردة، بل لابد من اقترانها بحركات مناسبة لتصبح مقاطع كاملة، ثم تضاف في موقعها، واحدا أو أكثر، لتحقيق البنية الاشتقاقية المرادة."[1]

• [1] –كارم السيد غنيم – عالم الفكر –مقال – م.س. –ص:53.

وإذا عدنا إلى الوراء، نجد البيروني يلخص طريقته في نقل المصطلحات في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" حيث يقول:" وأنا ذاكر من الأسماء والموضوعات في لغتهم ما لابد من ذكره مرة واحدة يوجبها التعريف، ثم إن كان مشتقا يمكن تحويله في العربية إلى معناه ما لم أمل عنه إلى غيره إلا أن يكون بالهندية أخف في الاستعمال فنستعمله بعد غاية التوثقة منه من المكتبة، أو كان مقتضبا شديد الاستعصاء فبعد الإشارة إلى معناه، وإن كان له اسم عندنا مشهور فقد سهل الأمر فيه..."[1]

والمصطلح لفظ موضوعي، تواضع عليه المختصون بقصد أدائه معنى معينا بدقة ووضوح شديدين، بحيث لا يقع أي لبس في ذهن القارئ أو السامع لسياق النص العلمي، ولكن هذا التحديد الذي يتم بعناية قصوى لا يعني استقصاء المصطلح العلمي لكل دقائق المفهوم العلمي الذي يعبر عنه، أو إحاطته إحاطة جامعة بدقائق المفهوم المسمى به.

بل يكفي الاتفاق بين المختصين على ذلك، مع وجود علاقة أو ملابسة بين لفظة المصطلح وبين دلالته...سواء أكانت العلاقة حقيقية أم مجازية، من قريب أو من بعيد. وهكذا تكسب الكلمة العربية القديمة الأصيلة، أو المولدة المحدثة – اشتقاقا أو نحتا– شحنة دلالية تخرجها من طور الضياع والعطالة في سطور المعاجم إلى طور من النشاط والحيوية والانتشار في صدور العلماء والذيوع عبر أقلامهم وكلماتهم.[2]

- [1] –عن: قاسم السارة –عالم الفكر –تعريب المصطلح العلمي "إشكالية المنهج" –مقال –م.س.–ص:86–87.
- [2] –أنظر: د. تمام حسان –نحو تنسيق أفضل للجهود الرامية إلى تطوير اللغة العربية– اللسان العربي – المجلد 11 –الجزء 1 –ص:297.

ويعرف الزبيدي "المصطلح" في "تاج العروس" قائلا:" الاصطلاح اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص" وفي ذلك إشارة إلى أهميته "اتفاق" العلماء المشتغلين في الحقول العلمية وفي الدراسات اللغوية على إعطاء كلمة ما دلالة جديدة، وأن "اتفاقهم" هذا يخلع على الكلمة معنى جديدا قد يغاير إلى حد ما المعنى المعجمي ويكسبها دلالة جديدة قد تختلف عن الدلالة اللغوية المتعارف عليها سابقا.ومشكلة صياغة المصطلح العلمي تطرح في جميع اللغات.

وليس في اللغة العربية فقط "إن مشكلة صياغة المصطلح العلمي وتعميمه والاتفاق عليه مشكلة قائمة في جميع اللغات الحية بل هي في الأمم المتقدمة أكثر وضوحا وحدة منها في غيرها من البلاد..إذ "تقذف" معاهد البحوث والدراسات في الدول المتقدمة كل يوم، بل كل ساعة، سيلا من المفاهيم العلمية الجديدة التي تحتاج "لمصطلحات" تعبر عنها بدقة وأمانة ونوعية.

ولا يمكن الوصول إلى ذلك إلا بعد وعي تام للحقيقة العلمية الجديدة التي تبحث عن مصطلح يمثلها ثم إدراك عميق للأصول اللغوية ووسائل نموها وتطورها.

ورغم أن "المصطلح" يمثل "الشكل" فقط للمفاهيم العلمية الجديدة فإنه كثيرا ما يمس جوهر الحقيقة العلمية المراد التعبير عنها، بشكل أو بآخر حتى أصبح من الأمور المسلم بها اليوم أن من أهم العقبات التي تواجه نهوض تعريب التعليم العالي في شتى الأقطار العربية هي العثور على مصطلح عربي ملائم للكلمات والمفاهيم العلمية الجديدة القادمة من البلاد الأجنبية.

فالمصطلح هو الوسيلة الوحيدة والرئيسية لتكوين وتنظيم وتطوير المعارف وهو كالاسم العلم للإنسان المتحضر في مجتمعه..يدل بشكل نوعي وفريد ورسمي على مفهوم واحد.. وعلم " المصطلح" بمفهومه الحديث علم معقد، يشترك فيه جملة علوم مثل علم اللغة، والمنطق، وعلم الوجود، وعلم المعلوماتية، وحقول التخصص العلمي والأدبي والفني كل على حدة، أحيانا، وبالاشتراك فيما بينها أحيانا أخرى.

وكل ذلك الاشتراك يخدم تنظيم العلاقة بين المفاهيم العلمية وبين المصطلحات اللغوية التي تعبر عنها[1] كل هذا يعتمد على مراجع ومصادر حديثة وتراثية، وكل المؤسسات التي اهتمت وتهتم بميدان المصطلح من أجل الأفق الترجمية، فعلى سبيل المثال، فإن أهم المصادر التي اعتمدها أساتذة جامعة دمشق –كمؤسسة لا تزال رائدة في تعريب المصطلح بين الجامعات العربية–هي:

- المصادر التراثية القديمة، والمعاجم، والكتب العلمية العربية القديمة.
- المصادر التركية، فتتريك الطب الذي جرى في أواخر حكم الدولة العثمانية كان تمهيدا لاستعراب الطب لأن الألفاظ المستخدمة في المصطلحات العلمية التركية قريبة جدا من الألفاظ العربية.
- ما تركه أساتذة المدارس المصرية في القرن التاسع عشر من مؤلفات ومترجمات بلغت المائتين، واشتملت على ألوف المصطلحات، ومعظمها مأخوذ عن الفرنسية.

• [1] –أنظر: قاسم السارة –تعريب المصطلح العلمي –إشكالية المنهج–" مقال –عالم الفكر–م.س. – ص:83.

- المؤلفات والمترجمات العلمية العربية التي وضعها أساتذة الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية اليوم) ومعظمها مأخوذ عن الإنجليزية.
- جهود أساتذة كلية الطب أولا والكليات العلمية الأخرى والتي أسست في أوقات لاحقة... وتمثلت هذه الجهود بما نشره أساتذة كلية الطب في مجلة المعهد الطبي العربي من مقالات علمية ومن مناقشات حول بعض المصطلحات العلمية..وفيما ألفوا من تصانيف للتدريس وما ترجموه من معاجم علمية..وما وجه إليهم من نقد لأعمالهم.
- جهود رجال المجمع العلمي العربي بدمشق، وبعضهم كان يجمع بين عضوية المجمع، والعمل في التدريس الجامعي.
- جهود لجان المجمع العلمي العربي بالقاهرة...ومقررات مؤتمراته السنوية وما تصدرها من مصطلحات في مختلف الاختصاصات.
- الجهود الفردية التي قام بها بعض النابهين في وضع معاجم علمية مثل معجم شرف الطبي، ومعجم.
- الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي ومعجم الحيوان لأمين المعلوف.
- الجهود العربية المتمثلة بقرارات المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم أو إحدى اللجان المنبثقة عنها مثل مقررات لجنة المعجم الطبي الموحد.[1]

- [1] -أنظر: نفسه -ص106-107.

لقد طرحت إشكالية المصطلحات والوحدات والرموز والثوابت بحدة قصوى، حيث تختلف ترجمة المصطلح الواحد، بين مدرسة وأخرى، بل قل بين مترجم وآخر.

يقول كارم السيد غنيم في هذا الصدد:" تبرز ضرورة توحيد الترجمة العلمية للمصطلحات في كافة البلاد العربية، إذا علمنا أن كل بلد من هذه البلاد يجتهد علماؤه بوضع ترجمات معينة ومختلفة لنفس المسميات، ولعل أهم أسباب هذه الاختلافات تعدد المشارب والثقافات التي اكتسبت في عصور الاستعمار الأوربي، فمثلا تأثر أهل مصر والعراق والأردن بالثقافة الإنجليزية، بينما تأثر أهل سوريا ولبنان وتونس والجزائر بالثقافة الفرنسية.فأثر ذلك في ترجماتهم للكلمات والمصطلحات، ولكي يتضح الأمر نضرب الأمثلة التالية:

كلمة (Pendulum) ترجمها العراق بـــ (رقاص)، وترجمتها سوريا بـــ (نواس)، وترجمها الأردن بـــ (حظار)، وعربتها مصر بـــ (بندول).

كلمة (alga) ترجمت في مصر وفي العراق بكلمة (طحلب)، أما في سوريا ولبنان فترجمت بكلمة (أشنة)، والكلمة الأخيرة تطلق في مصر على اللفظ (Lichen).

كلمة (Endosperm) عربت في مصر بـــ (أندوسبيرم)، وترجمت في بعض البلدان العربية إلى (سويداء).

كلمة (Nucellus)، ترجمت إلى (جويزة) في البلاد العربية، ولكنها عربت في مصر (نويسة)"[1] وغيرها كثير من الألفاظ التي اختلف في ترجمتها، ومن ها هنا طرحت وما تزال تطرح إشكالية المصطلح وتعريبه وترجمته إلى اللغة العربية، بين البلدان العربية.

• [1] –كارم السيد غنيم – عالم الفكر –م.س.–ص:67–68.

وعليه دأب الكثير من العلماء إلى الاشتغال في هذا المجال، وكان نتاجهم العلمي ممهدا للحركة العلمية التي حاولت بعض الدول العربية اعتمادها، عندما أرادت أن تعرب التعليم في مؤسساتها باختلاف أطوارها.

ففي بداية العشرينات من هذا القرن وضع الدكتور محمد شرف معجمه الطبي، حيث وضع طريقة في تصنيف المصطلح الطبي والطبيعي، تعد بحق طريقة رائدة ممهدة لكل ما جاء بعده من بحوث في هذا المجال.

وقد جاءت الطبعة الثانية منه عام 1929م في ألف صفحة من القطع الكبير، تحتوي كل صفحة عمودين وصدر تلك الطبعة بمقدمة مستفيضة شرح فيها منهجه في وضع المصطلحات العلمية وقد ذكر في المقدمة بأنه تقيد بالقواعد السبعة التالية:-

القاعدة الأولى:

الألفاظ الفرنجية أو الأعجمية التي عرفنا لها ما يقابلها أو يراد فها بالعربية ويؤدي معناها تأدية صحيحة مميزة أثبتناها بمرادفاتها هذه، مجتنبين الألفاظ الحوشية والوحشية. بشرط التحقق من ورود هذه الألفاظ في معاجم العربية ودواوينها أو كتب الأدب وغيرها، أو تواتر سماعها وإن لم تذكرها هذه المصادر المؤلفة من عهد بعيد. ولم ننقص هذا المنهاج إلا إذا عرض عارض إضطرنا للشذوذ، نذكر من ذلك:

- لم نستعمل فعلا إفرنجيا إلا إذا لم نجد له فعلا عربيا يقابله فقلنا: **بستر ومغنط** كما قالوا من قبل **كهرب**.

إذا شاع استعمال أحد الأسماء الفرنجية أو الأعجمية المألوفة، وكان أدل على المعنى المراد من الكلمة العربية المبعوثة تخيرنا الفرنجي وفضلنا استعماله، مع ذكر اللفظ العربي للاستئناس.

القاعدة الثانية:

الألفاظ والمفردات التي لم نقع على مفردات لها في العربية، ولكننا رجحنا وجود مرادفات لها فيها، كنا نفرغ كل جهد في البحث والتنقيب عنها في مختلف المظان التي نظن وجودها فيها مهما كلفنا الوصول إليها من عناء.. والمعجم مشحون بأمثال ما ظفرنا به.

أما الألفاظ التي لم يعرف لها مرادفات في العربية فقد –تخيرنا لها ألفاظا: من العربية الفصحى اعتقدنا أنها تؤديه تأدية حسنة– أو اشتققنا لها من أصولها مقابلا. أو جعلنا لها ألفاظا مأخوذة من مضاد المعنى..وإذا تعسر ذلك رجعنا إلى معاني الألفاظ وأصول اشتقاقها، وترجمناها ترجمة دقيقة بما يفيد ذلك، مع المحافظة التامة على أصول المعاني.

القاعدة الثالثة:

الأعلام الفرنجية التي شاع استعمالها في العربية حافظنا على تصويرها بالرسم الذي رسمت به من قديم..والأعلام التي عربت قديما للفظ مخالف لما تلفظ به الآن عند أهلها وكتبت بهجاء واحد بالإجماع تابعنا السلف في تصويره، أما ماعدا ذلك فقد صورناه كما يلفظه أهله، أو بأقرب ما يكون من لفظه الأصلي وتوخينا حسن التطبيق والصدق في النقل، وراعينا قوام العربية.

القاعدة الرابعة:

الفكرات حديثة العهد بالوضع، والتي لاوجود لمرادفات لها في العربية، وعربت من قبل، وشاع استعمال الألفاظ المعربة بصورة معينة أثبتناها كما هي. ولم نحاول وضع ألفاظ أو صور أخرى أمنا من اللبس وتشويش الأذهان. مثال ذلك: أوكسجين وأيدروجين...أما إذا لم نعثر على تعريب سابق شائع الاستعمال عربنا اللفظ وفقا لمنهاجنا العام..وقد جارينا في ذلك أمم الغرب المتقدمة في الحضارة بمحافظتها على الأسماء التي وضعها المبتدعون والمخترعون لما ابتدعوا وأحدثوا.. فنجد مثلا الأسماء العلمية للحيوانات والنباتات واحدة في سائر اللغات الحية تنفيذا لرغبة الاتفاق الدولي المعروف...غير أننا في بعض المواضع وجدنا أن من الفكرات العربية ما هو أحكم من الفرنجية وأوفى بالمقصود في تأدية المعنى فأثبتناه.

القاعدة الخامسة:

كذلك تابعنا علماء الغرب في تصوير المفردات العلمية الأخرى التي لم يعرف لها مرادف عربي، سواء أكانت أسماء حيوانات أم نباتات أم حشرات أم أعضاء من أجسامها..

القاعدة السادسة:

أما المعاني سواء أكانت حقيقية أم مجازية فلم نجد أدنى صعوبة في إيجاد أوضاع تؤديها.

القاعدة السابعة:

الألفاظ الفرنجية المأخوذة من أصل عربي أو فارسي وتعذر رسمها أرجعناها إلى أصولها القديمة"[1]

• [1] –أنظر: د.محمد شرف –معجم العلوم الطبية والطبيعية –ط2–المقدمة –ص: 20. وما تلاها.

وبدخول النصوص المسرحية المجال الأدبي العربي، ولأن هذا الفن لم يعرف عند العرب منذ القديم، توجهت مجموعة كبيرة من الأدباء والمثقفين ممن يحسنون أكثر من لغة إلى البحث فيه، محاولة منهم في استنباط شكل جديد ينضاف إلى الأشكال الأدبية المعروفة عندهم.

فكان لزاما عليهم أن يقوموا بعملية ترجمة هذه النصوص المسرحية فاسحين المجال لتقليدها، والكتابة على غرارها، مما ولد عندهم الرغبة في مزيد من المعرفة بأصول هذا الفن ، الذي يعود تاريخه، كما هو معروف، إلى عهد الإغريق الذين أبدعوا فيه من الكوميديا إلى التراجيديا.

وإلى ما ألفه الأدباء الغربيون المحدثون وعلى رأسهم وليام شيكسبير. إن هذا الإتمام بالنص المسرحي ولد عند العرب حب الإطلاع، فانكبوا على الترجمة والاشتغال على المصطلح، إذن أعتبر أن خلو الساحة الأدبية العربية من بعض الفنون، كان عاملا مهما من العوامل التي ساعدت على التفتح على النص الغربي الذي أذكى نار فتنة المصطلح عند العرب.وهكذا ظهرت دراسات عديدة في هذا المجال.

إن الترجمة من مختلف العلوم ومن مختلف اللغات ولد شعورا بالحاجة إلى معاجم تختص بالمصطلحات كما فعل رفاعة الطهطاوي في مقدمة كتابه "المعادن النافعة"، وكذلك في كتابه الثاني الموسوم بـــ"قلائد المفاخر" والذي ذيله بألفاظ غربية مرتبة على حرف العجم، مع شرحها شرحا وافيا ودعا غيره للإقتداء به حيث يقول:"ولو وضع المترجمون نظير ذلك في كل كتاب ترجم في دولة أفندسنا ولي النعم الأكرم، لانتهى الأمر بالتقاط سائر الألفاظ المرتبة

على حروف الهجاء، ونظمها في قاموس مشتمل على سائر الألفاظ المستحدثة التي ليس لها مرادف أو مقابل في لغة العرب أو الترك."[1]

ثم يقول في المقدمة التي استهل بها كتابه الأخير (قلائد المفاخر) عربناها بأسهل ما يمكن التلفظ به فيها على وجه التقريب، حتى أنه يمكن أن تصير على مر الأيام دخيلة في لغتنا كغيرها من الألفاظ المعربة عن الفارسية واليونانية، وكان رفاعة يكتب اللفظ المعرب بحروف عربية مراعيا طريقة نطقه باللغة الفرنسية، ثم ينص على كيفية نطق هذا اللفظ بالطريقة (الأزهرية) القديمة، ثم يشرح معنى اللفظ بجملة واحدة أو جمل عدة مثل قوله مثلا: **أوبرا، أوبره:** (بضم الهمزة وكسر الباء الفارسية التي تقرأ بين الفاء والباء، فراء مفتوحة، وتطلق على نوع مخصوص من الأشعار..[2]

وقد سار رفاعة الطهطاوي على نفس المنهج ونفس الطريقة في تعريب الكتب، حيث كان يذيلها بثبت للمصطلحات مرتبة بحيث يسهل على المتلقي معرفة نطقها أولا ومعناها ثانيا، ومن الكتب التي ترجمها نذكر: –(مبادئ الهندسة) و(التعريبات الشافية لمريد الجغرافيا) ..ثم ما لبث أن أخذ قراؤه وطلابه خاصة في مدرسة الألسن بطريقته، وطهرت كتبهم وأعمالهم مذيلة في أواخرها بملاحق مصطلحية مرتبة ترتيبا أبجديا، مشروحة شرحا وافيا.

- [1] –د. جمال الدين الشيال –تاريخ الترجمة –م.س.–ص:189.
- [2] –أنظر: قاسم السارة –عالم الفكر –مقال –م.س. –ص:94.

جدول كتابة اللفاظ الأجنبية بحروف عربية كما اصطلح عليه مؤتمر المستشرقين المنعقد في استوكهولم سنة 1898م.

A أ	B ب	T ت	TH ث	J ج	H ح	**KH** خ
D د	**DH** ذ	R ر	Z ز	S س	**SH** ش	S ص
D ض	T ط	Z ظ	ع	**GH** غ	F ف	Q ق
K ك	L ل	M م	N ن	H هـ	W و	Y ي

ويرمز للهمزة بالضمة أو بعلامة القطع (Apostrpphe) (') وهي عكس رسم العين (ء)، ولا يجوز تمثيل حرف العلة الممدود بتكراره وإنما يوضع خط فوقه حسب الترتيب التالي:-

اَ AA= A

وُ OO=U

ي E E = I

آمال = AMAL

خليل =KHALIL

محمود=MAHMUD

وقد استعملت هذه الطريقة في ترجمة الكتب بكل أنواعها، وساعدت على وضع عدد لا يستهان به من القواميس ثنائية اللغة وثلاثية اللغة، حيث ترجمت مثلا مدرسة الطب في سوريا قاموسا صغيرا من تأليف Nysten، واتبعت في ذلك منهجية الرواد في اختيار صياغة المصطلحات العلمية.

يقول الدكتور حسني سبح في معرض حديثه عن تعريب الطب:" سلكوا في سبيلها ما يأخذ به المشتغلون باستعراب الطب اليوم؛حيث أحيوا مصطلح الطب العربي الإسلامي ما رأوه وافيا بالغرض، واجتهدوا في وضع مقابل بالعربية لما جد من مصطلحات، أما ما لم يهتدوا فيه إلى لفظ عربي مناسب فلجئوا فيه إلى التعريب.[1]

ويقول الدكتور شوقي ضيف في ما يخص إشكالية السمات المشتركة في استعمال المصطلح بين القديم والحديث إن السمة المشتركة بين نقلة العلوم إلى العربية منذ القرن الثاني للهجرة وإلى اليوم هو الاتفاق على منهجية واضحة في اختيار وصياغة المصطلحات العلمية الجديدة وتتمثل هذه المنهجية باختيار كلمات عربية صحيحة أولا ثم الانتقال إلى التعريب ثانيا.

فلم يكن النقلة يعمدون دائما إلى استعارة الأسماء الأجنبية لمدلولاتها التي لم يكونوا يعرفونها بل كانوا يحاولون أن يضعوا لتلك المدلولات أسماء عربية خالصة إما عن طريق الاشتقاق وإما عن طريق التوسع في مدلولاتها ومعانيها القديمة..إلا أنه لم يكن بالإمكان تفادي دخول ألفاظ أعجمية إلى العربية..وبعض هذه الألفاظ أخذ يشيع على ألسنة الكثيرين في الحياة اليومية، ولاسيما أسماء النباتات والحيوانات والمقاييس والموازين والأمراض والأدوية..[2]

إذن نلاحظ أن هناك تواصل بين الأجيال في صياغة المصطلح العلمي، رغم النكبات التي أصابت البلاد العربية من جراء التطاحن على الحكم بين أفراد الأمة الواحدة، ومن جراء الاستعمار الحديث، الذي أراد أن يغلق الأبواب على العقل العربي، حتى لا يتململ من مكانه،

- [1] –أنظر: د.حسني سبح –تعريب علوم الطب –مجمع اللغة العربية بدمشق –المجلد 60 –ج4 –تشرين أول 1985 –ص:65.
- [2] –أنظر: د.شوقي ضيف –تاريخ الأدب العربي (3) العصر العباسي الأول –دار المعارف–مصر – ص:92.

ولكن رغم المأساة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، إلا أن البلاد المستعمرة استطاعت بقدر محدود أن تستغل هذا الاستعمار، في الميدان اللغوي، وأن يشتغل العلماء في التعريب والترجمة للحاجة الماسة لإشكالية التواصل، وليتأكد التواصل .

يقول الدكتور صفاء خلوصي عن كتابه (فن الترجمة،في ضوء الدراسات المقارنة):"ليس هذا الكتاب مجرد وسيلة لتعليم طرق الترجمة وأساليبها المختلفة بل لمعرفة قواعد اللغة الأدبية Literary Language عربية كانت أو إنجليزية عن طريق الترجمة.

وسيكون (الجمال) أول ما نرمي إليه، وإذا اقتضى الأمر أن نضحي بالقواعد في سبيل تركيب جميل يناصره بعض أكابر الكتاب فلن نتردد في أن نتحدى اللغويين ونرجح (الجمال) على (صحة التركيب) فهناك منذ القدم صراع بين اللغويين والأدباء، فاللغويون يؤلفون كتب القواعد ويحتمون على الأدباء مراعاتها فيسير هؤلاء في ركابهم ردحا من الزمن ثم يثورون عليهم ويقدمون للجمهور تراكيب جديدة فتثور ثائرة اللغويين ولكنهم يضطرون في الأخير إلى الانصياع إلى الأمر الواقع فيضعون قاعدة جديدة تحتضن التراكيب التي ابتدعها الأدباء المجددون؛ وأمثلة ذلك كثيرة في اللغة الإنجليزية،فمنها أن الإنجليز كانوا فيما مضى يستعملون اسم الفاعل المنتهي بـــ(Ing) لصيغة المبني للمجهول فيقولون:-

يبنى البيت The hous is building بدلا من: The hous is built

وعلى ذلك نجد شكسبير يقول:-"عند عرض هذه المسرحية" Whil'st This play is playing

ونجد ولترسكوت يطبق نفس القاعدة في قوله:-

While these measures wer taking (= taken)

(أثناء اتخاذ هذه الإجراءات).

وكذلك جين أوستن Jane Austen حيث يقول:-

While the parcels were bringing down and displaying on the counter (= brough and displayed)

"على حين كانت الحزم تجلب وتعرض على الواجهة الخشبية"

وشيلي يقول:- Everybody here is taking of a steam-Ship which is building at leghon.

"الكل هنا يتحدث عن السفينة التي تصنع في ليكهورن"

وماكولي يقول:- While innocent Blood was shedding (= shed)

"بينما كان الدم يسفك"[1]

إشكالية المصطلح قديما.

فالفارسية أثرت في العربية بألفاظها ومعانيها وأفكارها، وقد إقتبست العربية منها جملة ألفاظ، فمن مصطلحات العلوم والصناعات وغيرها:الإسطرلاب والـزيج والزئبـق والمغنـاطيس والزرنيخ والبربط والبم والزير والبيمارستان والسفتجة والدهليز والدهقان والدسكرة والدرفس والتخت والطيلسان والدورق[2]. ومن ألفاظ الأطعمة: اللوزينج والفالوذج والكامخ.[1] ومن أسماء النبات والأزهار: السذاب والأذريون والجلنار والجنبذ والنيلوفر.[2]

- [1] –أنظر: د.صفاء خلوصي –فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة–منشورات وزارة الثقافة والإعلام– دار الرشيد للنشر –سلسلة دراسات (292) –الجمهورية العراقية –بغداد–1982–ص:5–6 (المقدمة).
- [2]–الإسطرلاب: آلة يقيس بها الفلكيون إرتفاع الكواكب، أو إسم يجمع الآلات التي يعرف بها الوقت.
–الزيج: خيط البناء.

وأكثر ما أخذ عن اليونان كان في الطب والمنطق والطبيعة والفلسفة، كألفاظ الفلسفة والسفسطة والهيولى والموسيقا والمالنخويا والدوسنطاريا والنقرس والقولنج.[3]

وهناك ألفاظ أخرى دخيلة في اللغة العربية، جاء أغلبها في المعجم الوسيط (من مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة) منها:

أردواز.

–البربط: من آلات الموسيقى.

–البم والزير: من أوتار العود.

–البيمارستان: المستشفى، وترجمته اللفظية: موضع المرض، لأن (بيمار) معناها (مريض)، و(ستان) معناها (موضع).

–السفتجة: وثيقة الحوالة.

–الدهقان: رئيس القرية.

–الدسكرة: القرية أو محل الخمر.

–الدرفس: العلم الكبير.

–التحت: ما توضع فيه الثياب.

–الطيلسان: ما يلبس فوق الكتف.

–الدورق: مكيال الشراب أو الجرة ذات العروة.

- [1]–اللوزينج: نوع من الفطائر يحشى باللوز أو الجوز.

–الفالوذج: معرب (فالوذه) ويعرف بالعامية بإسم (البالوته).

–الكامخ: يصنع من دقيق ولبن وملح ويجفف، وهو من مشهيات الطعام.

- [2]–الآذريون: زهر أصفر، معرب (آذركون)، أي لون النار.

–الجلنار: زهر الرمان.

- [3]–السفسطة: أصلها (سوفستك) بمعنى الجدل اللفظي.

–الهيولى: الأصل.

–المالنخوليا: ضرب من الجنون والتخليط في الكلام.

–الدوسنطاريا: إسهال الدم (الديزانطري).

–النقرس: ورم ووجع مفاصل الكعبين وأصابع اليدين.

–القولنج: مرض معوي مؤلم.

أسبرين.

ألماس.

إنزيم.

بدروم.(بيت تحت الأرض للسكن)

بلهارسيا.

ينسلين.

بنك.

جرافيت.(معدن فحمي حديدي)

جرانيت.(حجر صلب ذو ألوان مختلفة)

جلسرين.(سائل لزج عديم اللون حلو المذاق)

جلاتين.

وقد إعتمدنا في التأكد من هذه الألفاظ على أنها دخيلة في اللغة العربية، على قاعدة بنية الكلمة العربية، والتي تنقسم إلى قسمين:-

أولهما: أن الكلمة العربية لاتزيد عن خمسة في الأسماء المجردة، أو سبعة أحرف في المزيدة.

ثانيهما:لاتزيد عن أربعة في الأفعال المجردة أو ستة أحرف في المزيدة.

ومن المعاجم العلمية التي إعتمدناها:-

معجم حتى الطبي.

معجم الحيوان.

المعجم الطبي الموحد.

المعجم الموحد.

معجم الشهابي لمصطلحات العلوم الزراعية.

معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية.

المورد.

العصري.

يقول الأستاذ أحمد شفيق الخطيب، وهو واضع (معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية.):-"ولكي تصبح لغتنا قادرة على تأدية المسميات المعربة بشكل صحيح علينا أن نتساهل في لغة المصطلحات العلمية والتكنولوجية بالأمور التالية:-

1-جواز الإبتداء بالساكن.

2-كذلك يجدر بنا التساهل في أمر إلتقاء الساكنين، سواء أكان الأمر مقتصرا على ساكنين إثنين، أم على عدة سواكن، فنقول:

وبويل--باوند--رتنجن--كنعستون--باينت...إلخ.

3-إضافة الحروف الثلاثة (ب) مهموسة. (ف) مجهورة. (ج) لتؤدي لفظ الحروف اللاتينية:P,V,G, (حين تلفظ كالجيم المصرية). فنقول: تلفزيون--فولط--بيبسين--نابالم--أنجستروم--جاليوم...إلخ.

وبذلك تصبح لغتنا قادرة على تأدية الألفاظ الأجنبية بصورة مقبولة، فنسد الطريق على دعاة التحول إلى الحرف اللاتيني أو سواء من سبل تحديث اللغة.

إن التخلف الحضاري والعلمي الذي نعاني منه في الأقطار العربية اليوم، ومنذ زمن بعيد، والتبعية الثقافية للغرب، يلعبان دورا رئيسيا في عرقلة عملية التعريب والترجمة، خاصة في إطار المؤسسات التربوية العلمية الجامعية والثقافية، ويدفعنا إلى الإجتهاد أكثر في إطار العمل على التعامل مع المصطلح الغربي بكل علمية ودون عاطفة، حتى يتسنى لنا القضاء على التبعية والإبقاء على المواجهة العلمية والعملية للغرب، إرتكازا على التراث العربي الغني بالمصطلحات التي علينا أن نجسدها وان نرجع المصطلحات العربية التي إختفت وسط اللغات الأوربية إلى أصلها كتابة ونطقا.(تجد شرحا موسعا عن هذه الإشكالية في مكان آخر من هذا البحث).

- [1] –أنظر: د. محمد المنجي الصيادي –التعريب وتنسيقه في الوطن العربي– مركز دراسات الوحدة العربية –بيروت– ط3 –ص:73 وما بعدها.
- [2] –كارم السيد غنيم –عالم الفكر –مقال –م.س.–ص:68.
- [3] – أنظر: Petit Larousse illustré 1984 -dictionnaire encyclopédique pour tous.
- [4] – جورج ديهاميل –دفاع عن الأدب– ترجمة الدكتور محمد مندور – الدار القومية للطباعة والنشر – مصر –ص:32–33.
- [5] –أنظر: د.علي شلش –مجلة القافلة –مقال–إدارة العلاقات العامة في شركة أرامكو السعودية –مطابع التريكي –الدمام –ع:9 –مارس 1994 –ص:46.
- [6] –عن د. صفاء خلوصي –م.س. –ص: 38.

الخاتمـــــــــــــــــــة

الخاتمة

ختاما يمكننا أن نطرح السؤال التالي: هل أسس العرب نظرية للترجمة؟ أي هل – حقيقة – استطاع العرب أن يؤسسوا هذه النظرية الترجمية؟ أو بالأحرى هل لديهم – حقيقة – نظرية ترجمية ؟ وهل ساعد النقد عموما على بناء الأسس القاعدية لتفكيك البنى النصية، محاولة منه لبسط الطريق أمام المنظر الترجمي كي يستفيد من التغلب على الصعاب التي يطرحها إشكال النص بكل تقنياته الظاهرة والمستترة ؟.

إننا بعد أن تعرفنا على بعض التجارب العربية الخاصة سواء كانت هذه التجارب عبارة عن نقل أو ترجمة لما قامت به المدارس النقدية الغربية والشرقية، ومحاولة منهم إبهار القارئ العربي بالمصطلحات النقدية الجديدة، المترجمة منها أو المنقولة إلى العربية. يقول الدكتور محمد مندور: [عندما طلبت إلي لجنة التأليف ترجمة هذا الكتاب اتفق أنني كنت أراجع ترجمة "شاتوبريان" " للفردوس المفقود" فرأيت المترجم الفرنسي يحرص على أن ينقل إلى لغته اصطلاحات إنجليزية كما هي، وهو يبرز منحاه،– في مقدمة قيمة عن الترجمة– بأنه يقصد من ذلك إلى أمرين :

أولهما:

المحافظة على الروح الإنجليزية، روح المتن نفسه التي كثيرا ما تتركز في طرق الأداء وتستقي عناصرها من الثقافة التاريخية الكامنة بألفاظ اللغة ذاتها، وفي هذا تتفاوت اللغات. فمن بين مفردات اللغة ما يعتبر وثائق تاريخية. ومنها ما ينطق بمتواضعات اجتماعية خاصة بكل شعب، كما أن منها ما يحمل شحنة عاطفية لا ندري عادة لماذا اختصت هذه الكلمة أو تلك بحملها، وهي في الغالب مجازات ميتة.

وثانيهما:

هو رغبة شاتوبريان في أن ينقل إلى لغته طرقا جديدة في العبارة، بل طرقا جديدة في التفكير، وذلك لأنه يرى أن الترجمة ليست مجرد نقل للأفكار وبخاصة في الأدب حيث تلعب الصور والصياغة الدور الأول.

إنه المذهب الذي أخذت به، وذلك لأننا لو حرصنا على أن نعطي كل جملة الصياغة العربية التقليدية لما حققت الترجمة إلا جانبا تافها مما يجب أن تحققه، فهي ستفقد الدقة التي هي أول واجبات المترجم، ثم إنها لن تحمل إلى لغتنا ثروة جديدة في وسائل العبارة، ولن تكسبها ما نبغي لها من مرونة ومقدرة على أداء كل معنى وتصوير كل إحساس.

وأنا بعد لا أجهل أن لكل لغة خصائصها، وأنه لا ينبغي أن نخرج على تلك الخصائص، وهذا ما حاولت أن أتجنبه، ولكن الذي لا أريد أن أقبله هو أن يدفعنا الألف- وأكاد أقول التحجر- إلى رفض كل تعبير أو وسيلة من وسائل الأساليب التي لم نألفها، فهذه نظرية ضعيفة ضارة، وما دمنا لا نخرج على قواعد اللغة فيجب أن نتصرف في تلك الحدود كما نستطيع][1]

يتعرض هذا القول إلى بعض التصورات والمفاهيم التي امتلكها منظرو اللغة، ومنهم منظري الترجمة والنقاد والمبدعون والمترجمون، حول مفهوم النص، وحول عملتي الإبداع والترجمة، حيث تبرز في شكل اتجاهات ثلاثة ترتكز أساسا على سؤالين اثنين :

إلى أي حد كانت هذه المفاهيم والتصورات خاضعة لروح وشروط الإبداع والترجمة؟...

إلى أي حد يمكن الاعتماد على ذلك، فيما يتعلق ببلورة بعض الأسس الفنية الدقيقة حول الصورة التي يمكن أن يجسدها النص الإبداعي، والنص النقدي، والنص الترجمي؟...

---

[1] -جورج ديهاميل-دفاع عن الأدب- ترجمة :د. محمد مندور-ص:30-31.

ومن جهة أخرى وجب القيام بجمع نظرات دارسي النص ومترجميه، قصد معرفة مميزاته وخصائصه في إطار الجنس الذي ينتمي إليه، وفي إطار الأجناس الأدبية وغير الأدبية الأخرى. وهذا اعتمادا على قواعد الفن وطبيعة الإبداع وطرائق وأساليب الترجمة، ثم بالتالي معرفة مدى خضوع تلك النظرات لقواعد النقد وشروطه، هذه القواعد التي لا توضح بصفة علمية. فكيف للقواعد الترجمية أن توضح بصفة علمية، وهي كما أسلفنا نوع من النقد في لغتين أو أكثر.

فإن كانت ترتبط بالنقد الأوربي والقواعد الترجمية النظرية الأوربية، فإن اختلاف أصول اللغات- أقصد اللغة العربية مقابل اللغات الأوربية- يقف عائقا في وجه التطبيق التقني، والحل هو الاعتماد على الذات في خلق جو تنظيري عربي للتعامل مع النص العربي، سواء نقدا أو ترجمة. ولو وقفنا قليلا لوجدنا أن النقد الأوربي والترجمة الأوربية بما فيها التنظير، أفادا المشتغلين على النص العربي، نقدا وترجمة، أيما إفادة.

يقول الدكتور محمد مندور:" أحب أن ألفت النظر إلى أن اتجاهي هذا لم يكن مذهبا، وأنا أعلم أن كل مذهب خليق أن يفسد بتعميمه حقائق الأشياء، ولهذا لم أتردد في أن أعرب عندما اضطرتني إلى ذلك ضرورة المحافظة على قيمنا الثابتة ، وأضرب لذلك مثلا كان المؤلف يقول فيها: [إنه لابد في الـــ [Culture] من حرث وغرس وبذر"] ومعنى [Culture] هنا هو الثقافة، ولكنه لما كان معناها الحقيقي في الفرنسية هو [الزرع] فإن الكاتب قد لازم المعنى الحقيقي ليدل على ما تتطلبه الثقافة من جهد، فتحدث عن الحرث والغرس والبذر. ونحن في السنوات الأخيرة قد استقر العرف عندنا على استعمال لفظة ثقافة في مقابل culture والمعنى الحقيقي للتثقيف والثقافة هو[تقويم السلاح]، ولهذا عربت فلازمت المعنى الحقيقي

للفظنا وقلت [لابد من الصهر والطرق والشحذ] مشيرا إلى هذا التعريب في أحد الهوامش. وأنا بعد أعتقد أن الكثير من الكتب التي ترجمت إلى لغتنا لم تتحقق فائدتها الكلية لكثرة التصرف والاكتفاء بترجمة الأفكار دون طرق الأداء التي كثيرا ما تفوق في أهميتها المعاني المعبر عنها][2]

إن مصطلح ثقافة الذي يتحدث عنه مندور أخذ أشكالا متعددة في التناول الثقافي على مستوى الوضع العام الاجتماعي والسياسي، وقد ربط بمستقرات مختلفة ، فمن ربطه باللغة إلى ربطه بالمجتمع الذي يتكلم هذه اللغة . ومن هنا نجد الدكتور مندور يطرح تساؤلا غاية في الأهمية –قد لا يطرحه، أو لا ينتبه إليه الكثير من المترجمين المعاصرين، على الرغم من أنهم يتعاطون الترجمة من اللغات الأوربية خاصة ، هذا التساؤل مفاده قوله: [ثم هل لي أن أقول أنني حاولت أن أترجم عن الفرنسية كما يترجم الأوربيون إلى لغاتهم عن اللاتينية أو اليونانية، وأنني لم أكتف بالترجمة بل أضفت الكثير من التعليقات التي رأيتها لازمة لفهم النص] [3]

إن المجتمع العربي مجتمع مستهلك بالدرجة الأولى، إنه يستهلك بعض الثقافات التي يظن أنها تعوض له الحاجة التي سكنته منذ القديم، فظاهرة المنع وغياب الديمقراطية جعلته مجتمعا يظهر ما لا يكنه، ويستهلك الثقافة الرخيصة، ويبتعد على الثقافة التي تبنى، وأعتقد أن هذه الأشياء هي التي جعلته مجتمعا متخلفا، وسيبقى كذلك إن لم يتخلص من استهلاك السهل، ويتعامل مع النص الصعب الذي يأتيه من خارج لغته.

---

[2] –جورج ديهاميل –دفاع عن الأدب–م.س.–ص:31.

[3] –جورج ديهاميل–دفاع عن الأدب–ترجمة :الدكتور محمد مندور–م.س.–ص:31-32.

ولهذا نجد أن استقبال الأعمال- النصوص-الغربية في الوطن العربي كان قليلا نسبة إلى ما أنتج هذا الغرب. والغريب في الأمر أن هذا المجتمع- العربي- كان من الممكن أن يستفيد أكثر من هذه الثقافات، نظرا إلى أن حاجز اللغة لم يطرح أمامه نتيجة الاستعمار و التلاقح اللغوي الذي ولده، وكذلك التنوع، فمن الإنجليزية في الشرق إلى الإيطالية في ليبيا، إلى الفرنسية والإسبانية في المغرب والجزائر وموريطانيا. ونحن نعلم أن هذه اللغات هي التي سادت العالم وما زالت تسوده.

قائمة المصادر والمراجع والدوريات

- أ.غ. بالنثيا – تاريخ الفكر الأندلسي – ترجمة: د. حسين مؤنس – القاهرة – 1955.
- إبراهيم زكريا – مشكلة الفلسفة – مكتبة مصر – دار مصر للطباعة.
- إحسان عباس – تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ط7 – 1985.
- أحمد هبو – الأبجدية – نشأة الكتابة و أشكالها عند الشعوب – دار الحوار للنشر و التوزيع – ط 1 – 1984 – اللاذقية – سوريا.
- ادوارالبستاني: مناهج الترجمة، ط1، دار الطباعة والنشر الشرقية، بيروت، لبنان، 1945.
- أراغون– إلزا و عيون إلزا – ترجمة: د.سامية أحمد أسعد وفؤاد حداد– الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر–القاهرة–1970.
- أطولفو باسكيز– البنيوية والتاريخ– ترجمة: مصطفى المناوي– دار الحداثة– ط:1– 1981.
- الترجمة ونظرياتها، اعداد مجموعة من الأساتذة الجامعيين، بيت الحكمة، تونس1989
- الجاحظ: الحيوان ج1ط، القاهرة
- الحق الذي يقود إلى الحياة الأبدية – دون دار طباعة.
- الشيال، جمال الدين: تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية في عصر محمد علي. دار الفكرة العربي، مصر، 1951
- القرآن الكريم و ترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية – طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة بالتنسيق مع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد.
- النويري – نهاية الأدب في فنون الأدب – سلسلة تراثنا – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر –القاهرة – مقدمة السفر الثاني عشر.
- بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية، نقله الى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم، للملايين، بيروت، ظ1981،9
- بول إيلوار– مختارات شعرية– ترجمة:د. سامية أحمد أسعد– دار الشؤون الثقافية العامة – ط : 2 – بغداد – 1986.
- بيتر نيومارك – الجامع في الترجمة – ترجمة حسن غزالة.

- ت.أ. ساخاروفا- من فلسفة الوجود إلى البنيوية.
- تمام حسان – نحو تنسيق أفضل للجهود الرامية إلى تطوير اللغة العربية- اللسان العربي –المجلد 11 – الجزء 1.
- جان ماري أوزياس وآخرون- البنيوية- ترجمة : ميخائيل فحول- منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي- 1972- دمشق- سوريا-.
- جمال الدين الشيال – تاريخ الترجمة في عهد الحملة الفرنسية – مطبعة دار الفكر العربي – 1950.
- جورج بليخانوف – تطور النظرة الواحدية إلى التاريخ – ترجمة : محمد مستجير مصطفى – ط2 – سبتمبر 1975 – دار الطليعة – بيروت.
- جورج ديهاميل – دفاع عن الأدب- ترجمة الدكتور محمد مندور – الدار القومية للطباعة والنشر –مصر.
- جيروم ستولنيتز – النقد الفني، دراسة جمالية وفلسفية – ترجمة: الدكتور فؤاد زكريا – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط2 –1981.
- حسام الخطيب – حركة الترجمة الفلسطينية – المؤسسة العربية للدراسات و النشر – الطبعة 1 – 1995.
- حسني سبح – تعريب علوم الطب –مجمع اللغة العربية بدمشق –المجلد 60 –ج:4 – تشرين أول 1985 .
- حنا الفاخوري وخليل الجر – تاريخ الفلسفة العربية – ج:2 – (د.م.ع.مرحبا –من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة العربية.
- دوستويفسكي – الفقراء – المثل – قلب ضعيف- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر- دار الكاتب العربي للطباعة والنشر – 1967- ترجمة: الدكتور سامي الدروبي.
- ديميتري غوتاس – الفكر اليوناني و الثقافة العربية – حركة الترجمة اليونانية – العربية في بغداد و المجتمع العباسي المبكر – ترجمة و تقديم د. نكولا زياده – المنظمة العربية للترجمة – مركز دراسات الوحدة العربية – الطبعة الاولى – بيروت – يونيو 2003.
- روبرت شولز- البنيوية في الأدب- ترجمة: حنا عبود- منشورات اتحاد الكتاب العرب-1984-
- زكريا إبراهيم- مشكلة الفن.

- سعيد الورقي – في مصادر التراث العربي – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت –لبنان –1984.
- سعيد علوش – المصطلحات الأدبية المعاصرة – مطبوعات المكتبة الجامعية – الدار البيضاء – المغرب – دون سنة.
- صبحي كاميليا – الثبت الببليوجرافي للكتب المترجمة من العربية الى الفرنسية من اوائل الطباعة حتى عام 2003 – دار الكتب و الوثائق القومية – القاهرة /2003.
- صفاء خلوصي – فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة– منشورات وزارة الثقافة والإعلام– دار الرشيد للنشر – سلسلة دراسات (292) – الجمهورية العراقية –بغداد– 1982.
- صلاح الدين بسيوني– القرآن الحكيم، رؤية منهجية جديدة لمباحث القرآن الكريم– مكتبة نهضة الشرق– القاهرة– مصر.
- عباس محمود العقاد– ألوان من القصة الصغيرة في الأدب الأمريكي– القاهرة–1954– المقدمه.
- عبدالرحمن بدوي – الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام.
- عبدالرحمن بن خلدون – تاريخ ابن خلدون – دار الكتب العلمية – بيروت.
- عبدالسلام المسدي– النقد والحداثة–دار الطليعة– ط:1– بيروت– ديسمبر 1983-
- عبدالكريم غلاب– في الثقافة والأدب – مطبعة الأطلس– الدار البيضاء–المغرب– 1964 -
- قدري حافظ طوقان –علماء العرب وما أعطوه للحضارة – منشورات الفاخرية (الرياض) – دار الكتاب العربي (بيروت) – دون سنة النشر.
- كاتب ياسين – نجمة – ترجمة: ملكة أبيض العيسى – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – لبنان –بيروت – ط:2– سنة 1980.
- كاتب ياسين – نجمة – ترجمة: محمد قوبعة – المؤسسة الجزائرية للطباعة –ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر – 1987.
- كتاب " شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل" للشهاب الخفاجي.
- كتاب "الدليل إلى مرادف العامي والدخيل" لرشيد عطية.
- كتاب "الطراز المذهب في الدخيل والمعرب" لمحمد تهاني.
- كتاب "المعرب" للجواليقي.

- لويس يونغ -العرب وأوربا - ترجمة ميشال أزرق - دار الطليعة - بيروت -1979.
- م.ع.مرحبا -من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية.
- محمد الديداوي - الترجمة و التعريب بين اللغة البيانية و اللغة الحاسوبية - المركز الثقافي العربي - ط 1 - 2002.
- محمد المنجي الصيادي - التعريب وتنسيقه في الوطن العربي- مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت- ط3.
- محمد بنيس - ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية.
- محمد بهجت الأثري- مصطفى جواد -كمال إبراهيم -الأساس في تاريخ الأدب العربي - مطبعة العاني - بغداد -1956.
- محمد شرف - معجم العلوم الطبية والطبيعية - ط2 - المقدمة.
- محمد عزام - اتجاهات القصة المعاصرة في المغرب - مطبعة اتحاد الكتاب العرب.
- محمد عوض محمد، فن الترجمة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1985.
- ناصر الدين الأسد- مصادر الشعر الجاهلي- دار المعارف- القاهرة- مصر- ط3- 1966.
- هرمان هيسه- قصة شاب- ترجمة وتقديم: د. مصطفى ماهر- دار الكتاب العربي- القاهرة - 1968.
- شوقي ضيف -تاريخ الأدب العربي (3) العصر العباسي الأول - دار المعارف- مصر.
- جرجي زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية - ج4 - 1900/1801 - دار الهلال.
- يمنى العيد- في معرفة النص- دار الآفاق الجديدة- بيروت - ط3- شباط 1988.
- محمد السويسي- مشكلة وضع المصطلح - اللسان العربي - المجلد 12 - الجزء 1.
- عبد السلام، أحمد: المؤرخون التونسيون في القرون 17و18و19م.
- جاك تاجر: الترجمة في مصر خلال القرن 19. دار المعارف، القاهرة، مصر، 1890.
- أمين سامي باشا- تقويم النيل- ج:2- احداث 21 ربيع الآخر 1243-12 نوفمبر1827.
- انطوان شكري مطر: الترجمة العلمية، دار المشرق، بيروت، 1971
- جوزيف نعوم حجار، دراسة في أصول الترجمة، دار المشرق، بيروت، 1972.
- ابن النديم - الفهرست - دار المعرفة - بيروت - الطبعة الأولى 1994م.

- مراجع أجنبية.

- Abderrahman Badawi – la transmission de la philosophie Grecque au monde arabe – Paris – Vrin – 1968.
- Ahmed Djebbar – Une histoire scientifiques arabes – éd. Du seuil de collection.
- Benaissa H, La situation traducteurs dans les Pays Arabes, in Babel XXVI.
- C. Zins -Actes des Premières assies de la traduction littéraire -Arles, 1984.
- C.CAYRON -Actes de premières assise de la traduction littéraire =Arles - 1984.
- C.Zins - Actes de premières assise de la traduction litteraire-Arles-1984.
- Constanee, BW. : La théorie de la Traduction au XVII e siècle, in Revue de la littérature comparé, 12 (1932)
- Demersemann, A : les Données de la controvers autour du problème de l'imprimerie, in I B L A 16-17, (1954)
- Djeghloul, A : La formation des intellectuels Algériens Modernes (1880-1930) OPU, Alger, 1988.
- Emilio Sola-Argelia,Entre El Desierto y El Mar- Coleccion El Magreb.
- Ferdinand de Saussure – Cours de linguistique générale – Edition Payot et Rivages / 2005.
- Gérard Leclerc – la mémorisation culturelle – les civilisations à l'épreuve – Paris – PUF – 2000.
- Gustav E. von Grunebaum – l'identité culturelle de l'islam – Paris – Gallimard – 1968.
- H.G. Farmer - Music, in The Legacy of Islam.
- International Bible Students Brooklyn, New York, USA- Association.
- J.P. VINAY et J. DARBELNET - Stylistique comparée du français et de l'anglais – Méthode de traduction – nouvelle édition revue et corrigée – 1972.
- Jacques Flamand -Ecrire et traduire, sur la voie de la création -Ottawa, Canada, Ed. du Vermillon 1983.
- La vérité qui conduit à la vie éternelle- International Bible Students Brooklyn, New York, U.S.A.1968.

- M. Gravier -La traduction des textes dramatiques -in Etude de linguistique appliquée- Octobre -Décembre 1973.
- M. Yaguello- Actes des deuxièmes assises de la traduction littéraire - Arles1985.
- Mas Latrie M L Dc : Relation des chrétiens avec les Arabes au moyen Age. Paris, i (1866)
- Nathan Wachtel – l'acculturation – faire de l'histoire – nouveaux problèmes – paris 1974.
- Petit Larousse illustré 1984 -dictionnaire encyclopédique pour tous.
- Quelques Alphabets de l'Ampremeurs au Xve siècle in Revue des bibliothèques, 1896.
- R. Jakobson – En sayes de linguistica général – Trad. Buenos Aires – 1975.
- Robert Brifaut -Les Troubadours et le sentiment romanesque - Ed. du Chene -Paris 1943.
- W.A. Clouston, Arabian Poetry for English Readers -London -1881 -(DARF Publishers, Ltd, London 1986, by Facssimile).
- Zins - Actes des deuxièmes assises de la traduction littéraire -Arles 1985.
- Voir, J. Mattews - Pour la poétique II -Gallimard-1973.
- Bernart. P. - Le langage -Centre d'études -Edd.1 -1973.
- Hermann Hesse-Gesamelte Werke-Frankfurt .a.M.-1970.
- Kateb Yacine - NEDJMA -Ed. du Seuil -1956.
- V.Larbaud - Sous l'invocation de Saint-Jérôme-Gallimard-1946.
- A.G. Palencia - Historia de la Espana Musulmana -3a ed Buenos Aires - Barcelona -1932.
- The Encyclopaedia of Islam, vol 3.
- H.R. Jauss – Pour une esthétique de la réception – Gallimard – 1976.
- Acte de lecture, Théorie de l'effet esthétique – P. Margada : 85.
- Pyronne, R : livre d'Or des officiers des affaires Indigènes, 1830-1930 Alger, 1930
- l'Afrique du Nord illustrée, N° 407,16 Fev
- l'Afrique du Nord illustrée, N°564,20 Fev.
- Emrit, M,-l'Etat intellectual moral de l'Algérie en 1830, in Revue d'histoire moderne et contemporaine, Vol (juillet-Sept-1954).

- Feraud, Ch : Les interprètes de l'armié d'Afrique, Alger, 1876
- Christian, arther, Débuts de l'imprimerie en France, paris, 1904.
- Tocqueville, A de : ouvres complètes, paris, 1962.
- Arberry -Arabic Poetry: A. Primer for Students Cambridge, 1965.
- Jean Rouquette - La littérature d'oc. P.U.F. 3e Ed. - Paris 1980.
- H. Meschonnic - Pour la poétique 11-Gallimard-1973.

- الثقافة الأجنبية – مجلة تعنى بشؤون الأدب في العالم – وزارة الثقافة و الإعلام – دار الشؤون الثقافية العامة – دار الحرية للطباعة – بغداد – السنة السادسة – العدد 4 – السنة 1986.
- آفاق (مجلة)– السنة الأولى– العدد : الرابع– أكتوبر/ديسمبر 1963– تونس.
- أقلام (مجلة) س.ل. الجديدة– العدد: الرابع– نوفمبر 1972– المغرب.
- التبيين (مجلة)– ثقافية ابداعية تصدر عن الجاحظية – العدد الثاني و الثالث – الجزائر– السنة 1993– طبع المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الاشهار– (رويبة).
- التبيين (مجلة)– ثقافية ابداعية تصدر عن الجاحظية – العدد الرابع – الجزائر– السنة 1993– طبع المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الاشهار.
- التبيين (مجلة)– فصلية تصدر عن الجاحظية – المركز الوطني لوثائق الصحافة و الاعلام – العدد السادس– السنة 1990.
- التبيين (مجلة) ملحق لها– خاص بالشعر – العدد: الثاني– 1992– المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الاشهار– وحدة الطباعة برويبة (الجزائر).
- الترجمة و التأويل – منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط – سلسلة ندوات و مناظرات رقم 47 – مؤسسة كونراد أدناور – جامعة محمد الخامس – الرباط.
- السعادة (جريدة)– العدد: 216–11 سبتمبر 1908– المغرب.
- العلم (جريدة)– العدد: 4584– التاريخ 1962/04/13. السنة 16– المغرب.
- الفكر العربي (مجلة)– عنوان العدد : نظرية الأدب و النقد الأدبي– كانون الثاني– يناير– شباط (فبراير) 1982– العدد : 25– السنة الرابعة.

- الفكر (مجلة)- السنة التاسعة- العدد : السابع- أفريل 1964- تونس.
- الكرمل- فصلية ثقافية- مجلة الاتحاد العام للكتاب و الصحفيين الفلسطينيين- مؤسسة "بيسان" للصحافة و النشر و التوزيع- نيقوسا- قبرص- العددان: 1984/11 و 1985/17.
- المجاهد الثقافي (أسبوعية) - السنة 1971- العدد: 17- ملحق المجاهد اليومي- الجزائر.
- المساءلة (مجلة)- مجلة اتحاد الكتاب الجزائريين- العدد: الأول- ربيع 1991- الجزائر.
- النبوغ (جريدة)- العدد: الأول – 09 يونيو 1939- تونس.
- الوعي (جريدة)- السنة الأولى- العدد: الثاني- أفريل 1962- تونس.
- دراسات سيميائية أدبية لسانية (مجلة) – جامعة وهران - الجزائر.
- دعوة الحق (جريدة)- السنة التاسعة- العدد: الثاني- ديسمبر 1965- الجزائر.
- دعوة الحق (جريدة)- السنة الخامسة - العدد: الخامس – فبراير 1962- الجزائر.
- دفاتر نسائية- المؤسسة الوطنية للكتاب ENAL - الجزائر- ربيع 1991- الكتاب الأول.
- عالم الفكر - مجلة – سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب – الكويت/ العدد 4 – 1989.
- عالم المعرفة – اللغات الأجنبية – تعليمها و تعلمها – سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب – الكويت / يونيو 1988.

- نظرية التلقي – إشكالات و تطبيقات – منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية – سلسلة ندوات و مناظرات رقم 24 – مطبعة النجاح الجديدة – جامعة محمد الخامس – الرباط.
- الفيصل [مجلة] – التطاوي عبد الله : ازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي، 216 نوفمبر – ديسمبر1994.
- الآداب [مجلة] – الفرسي محمد: البلاد العربية وحقوق التأليف، 1(1972).
- الثقافة [مجلة] – بن عيسى حنفي: من أجل خطة عربية في الترجمة، (الجزائر) 55 1988
- المجلة العربية لبحوث التعليم العالي [مجلة] – خالد فارس – جامعة دمشق في عامها الثمانين (1903–1983) – العدد الأول – تموز 1984.
- مجلة الفكر العربي [مجلة] – رياض زكي قاسم – قراءة أولى لأعمال نقدية في القرن التاسع عشر – مقال – العددان: 39–40 – 1985.
- عالم الفكر [مجلة] – قاسم السارة – تعريب المصطلح العلمي "اشكالية المنهج"– – مجلد:9–عدد:4– يناير.
- فكر وفن [مجلة] – هلموت بلسنر– الإنسان بوصفه كائنا حيا – عدد:13–ترجمة:1969.
- مجلة الفكر [مجلة] – عبدالعزيز قاسم – مقال – السنة الرابعة – ع: 7 – أفريل 1964 – تونس.
- الصباح (جريدة)– تونس– 7 أوت 1959.

ملخص باللغة الأجنبية

ملخص باللغة الفرنسية.

Résumé en langue française.

Depuis la parution des formalistes russes au début du vingtième siècle, vers 1916, toute intervention dans le domaine de l'étude du texte, y compris la traduction et ses théories, se réfère d'abord aux « Cours de linguistiques générales » de Ferdinand de Saussure, ainsi qu'aux « problèmes théoriques de la traduction » de George Mounin (1963). Pour bien comprendre d'abord le texte en se basant sur la relation arbitraire entre le signifiant et le signifié, la possibilité ou l'impossibilité de traduire et la trahison du texte traduit. Puis la grande question ressort qu'est ce traduire ? Ce point de vue qui se base essentiellement sur les méthodes modernes linguistiques, stylistiques, poétiques, de communication, de traduction et d'épistémologiques. Du coté scientifique, la traductologie été encore en formation, n'ayant été acceptée par les spécialistes.

A partir de cette problématique qui se base sur la méthode linguistique et la tendance structurale dans la critique des textes, voir même depuis la naissance réelle de la traduction, les éléments spécifiques de la théorie de la traduction ne sont réellement pas définis.

C'est précisément à partir du phénomène historique – Histoire de la traduction arabe - et théorique – Théories de la traduction arabe - où notre réflexion sur le thème de notre recherche « Les théories de la traduction chez les arabes – Le projet contemporain comme exemple » s'est basée.

Nous avons partagé notre recherche en trois grands titres, chacun comprend deux chapitres.

Titre un : Les rabes et le mouvement de la traduction.

Chapitre un : Les premiers emprunts du phénomène de la traductologie.

Chapitre deux : La traduction comme phénomène scientifique chez les arabes.

Titre deux : Analyse de la traduction.

Chapitre un : La traduction et ses méthodes.

Chapitre deux : La structure du texte et la traduction.

Titre trois : La création et la théorie de la traduction.

Chapitre un : L'espace de la création et la traduction.

Chapitre deux : Théorie de la traduction et la problématique de la terminologie.

Nous avons alors défini la stratégie dans laquelle, nous avons mis en question la notion de « théorie », en rapport avec ses différentes définitions, et durant toutes les périodes historiques de la traduction chez les arabes. Ensuite, nous l'avons analysé d'un point de vue structurale et sémantique, dans les critiques arabes concernant les traductions du et vers la langue arabe, en insistant sur les définitions et le développement historique de la notion « théorie de la traduction » chez les théoriciens Jacques Derrida dans son livre « L'écriture et la différence », Ferdinand de Saussure dans son livre « Cours de linguistiques générales », George Mounin dans son livre « Les problèmes théoriques de la traduction » et en fin J.P. VINAY et J. DARBELNET dans « Stylistique comparée du français et de l'anglais – Méthode de traduction ».

Enfin dans la conclusion générale nous avons rassemblé les différentes déductions de notre modeste étude. Nous y avons joint une liste importante d'ouvrages ainsi que leurs références comme base de notre travail, ce qui nous a amené vers un travail précis et cohérent, comme nous l'avons souhaité.

الفهرس

الإهداء.

كلمة شكر.

مقدمة عامة و طرح الإشكال..... 3

الباب الأول : البصمات الأولى للظاهرة الترجمية..... 19

الفصل الأول : العرب و حركة الترجمة..... 19

فترة ما قبل العباسيين 19

الكتابة عند العرب..... 27

فترة الحكم الأموي 29

تأسيس الفكر الترجمي العربي 33

العباسيون و الترجمة 45

فترة أبي جعفر المنصور [158/136 هـ - 775/754 م] 47

فترة هارون الرشيد [193/170 هـ - 809/786 م]..... 49

فترة عبدالله المأمون [218/198 هـ - 833/813 م] 50

جدول بأسماء الخلفاء العباسيين خلال فترة الترجمة..... 52

الفصل الثاني : الترجمة ظاهرة علمية عند العرب 53

1. لغة الترجمة عند العباسيين 53

2. أشهر المترجمين في العصر العباسي 64

3. بيت الحكمة 71

4. البويهيون في بغداد 84

5. الأندلسيون و الترجمة 88

6. الترجمة في العصر الحديث 102

الإرساليات الأجنبية إلى بيروت 112

ترجمة النبي لجبران خليل جبران 116

الباب الثاني : التحليل الترجمي و المقاربات النصية 131

الفصل الأول : الترجمة و طرائقها..... 131

أولا : أنواع الترجمة..... 131

- الترجمة كلمة بكلمة 132

- الترجمة الحرفية 132
- الترجمة الوفية 133
- الترجمة المعنوية 133
- الترجمة الاقتباسية 134
- الترجمة الحرة 134
- الترجمة الاصطلاحية 134
- الترجمة التخاطبية 134

ثانيا : مستويات النص 137

ثالثا : أساليب الترجمة 142
- أسلوب الترجمة اللفظية 143
- أسلوب الترجمة المعنوية 143

رابعا : في مفهوم النص 143

خامسا : البنية النصية 148
- في تعليمة الترجمة 153

سادسا : مقاربات ترجمية تطبيقية 157
- رواية نجمة بين ترجمة ملكة أبيض عيسى و محمد قوبعة 165
- ترجمة الكتاب المقدس 178
- سامي الدروبي و الترجمة 181

الفصل الثاني : بنية النص و الترجمة 185
- مقاربة النص الأدبي و الترجمة 185
  1. الإسقاط 185
  2. التعليق 186
  3. الشعرية 186
  4. فعل القراءة 186
- أشكال النص و التعبير 190
  - لغة العرب 191
  - بين الترادف و التطابق 194
  - بين التشابه و التطابق 196

- الصورة بين النص و الترجمة..... 197
- تشاكلات و أسس حركة النص 208
- عمر فروخ و عملية النقل عند العرب 214

الباب الثالث : الابداع و نظرية الترجمة..... 222

الفصل الأول : الفضاء الإبداعي و الترجمة 222

- الإبداعية في الترجمة 222
- ترجمة معاني القرآن الكريم..... 223
- بعض الإشكالات الاصطلاحية في النص القرآني 233
- موازنات ترجمية 235

حدود النص – الشعري – النثري..... 238

– الخلفية المرجعية للقارئ النموذجي / المترجم 238

– فعل الترجمة في النص الأدبي 240

– الترجمة الآلية 246

– الشكل و البنية..... 256

إشكالية ترجمة النص الشعري 267

– البناء الشعري..... 270

– البناء الصوتي 273

– صعوبة النص الشعري..... 275

إشكالية ترجمة النص المسرحي..... 277

الفصل الثاني : نظرية الترجمة و إشكالية المصطلح 290

2. آلية الترجمة بين النص الإبداعي و البراغماتي 290

3. الفضاء النصي و حركة الزمن و المكان..... 300

– الحدود الفنية..... 304

– التعريب و النظرية الترجمية 304

– المصطلح و الترجمة..... 308

– أثر اللغة العربية في اللغات الأخرى..... 335

– أنطوان جالان و ترجمة ألف ليلة و ليلة 337

4. النظرية الترجمية وإشكالية ترجمة المصطلح 340

- المعاجم العربية الحديثة و إشكالية الاتفاق 340
- إشكالية الصياغة 346
- إشكالية المصطلح قديما 361
الخاتمة: 367
قائمة المصادر و المراجع و الدوريات 373
ملخص باللغة الأجنبية 384
محتويات البحث 386